ISSN 2307-7662

مجلة
جامعة الناصر

مجلة علمية محكمة – نصف سنوية – تصدرها جامعة الناصر
السنة الرابعة عشر – العدد السابع والعشرين – (يناير – يونيو) ٢٠٢٦ م

ISSN 2307-7662

ISSN 2307-7662

AL-NASSER UNIVERSITY
JOURNAL

A Scientific Refereed Journal Issued Biannually by Al-Nasser University
FourteenYear - No.(27) - Jan. \ Jun. 2026

تطور المصرفية الإسلامية في أوروبا، بنك البوسنة الدولي (BBI) نموذجا
أ.م.د. شهيدة واتي بنت حاج شهوان & 2- أبوبكر يحيى أحمد محمد

التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية
د. ناصر أحمد الخطري

صنعاء في كتابات الرحالة الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي
أ.م.د. عبدالرحمن أحمد المختار & د. محمد عبد الله المعلمي

مبادئ الشورى عند المرأة قصة بلقيس نموذجا
أ. قمر طويرد حبريش كلشات

ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني – دراسة مقارنة
أ.د. محمد شوقي ناصر عبدالله الأعور & أ.منال العواضي & أ.بثينة الشيباني

التحديات البيئية والاجتماعية والاقتصادية للزراعة في وادي حجر– حضرموت نموذجا
أ.د. خالد صالح باواحدي & د. صلاح عبدالله بن فريجات

Evolution of Islamic Banking in Europe: Bosnia Bank International (BBI) as a Model
Dr. Shahida Wati Bent Haj Shahwan & Abu Bakr Yahya Ahmed Mohammed

Facilitation in Islamic Rulings as per Quranic Recitations
Dr. Naser Ahmed Elkhatari

Sana'a in the Writings of Western Globe-Trotters in 3rd Century AH/ 19th Century CE
Dr. Abdurrahman Ahmed Elmukhtar & Dr. Mohammed Abdullah Elmu'alimi

Woman Shura Principles: The Story of Queen Bilqis as a Model
Qamar Tweerid Hebreesh Kelshat

The Phenomenon of Informing on Others in Islamic Jurisprudence and Yemeni Legislation: A Comparative Study
Dr. Mohammed Shawqi Naser Ela'war Abdullah & Manal Elawadhi & Buthaynah Eshaybani

:Environmental, Social, and Economic Challenges of Agriculture in Hajar Valley Hadhramaut as a Model
Dr. Khaled Saleh Bawahedi & Dr. Salah Abdullah Ben Furayjat

مجلة علمية محكمة – نصف سنوية – تصدرها جامعة الناصر
السنة الرابعة عشر – العدد السابع والعشرين (يناير – يونيو) ٢٠٢٦ م

مجلة
جامعة الناصر

جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية - تصدرها جامعة الناصر
السنة الرابعة عشر - العدد السابع والعشرين يناير – يونيو ٢٠٢٦ م

رئيس التحرير

رئيس الجامعة
أ.د. ناصر هادي الموفري

مدير التحرير

أ.د. محمد شوقي ناصر عبدالله

الهيئة الإستشارية

أ.د. سلام عبود حسن - العراق
أ.د. جميل عبدالرب المقطري - اليمن
أ.د. صالح سالم عبدالله باحاج - اليمن
أ.د. حسن ناصر أحمد سرار - اليمن
أ.د. عمر محمد عبدالواحد الشجاع - اليمن
أ.د. محمد حسين محمد خاقو - اليمن
أ.د. يوسف محمد العواضي - ماليزيا
أ.د. سعيد منصر الغالبي - اليمن
أ.د. أحمد لطفي السيد - مصر
أ.د. حمود أحمد محمد الفقيه - اليمن
أ.د. منى بنت راجح الراجح - السعودية
أ.د. حسين صالح علي البهجي - اليمن
أ.د. محمد سعيد أراروا - المغرب

هيئة التحرير

أ.د. منير أحمد الأغبري
أ.د. أنور محمد مسعود
أ.د. عبدالكريم قاسم الزمر
د. منصور عبدالله الزبدي
أ.د. إيمان عبدالله المهدي
د. فهد صالح علي الخياط
أ.د. قيس علي صالح النزيلي
أ.د. خالد عبدالسلام ابوبكر الحداد

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية - صنعاء (٦٣٠) لسنة ٢٠١٣م

الرقم الدولي للنسخة الإلكتروني
ISSN (2360-2311)

الرقم الدولي للنسخة المطبوعة
ISSN (7662-2307)

مجلة جامعة الناصر - مجلة علمية محكمة - تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر بحوثهم وإنتاجاتهم العلمية باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية.

شركاء المجلة

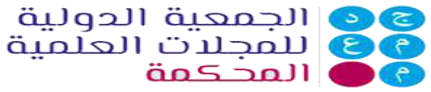

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

أولاً: قواعد النشر:

تقوم مجلة جامعة الناصر بنشر الأبحاث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف مجالات العلم والمعرفة وفقاً للشروط الآتية :

❖ تسليم البحث:

١. يجب ألا يكون البحث قد سلم أو نشر جزء منه أو كله في أي مجلة أخرى.
٢. يجب أن يكون البحث أصيلا متبعاً المنهجية العملمية في كتابة الأبحاث.
٣. لغة البحث يجب أن تكون سليمة ، ويكون البحث خالياً من الأخطاء .
٤. تجنب النقل الحرفي من أبحاث سابقة مع مراعاة قواعد الاقتباس.
٥. أن يحتوى البحث على ملخصين: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الانجليزية، وبما لا يزيد عن ٣٠٠ كلمة للأبحاث الإنسانية و٢٠٠ كلمة للأبحاث التطبيقية لكل ملخص.
٦. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن(٤٠) صفحة للأبحاث الانسانية أو (٢٠) صفحة للأبحاث التطبيقية.
٧. تنسيق البحث وكتابته بحسب قالب المجلة بحيث يمكن تحميلة من الموقع.
٨. يكتب البحث بحجم خط (١٦) عريضاً(**simplified Arabic**) للعناوين الرئيسية، و(١٤) عريضاً للعناوين الفرعية و(١٢) لبقية النص أو(**Times New roman**) للأبحاث باللغة الانجليزية بحجم (١٤) عريضاً للعناوين الرئيسية و(١٢) عريضاً للعناوين الفرعية و (١٢)عادياً لبقية النص، وبتباعد مضاعف وهامش ٢.٥ سم من كل الجهات .
٩. رسالة تغطية موقع عليها من الباحثين، و يمكن تحميل القالب من الموقع.
١٠. تحميل البحث عبر موقع المجلة.
١١. الهوامش أسفل كل صفحة، وترقم كل صفحة على حده، وبحجم خط (٩) (**Arabic Transparent**).
١٢. مراجعة البحث لُغوياً ومطبعياً قبل تسليمه للمجلة .

❖ تنسيق البحث:

أ- **صفحة العنوان** وتشمل عنوان البحث :(مختصر ودقيق ومعبر عن مضمون البحث ولا يحتوي اختصارات)، اسم أو أسماء الباحثين، عناوين الباحثين العلمية، عنوان المراسلة موضحا فيها اسم ومقر عمل وإيميل وتلفون من سيتم مراسلته.

ب- **الملخص:** لا يزيد عن (٣٠٠) كلمة للأبحاث في العلوم الإنسانية و(٢٠٠) كلمة للأبحاث في العلوم التطبيقية، ولا يحتوي مراجع ويعبر عن مقدمة وطرق عمل البحث ونتائجه واستنتاجاته ويكتب باللغتين: العربية والانجليزية.

ت- **كلمات مفتاحية:** ما بين ٤- ٦ كلمات مفتاحية.

ث- **المقدمة** تكون معبرة عن الأعمال التي سبقت البحث وأهميتها للبحث مع كتابة مشكلة البحث وأهميته وأهدافه في نهايتها.

ج- **طرق العمل:** اتباع طرق عمل واضحة .

ح- **النتائج:** تحدد بوضوح، وترقم الأشكال والصور بحسب ظهورها في المتن على أن تكون الصور بجودة لا تزيد عن ٦٠٠*٨٠٠ بكسل غير ملونة وبصيغة JPG ويظهر الشرح الخاص بها أسفل الصورة وبحجم خط ١١، أما الجداول فتكون محددة بخط واحد ومرقمة بحسب الظهور في المتن ويكتب عنوان الجدول أعلى الجدول بخط ١٢ عريضاً بحسب ورودها في المتن:

خ- **المناقشة**

د- **الاستنتاجات**

ذ- الشكر إن وجد

ر- **المراجع:** بأرقام بين قوسين في المتن (١) وفي نهاية البحث تكتب كما يلي:

١. **إذا كان المرجع بحثاً في دورية** : اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، (سنة النشر). "عنوان البحث،" اسم الدورية: رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات.

مثال: الغسلان، عبدالعزيز بن سليمان علي، (٢٠١٧). عقوبة الشروع في الجرائم التعزيرية، مجلة جامعة الناصر، المجلد الأول ، العدد العاشر، ص ٧.

Othman, Shafika abdulkader, (2013). Abstract Impact of the Lexical Problems upon Translating of the Economic Terminology. AL – NASSER UNIVERSITY JOURNAL, 2: 1-22.

٢- **إذا كان المرجع كتاباً :** اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، (سنة النشر). عنوان الكتاب ، اسم الناشر، الطبعة، ارقام الصفحات.

مثال: الكاساني ، علاء الدين ابن أبي بكر بن مسعود، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، م ، ص ١٥٥ .

Byrne, J. (2006). Technical Translation: Usability Strategies for Translating Technical Documents. Dordrecht: Springer.

٣- **إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو دكتوراه :** يكتب اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة،(السنة). "عنوان الرسالة،" يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه ، اسم الجامعة البلد.

مثال: الحيلة، أحمد محمد يحيي، (٢٠١٧). آيات الأحكام في تفسيري الموزعي والثلائي من خلال سورة البقرة، رسالة ماجستير، جامعة الحديدة–اليمن.

Alhailah, Ahmed Mohammed Yahya, (2017). The Verses of Judgments in the Explanations of the Distributors and the Athletes through Surah Al-Baqarah, Master Thesis, Hodeidah University-Yemen

٤- **إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية :** يكتب اسم الجهة، (سنة النشر). عنوان التقرير ، المدينة، أرقام الصفحات.

مثال : وزارة الشئون القانونية، الجريدة الرسمية ، (١٩٩٧). قانون الجرائم والعقوبات اليمني، ١٢٢.

Ministry of Legal Affairs, The Gazette, (1997). The Penal Code of Yemen, p. 122.

٥- **إذا كان المرجع موقعاً إلكترونياً :** يكتب اسم المؤلف،(سنة النشر). عنوان الموضوع ، الرابط الالكتروني.

مثال : روبرت، ج والكر. (٢٠٠٨). الخصائص الاثنتا عشر للمعلم الفعال: دراسة نوعية لاراء المدرسين أثناء وقبل الخدمة، جامعة ولاية الاباما، آفاق تعليمية .

http://files.eric.ed.gov/fulltext/EJ815372.pdf .

Robert J, Walker, (2008). Twelve Characteristics of an Effective Teacher: A Longitudinal, Qualitative, Quasi-Research Study of In-service and Pre-service Teachers' Opinions ", Alabama State University, Educational Horizons, fall. http://files.eric.ed.gov/fulltext/EJ815372.pdf

٦- **وقائع المؤتمر :**اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، عنوان البحث ، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

مثال: عبد الرحمن، عفيف. (١٩٨٣م، ٢٠-٢١ أكتوبر). القدس ومكانتها لدى المسلمين وانعكاس ذلك على كتب التراث. ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام "فلسطين"، مج(٣)، عمان: الجامعة الأردنية.

Abu Alyan, A. (2012, October 20-21). An Intercultural Email Project for Developing Students: Intercultural Awareness and Language Skills. Paper presented at The First International Conference on Linguistics and Literature, IUG, Gaza

❖ إجراءات النشر:

١. بعد استلام البحث ورسوم التحكيم سيعرض البحث على مدير التحرير ومن ثم يتم عرضه على اللجنة الاستشارية المختصة للموافقة المبدئية من عدمها ثم سيرسل للمحكمين الخارجيين .
٢. بناء على قرار المحكمين سيتم قبول البحث بدون تعديلات أو مع تعديلات بسيطة او تعديلات جوهرية أو لا يقبل البحث وستتم موافاة الباحث(الباحثين) بالنتيجة عن طريق الأيميل .
٣. ستعود النسخة المعدلة مرة أخرى إلى المحكم لإ قرارها ومن ثم نشرها في أقرب عدد ممكن.
٤. أبحاث مجلة جامعة الناصر يمكن استعراضها مجانا من موقع المجلة، جامعة الناصر المجلة العلمية المحكمة على الرابط التالي (**www.al-edu.com**) وبالتالي سيتحصل الباحثون على نسخ ورقية والكترونية من أبحاثهم.

٥. النسخ المطبوعة من المجلة مع المستلات يتم بشأنها التواصل مع مدير التحرير .

٦. ترسل البحوث والمراسلات إلى مجلة جامعة الناصر على الرابط الآتي:

الجمهورية اليمنية – صنعاء – جامعة الناصر (**www.al-edu.com**)

المجلة العلمية المحكمة.البريد الإلكتروني للمجلة : **(edu.com/journals)**

هاتف: (536307) تليفاكس (536310) البريد الإلكتروني لمدير التحرير)

(m5sh5n55@gmail.com)

ثانياً : رسوم التحكيم والنشر في المجلة :

تفرض المجلة مقابل نشر البحوث والتحكيم الرسوم الآتية:

- البحوث المرسلة من داخل الجمهورية اليمنية (15000) خمسة عشر ألف ريال.
- البحوث المرسلة من خارج الجمهورية اليمنية (150$) مائة وخمسون دولاراً أمريكياً .
- هذه الرسوم غير قابلة للإرجاع سواء تم قبول البحث للنشر أم لم يتم النشر.
- أعضاء هيئة التدريس والباحثون بجامعة الناصر معفيون من تسديد الرسوم.

ثالثاً : نظام الإشتراك السنوي في المجلة على النحو الآتي :

- للأفراد من داخل اليمن مبلغ وقدره (3000) ثلاثة ألف ريال.
- للأفراد من خارج اليمن مائة دولاراً أمريكياً (100$).
- للمؤسسات من داخل اليمن مبلغ وقدره (1000) عشرة ألف ريال .
- للمؤسسات من خارج اليمن مائتا دولار أمريكياً (200$) .

ملحوظة :

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن توجه المجلة وإنما تعبر عن آراء أصحابها

رقم الإيداع (630) (28 / 10 / 2013 م) (الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع – دار الكتب– صنعاء)

(جميع حقوق الطبع محفوظة للمجلة)

شركاء المجلة

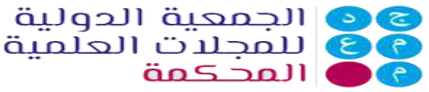

م	الموضوع	الباحث	الصفحة
1	**تطور المصرفية الإسلامية في أوروبا، بنك البوسنة الدولي (BBI) نموذجا**	١- أ.م.د. شهيدة واتي بنت حاج شهوان أستاذ الإقتصاد والمعاملات المشارك – كلية الاقتصاد والمعاملات- جامعة العلوم الإسلامية الماليزية ٢- أبوبكر يحيى أحمد محمد باحث دكتوراة- كلية الاقتصاد والمعاملات- جامعة العلوم الإسلامية الماليزية	**54 - 10**
2	**التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية**	**د.ناصر أحمد الخطري أستاذ القراءات وعلوم القرآن المساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه- كلية التربية- جامعة صنعاء**	**110 - 55**
3	**صنعاء في كتابات الرحالة الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي**	**أ.م.د.عبدالرحمن أحمد المختار أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك بكلية التربية والعلوم والآداب – جامعة عمران د.محمد عبد الله المعلمي استاذ التاريخ الاسلامي المساعد وحضارته بكلية التربية والعلوم والآداب – جامعة عمران**	**166 - 111**
4	**مبادئ الشورى عند المرأة قصة بلقيس نموذجا**	**أ.قمر طويرد حبريش كلشات باحثة دكتوراه – قسم الدراسات الاسلامية- كلية الآداب – جامعة المهرة**	**204 - 167**
5	ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني - دراسة مقارنة	**أ.د. محمد شوقي ناصر عبدالله الأعور أستاذ الفقه وأصوله _ قسم الشريعة والقانون كلية العلوم الإنسانية _ جامعة الناصر أ.منال العواضي – بثينة الشيباني**	**250 - 205**
6	التحديات البيئية والاجتماعية والاقتصادية للزراعة في وادي حجر- حضرموت نموذجا	**١- أ.د. خالد صالح باواحدي أستاذ علوم البيئة – قسم العلوم البيئية – كلية العلوم البيئية والاحياء البحرية – جامعة حضرموت ٢- د. صلاح عبدالله بن فريجات أستاذ علوم البيئة المساعد – قسم العلوم البيئية – كلية العلوم البيئية والاحياء البحرية – جامعة حضرموت**	**275 - 251**

جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

الحمد لله والصلاة واسلام على سيدنا محمد وعلى آله وبعد:

تتشرف جامعة الناصر بإصدار العدد (27) دورة (يناير – يونيو) 2026 م من المجلة العلمية المحكمة للجامعة، والذي يتزامن صدوره مع استمرار الحرا الأكاديمي بالجامعة، من خلال تطوير بنيتها الأكاديمية وفق معايير الجودة والإعتماد الأكاديمي سعيا منها إلى تحقيق كفاءة عالية في القيام بمهامها الثلاث المتمثلة بـ:

(التعليم – والبحث العلمي– وخدمة المجتمع).

وتأتي هذه المجلة ضن المهمة الثانية للجامعة للمشاركة في البحث العلمي الفعال، والعمل على تشجيع الباحثين من أكاديميين وباحثين وطلاب الدراسات العليا وغيرهم في نشر أبحاثهم.

وقد تضمن هذا العدد (6) أبحاث ذات قيمة علمية عالية في مجالات علمية مختلفة، تقدم بها باحثون ينتمون إلى جامعات يمنية وعربية عريقة.

وإذ تقدم إدارة تحرير المجلة هذا العدد لباحثيها وقرائها الأعزاء بثوبها القشيب وشروطها المحدثة،لأتؤكد المجلة مجدداً التزامها الدقيق بإتباع المنهجية العلمية السليمة ، والسرية التامة في تحكيم الأبحاث العلمية .

وأخيراً نتقدم بالشكر والتقدير إلى القائمين على هذه المجلة بمناسبة صدور هذا العدد للسنة الرابعة عشر على التوالي، والشكر موصول لكل الباحثين لمساهمتهم في إثراء المجلة ونعزيز البحث العلمي الرصين.

رئيس الجامعة

أ. د. ناصر هادي الموفري

رئيس التحرير

جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

تطور المصرفية الإسلامية في أوروبا، بنك البوسنة الدولي (BBI) نموذجا

١–أ.م.د. شهيدة واتي بنت حاج شهوان

أستاذ الإقتصاد والمعاملات المشارك – كلية الاقتصاد والمعاملات– جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

٢– أبوبكر يحيى أحمد محمد

باحث دكتوراة– كلية الاقتصاد والمعاملات– جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الملخص

تتناول هذه الدراسة التطور التاريخي للمصرفية الإسلامية في القارة الأوروبية، مع التركيز على نموذج بنك البوسنة الدولي (BBI) بوصفه أحد أبرز التجارب الناضجة في البيئة الأوروبية. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التاريخي، مستندة إلى المصادر العربية والأجنبية والتقارير المالية والرسمية للبنك. وقد توصلت الدراسة إلى أن تجربة بنك البوسنة الدولي (BBI) قدمت نموذجا ناجحا للعمل المصرفي الإسلامي في بيئة أوروبية انتقلت من الاشتراكية إلى اقتصاد السوق، إذ أصبح سابع أكبر بنك في البوسنة والهرسك من حيث إجمالي الأصول، مسهما في تعزيز الاقتصاد في البوسنة والهرسك ونموذجا عمليا ناجحا للمصرفية الإسلامية في أوروبا. كما أبرزت الدراسة أن الصورة النمطية عن غياب الحلول المصرفية الإسلامية في أوروبا لم تعد دقيقة، وأن ثمة فرصا حقيقية لتوسيع هذه الصناعة. وأوصت الدراسة بتكثيف البحوث الأكاديمية حول التجارب الناجحة، وتشجيع المؤسسات المالية الإسلامية على الاستثمار في السوق الأوروبية، وتطوير الأطر التشريعية والرقابية الملائمة للمصرفية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: (المصرفية الإسلامية، التمويل الإسلامي، أوروبا، بنك البوسنة الدوليBBI ، البلقان).

1

Evolution of Islamic Banking in Europe: Bosnia Bank International (BBI) as a Model

1. Dr. Shahida Wati Bent Haj Shahwan
Associate Professor of Economy & Transactions, Faculty of Economy & Transactions, Islamic Science University of Malaysia
2. Abu Bakr Yahya Ahmed Mohammed
PhD Research Scholar, Faculty of Economy & Transactions, Islamic Science University of Malaysia

Abstract:

This study explores the historical development of Islamic banking in Europe, with particular emphasis on the experience of the Bosna Bank International (BBI) as one of the most established Islamic banking models in Europe. The study employs a descriptive and historical approach based on Arabic and foreign references, in addition to the bank's official and financial reports. The findings indicate that BBI has succeeded in providing an effective Islamic banking model within a European environment that shifted from socialism to a market economy. The bank became the seventh largest bank in Bosnia and Herzegovina in terms of total assets and played an important role in supporting the national economy. The study also shows that the assumption that Europe lacks Islamic banking alternatives is no longer valid, as the sector holds promising opportunities for future growth. The study recommends expanding academic research on successful Islamic banking experiences, encouraging Islamic financial investment in European markets, and strengthening the legislative and regulatory framework governing Islamic banking.

Keywords: Islamic Banking, Islamic Finance, Europe, Bosna Bank International (BBI), Balkans.

المقدمة

شهدت صناعة التمويل الإسلامي في العقود الخمسة الماضية نموا متسارعا، حتى بلغ حجمها التقديري عام ٢٠٢٤ نحو ٣.٩ تريليونات دولار موزعة على أكثر من ثمانين دولة حول العالم، مع توقعات بأن يصل سوق التمويل الإسلامي العالمي إلى ٤.٩ تريليونات دولار عام ٢٠٢٥، وأن يبلغ إجمالي قيمة الأصول ٦.٦٧ تريليونات دولار بحلول عام ٢٠٢٧ (سناجلة، ٢٠٢٥).

ورغم أن المنشأ التاريخي لهذه الصناعة كان في العالم الإسلامي، فإن جذورها الأوروبية أعمق مما يظنه كثير من الباحثين، إذ يعود أول انخراط للبنوك الأوروبية في التمويل غير الربوي إلى عشرينيات القرن العشرين.

وتأتي هذه الدراسة في سياق إعادة قراءة التاريخ المصرفي الأوروبي من زاوية مختلفة، تكشف عن الحضور المبكر للتمويل المتوافق مع الشريعة الإسلامية في القارة العجوز، وعن النضج الذي بلغته بعض التجارب الأوروبية، ولا سيما في منطقة البلقان التي قدمت نماذج مصرفية إسلامية متكاملة سبقت زمنياً نظيراتها في أوروبا الغربية. ويعد بنك البوسنة الدولي (Bosna Bank International – BBI) أبرز هذه النماذج، فهو أول بنك إسلامي في البوسنة والهرسك وفي جنوب شرق أوروبا يعمل وفقا لمبادئ التمويل الإسلامي، وقد أسهم خلال ربع قرن من عمله في إعادة رسم ملامح المشهد المصرفي في بلده ومنطقته.

وقد بنيت هذه الدراسة على فصل من رسالة دكتوراه أعدها الباحث، وتم إعادة صياغته ليكون بحثا مستقلا قابلا للنشر في دورية علمية محكمة، مع الحرص على الإبقاء على المادة العلمية الأصلية كما هي، وعدم التدخل فيها إلا بما تقتضيه ضرورة الاختصار أو الإحالة، وذلك حفاظاً على أصالة العمل البحثي وأمانته العلمية.

مشكلة الدراسة :

تنطلق مشكلة الدراسة من ملاحظة جوهرية مفادها أن المصرفية الإسلامية في أوروبا لا تزال غير واضحة المعالم لدى شريحة واسعة من الباحثين والممارسين والجمهور العام، رغم أن بدايات انخراط البنوك الأوروبية في التمويل غير الربوي تعود إلى عشرينيات القرن العشرين، وأن بعض نماذجها قد بلغ مرحلة من النضج المؤسسي تستحق الدراسة والتأمل.

ويترتب على هذا الغموض جملة من الإشكاليات يمكن إجمالها فيما يلي:

استمرار الصورة النمطية لدى كثير من الناس بأن أوروبا خالية من الحلول المصرفية الإسلامية، الأمر الذي يدفع شرائح من الجاليات المسلمة إلى البحث عن مخارج فقهية قديمة تبيح التعامل بالربا لتمويل حاجياتهم الأساسية كشراء المساكن والسيارات.

ضعف معرفة المجتمعات الإسلامية والمؤسسات الأكاديمية بالنجاحات التي حققتها بعض البنوك الإسلامية في البيئة الأوروبية، كتجربة بنك البوسنة الدولي، وما يترتب على ذلك من فقدان فرصة الاستفادة من هذه التجارب وتعميمها والتوجه لها.

عدم تغطية الصناعة المصرفية الإسلامية للسوق الأوروبية بالشكل الذي يتناسب مع حجم الطلب المتنامي، خصوصا في ظل تزايد الجاليات المسلمة في أوروبا.

أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والعملية، يمكن إجمالها في الآتي:

إبراز الدور التاريخي للعمل المصرفي الإسلامي في أوروبا، ابتداء من جذوره الأولى في عشرينيات القرن العشرين، وانتهاء بنماذجه المعاصرة الناضجة.

تسليط الضوء على بعض النماذج المصرفية الإسلامية الناجحة في أوروبا، وعلى رأسها تجربة بنك البوسنة الدولي بوصفه أبرز بنك إسلامي في البوسنة والهرسك وجنوب شرق أوروبا.

تشخيص فرص الاستثمار المتاحة للمؤسسات المالية الإسلامية في السوق الأوروبية، في ضوء الاحتياج المتنامي وقصور التغطية القائمة.

تصحيح الصورة النمطية السائدة عن خلو أوروبا من الحلول المصرفية الإسلامية، وتعريف الجاليات المسلمة بجانب من الخيارات المتوافقة مع أحكام الشريعة المتاحة لها.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن سؤال رئيسي مفاده: كيف تطورت المصرفية الإسلامية في أوروبا؟، وكيف يمثل بنك البوسنة الدولي نموذجا ناجحا لها؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية:

ما المقصود بالبنوك الإسلامية، وما الدوافع التي أدت إلى تأسيسها؟

ما المراحل التاريخية لتطور المصرفية الإسلامية في أوروبا الغربية والشرقية؟

ما الفرص والتحديات التي تواجه البنوك الإسلامية في البيئة الأوروبية؟

كيف نشأ بنك البوسنة الدولي، وما هيكله التنظيمي وخدماته ونتائجه المالية؟

ما الدروس المستفادة من تجربة بنك البوسنة الدولي للصناعة المصرفية الإسلامية في أوروبا؟

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات يمكن تصنيفها إلى محورين رئيسين، أكاديمي وعملي، على النحو الآتي:

الأهمية الأكاديمية:

سد فجوة بحثية واضحة في الأدبيات العربية المتعلقة بالمصرفية الإسلامية في أوروبا الشرقية، إذ تتركز معظم الدراسات السابقة على تجارب أوروبا الغربية، ولا سيما بريطانيا، مع إغفال نسبي للتجارب في أوروبا الشرقية.

إثراء المكتبة العلمية بدراسة استقرائية تاريخية تربط بين الجذور الأوروبية المبكرة للتمويل غير الربوي والنماذج المعاصرة.

توفير مرجع أكاديمي حديث لطلاب الدراسات العليا والباحثين المهتمين بمجال الاقتصاد الإسلامي والصيرفة الإسلامية، يجمع بين التأصيل التاريخي والمعطيات المالية الحديثة.

فتح آفاق جديدة للبحث المقارن بين تجارب البنوك الإسلامية في البيئات الإسلامية والبيئات غير الإسلامية، بما يخدم تطور الإطار النظري للصناعة.

الأهمية العملية:

تقديم خلاصة عملية لصناع القرار في المؤسسات المالية الإسلامية، تساعدهم على تقييم فرص التوسع في السوق الأوروبية، استنادا إلى دراسة حالة بنك البوسنة الدولي.

توعية المؤسسات الإسلامية والجاليات المسلمة في أوروبا بوجود حلول مصرفية شرعية متاحة، وحثها على الانتقال من التعامل مع البنوك التقليدية إلى البدائل الإسلامية المعتمدة.

توفير مادة معرفية للجهات التشريعية والرقابية في الدول الأوروبية، تساعدها على فهم النموذج المصرفي الإسلامي وتطوير الأطر التنظيمية الملائمة له.

تقديم تجربة بنك البوسنة الدولي بوصفها نموذجا قابلا للتكرار في دول أوروبية أخرى، مع مراعاة الخصوصيات المحلية لكل دولة.

منهجية الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التاريخي، باعتباره الأنسب لطبيعة الموضوع ومتطلباته. ويقوم هذا المنهج على وصف الظاهرة المدروسة وصفا دقيقا، واستقراء جزئياتها للوصول إلى أحكام كلية، وتتبع تطورها التاريخي عبر المراحل المختلفة. وقد اعتمدت الدراسة في مصادرها على المراجع العربية والأجنبية المتخصصة

في الاقتصاد الإسلامي والصيرفة الإسلامية، إضافة إلى التقارير المالية الرسمية الصادرة عن بنك البوسنة الدولي، والإحصاءات الموثقة من المنصات المتخصصة.

الدراسات السابقة :

تنوعت الدراسات التي تناولت المصرفية الإسلامية في أوروبا بين دراسات ذات طابع شامل تتناول القارة الأوروبية كلها، ودراسات قطرية متخصصة في تجربة دولة بعينها، ودراسات تحليلية مقارنة بين البنوك الإسلامية والتقليدية. ويستعرض الباحث فيما يلي أبرز هذه الدراسات مرتبة ترتيبا زمنيا تنازليا، مع بيان موضع الإفادة منها في الدراسة الحالية:

دراسة Čiković (2024) بعنوان The Efficiency of Islamic Banking in the Balkans: The Case of BBI Bank in Bosnia and Herzegovina، اعتمدت الباحثة منهجية تحليل مغلف البيانات (DEA) لمقارنة كفاءة بنك BBI بالبنوك التقليدية البوسنية خلال الفترة ٢٠١٦-٢٠٢١، وتعد أول دراسة من نوعها لتقييم كفاءة البنوك الإسلامية والتقليدية خلال جائحة كوفيد-١٩ في غرب البلقان. وتوصلت إلى أن المصرفية الإسلامية أظهرت كفاءة أقل من نظيرتها التقليدية في تلك الفترة. وقد استفادت الدراسة الحالية منها في فهم تحديات الكفاءة، وتختلف عنها في تبنيها المنهج الوصفي التاريخي بدلا من التحليل الكمي .

١. دراسة Smolo, Šeho & Hassan(2020) بعنوان Development of Islamic Finance in Bosnia and Herzegovina: تتبع الباحثون الأداء

المالي لبنك BBI خلال الفترة ٢٠٠٦–٢٠١٩، وتوصلوا إلى أن معدل النمو السنوي المركب لأصوله بلغ ١٨.١% مقارنة بمتوسط السوق البالغ ٦.٦%، وأن حصته السوقية ارتفعت من ١% إلى ٣.٦١%. وقد استفادت الدراسة الحالية منها في تحليل الأداء المالي للبنك وتطور أداءه، وتختلف عنها في تبنيها منظورا تاريخيا يتجاوز التحليل المالي إلى السياق الأوروبي الأشمل.

٢. دراسة Casper & Ait Alla (2017) بعنوان Islamic Finance Made in Germany – A Case Study on Kuveyt Türk (KT Bank) : Germany's First Islamic Bank، قدم الباحثان دراسة حالة شاملة لبنك KT Bank AG، أول بنك إسلامي مرخص بالكامل في ألمانيا (افتتح عام ٢٠١٥)، وخلصا إلى أن القانون الألماني لا يضع عقبات جوهرية أمام المصرفية الإسلامية متى توفرت الهياكل الملائمة. وقد استفادت الدراسة الحالية منها في توثيق التجربة الألمانية، وتختلف عنها في توسيع نطاق الدراسة ليشمل أوروبا الشرقية .

٣. دراسة Kubiszewska & Komorowski (2016) بعنوان An Assessment of Islamic Banking in Bosnia and Herzegovina – A Comparative : Analysis Using the CAMELS Approach، اعتمد الباحثان منهجية CAMELSالدولية لتقييم الأداء المصرفي، وأجريا مقارنة منهجية بين بنك BBI والبنوك التقليدية في البوسنة والهرسك ومنطقة البلقان الأوسع. وتعد من المراجع الأساسية للتعرف على المركز المالي للبنك وقدرته التنافسية. وقد استفادت الدراسة الحالية منها توثيق المؤشرات المالية، واختلفت عنها في كون الدراسة الحالية ذات طابع وصفي تاريخي لا تحليلي مالي .

٤. دراسة Sobol (2015) بعنوان Islamic Banking in the European Union Countries: حللت الباحثة وضع المصرفية الإسلامية في دول الاتحاد الأوروبي، ورصدت جملة من التحديات أبرزها نقص التشريعات المناسبة، ومشاكل إدارة المخاطر، وارتفاع تكاليف المنتجات، والعداء للإسلام في بعض المجتمعات. وقد استفادت الدراسة الحالية منها في تحليل ما تواجهه المصرفية الإسلامية في أوروبا من تحديا، وتختلف عنها في تركيزها على دراسة حالة محددة وهي بنك البوسنة الدولي .

٥. دراسة بنعلي (٢٠١٣) بعنوان: تجربة المصرفية الإسلامية في بريطانيا. تتبع الباحث البدايات الأولى للصيرفة الإسلامية في بريطانيا منذ أواخر السبعينيات، وصولا إلى ميلاد البنك الإسلامي البريطاني (IBB) عام ٢٠٠٤ بوصفه أول بنك إسلامي بكل مواصفات الصيرفة الإسلامية في أوروبا الغربية. وقد استفادت الدراسة الحالية منه في توثيق التجربة البريطانية وتطورها الزمني، وتختلف عنه في كونها لا تقتصر على دولة واحدة، بل تتناول التجربة الأوروبية بشقيها الغربي والشرقي .

٦. دراسة قحف (٢٠٠١) بعنوان: الاقتصاد الإسلامي مراجعة عامة. اعتمدت هذه الدراسة بوصفها مرجعا تأسيسيا يربط الجذور التاريخية بالامتدادات اللاحقة للصناعة، إذ قدم الدكتور منذر قحف رواية تأسيسية لتطور الفكر الاقتصادي الإسلامي والتجربة المصرفية الإسلامية، انطلاقا من تجربة ميت غمر المصرية عام ١٩٦٣، وصولا إلى انطلاقة البنوك الإسلامية الكبرى في منتصف السبعينيات. واستفادت الدراسة الحالية منها في توثيق الجذور التاريخية للصناعة، وتختلف عنها في تركيزها الجغرافي على التجربة الأوروبية.

الفجوة البحثية :

يتضح مما سبق أن الدراسات السابقة سلكت ثلاثة مسارات وهي: التحليل المالي الكمي لبنكBBI ، ودراسات الحالة القطرية المنفردة لبعض الدول الأوروبية، والعرض العام لتحديات المصرفية الإسلامية في أوروبا، وتسعى الدراسة الحالية إلى سد فجوتين: الأولى غياب دراسة تربط بين الجذور المبكرة لنشأة البنوك الإسلامية في أوروبا، والنماذج المعاصرة خصوصا في أوروبا الشرقية في إطار واحد، والثانية اقتصار ما كتب عن بنك BBIعلى الجوانب المالية، دون ربطه بسياقه الأوروبي الأوسع. كما تنفرد هذه الدراسة بكونها الدراسة العربية الوحيدة – حسب اطلاع الباحث– التي تتناول بنك البوسنة الدولي والتجربة المصرفية الإسلامية في أوروبا الشرقية.

المبحث الأول

محددات البنك الإسلامي

من المهم معرفة محددات البنك الإسلامي لكي نتمكن من تكوين تصور صحيح ودقيق لفهم هذه المؤسسة وكيفية التعامل معها بناء على أهدافها وفكرتها.

علاقة هذا العنوان بموضوع الدراسة وثيقة، فبدون تحديد المفاهيم الأساسية والتعريفات الرئيسية لمفردات الدراسة لا يمكن توحيد المفاهيم والوصول إلى نتائج علمية وبحثية دقيقة.

أولا: التعريف بالبنوك الإسلامية:

يقدر حجم صناعة التمويل الإسلامي عام ٢٠٢٤ بنحو ٣.٩ تريليونات دولار موزعة على أكثر من ٨٠ دولة في العالم، وسط توقعات بأن يصل سوق التمويل الإسلامي العالمي إلى ٤.٩ تريليونات دولار عام ٢٠٢٥. كما من المتوقع أن يبلغ إجمالي قيمة أصول أسواق التمويل الإسلامي العالمية ٦.٦٧ تريليونات دولار بحلول عام ٢٠٢٧، وفقاً لمنصة ستاتيستا (سناجلة، ٢٠٢٥).

ويمكن تعريف البنوك الإسلامية بأنها: "تلك البنوك أو المؤسسات التي ينص قانون إنشائها ونظامها الأساسي صراحة على الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية وعلى عدم التعامل بالفائدة أخذا وعطاء" (الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ١٩٧٧).

يقصد بالمصرفية الإسلامية أنها جميع الخدمات المصرفية التي تستند إلى المبادئ الإسلامية، والتي تمنع التعامل بأي شكل من أشكال الفوائد الربوية، وتعتمد بدلا من ذلك على تقاسم الأرباح والخسائر، وتحقيق العوائد من خلال أدوات استثمارية تتوافق مع أحكام الشريعة. ويمكن تلخيص المبادئ الأساسية التي يقوم عليها التمويل الإسلامي في مجموعة من المرتكزات، وهي: منع الربا، وتحريم الميسر والغرر، والابتعاد عن الأنشطة المحرمة، والمشاركة في الربح والخسارة، وربط كل عملية تمويلية بأصل حقيقي (النوري، ٢٠٠٩).

ومن هنا تظهر أهم ركيزة للبنوك الإسلامية كمؤسسات تعرف نفسها بأنها ملتزمة بمبادئ الشريعة الإسلامية في معاملاتها.

وفي إطار هذا التصور العام، يمكن حصر أهداف البنك الإسلامي ضمن محورين رئيسين. يتمثل المحور الأول في الأهداف العامة المشتركة، والتي تتركز في استبدال نظام الفوائد بوسائل التمويل الإسلامية مثل: المضاربة والمشاركة والمرابحة والسلم، والعمل على تحقيق الربح من خلال هذه الصيغ المشروعة في مختلف العمليات والخدمات. أما المحور الثاني، فيتعلق بالأهداف الخاصة التي تختلف من بنك إلى آخر، حسب طبيعته وغايته، فقد يكون الهدف تنموياً أو تعاونياً، أو يسعى البنك إلى تشجيع نوع معين من الاستثمارات، أو يخدم غرضاً خاصاً آخر يتناسب مع رؤيته ورسالة تأسيسه (خالدي، ٢٠٠٥) .

يشرح الدكتور أحمد عبد العزيز النجار، وهو أحد أهم مؤسسي البنوك الإسلامية، في كتابه "بنوك بلا فوائد" فكرة البنوك الإسلامية فيقول: "والمؤسسة التي نعنيها ونريد أن نطرح نموذجها للمناقشة هي: بنوك بلا فوائد كطريق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في مجتمعاتنا الإسلامية. والفروض التي ترتكز عليها هذه المؤسسة في الاتصال والتأثير هي: القيمة العظمى للدين في نفوس الناس في العالم العربي، والقيمة الضخمة للنقود في علاقاتهم وسلوكهم. لعل مناط التفريق بين النظام الذي تطرحه هذه البنوك (الإسلامية) وبين غيرها أنها تقوم –تعبيراً عن الإسلام– بربط الحياة الاقتصادية بالحياة الخلقية، والحياة الاجتماعية بالحياة الدينية، ذلك أن الخطأ الأكبر الذي تقع فيه المؤسسات الاقتصادية المشابهة (البنوك الربوية) أنها تنظر متساوية مع النظريات الاقتصادية الغربية إلى الإنسان على أنه مجرد حيوان اقتصادي" (النجار، ١٩٨٤).

ثانيا: الدوافع والأهداف لتأسيس البنوك الإسلامية:

لقد تكررت الدعوات الرافضة للربا في المجتمعات الإسلامية، وارتفعت أصوات العلماء والمصلحين تنادي ببيان حرمته، وتوضح الوعيد الشديد الذي توعد الله به من يتعامل به، رغبة في تخويف الناس وتنبيههم إلى خطره العظيم. وقد أدرك رموز الفكر الإسلامي ورواد الصحوة منذ زمن بعيد أن التخلص من الاستعمار السياسي وحده لا يكفي، بل لا بد من تحقيق الاستقلال الاقتصادي الذي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال منظومة ترتكز على الدين وتستمد أسسها من الشريعة الإسلامية، باعتبارها التعبير الحقيقي عن عقيدة الأمة. ومنذ بدايات الإصلاح، ظهرت أصوات مفكرين كبار مثل جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وابن باديس، ومحمد إقبال، والمودودي، وحسن البنا، وعبد القادر عودة، ومحمد الغزالي، تضع تصورا عاما لمبادئ الاقتصاد الإسلامي وتؤكد على الحاجة الملحة لتحرير النشاط الاقتصادي من قبضة الربا. غير أن تلك الجهود بقيت في إطار التنظير، ولم تتمكن في أغلبها من تقديم حلول عملية قابلة للتنفيذ، كما أنها لم تتوصل إلى بناء بدائل مؤسسية حقيقية يمكن أن تستوعب النشاط الاقتصادي للمسلمين بشكل يتفق مع أحكام الشريعة ويغنيهم عن التعامل مع المؤسسات الربوية (النجار، ١٩٩٣).

وخلال العقدين الممتدين من أوائل الخمسينيات وحتى أواخر الستينيات، تركز اهتمام الكثير من الاقتصاديين المسلمين والمصرفيين والعلماء الشرعيين والسياسيين الإسلاميين على إمكانية إدارة مؤسسات مالية لا تعتمد على الفائدة، وعلى تطوير بدائل مصرفية

تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية. ويمكن القول إن من أوائل هذه المحاولات ما نشره أنور إقبال قرشي في كراتشي عام ١٩٤٨ في كتابه "الإسلام والفائدة"، ثم تلاه أبو الأعلى المودودي في كتابه "الربا"، وسيد قطب في كتابه المعروف "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، كما نشرت مقالة لمحمد عزيز ترجمت إلى العربية في دمشق عام ١٩٥٦، أعقبها كتاب محمد باقر الصدر "البنك اللاربوي" عام ١٩٦١. لقد ساهمت هذه الأعمال في تهيئة الرأي العام الإسلامي لفكرة البنوك الإسلامية، بل وأشعلت في نفوس الجماهير رغبة قوية في وجود مؤسسات مصرفية تنسجم مع معتقداتهم. ومع أن انطلاقة البنوك الإسلامية لم تكن متوقعة، إلا أنها جاءت متزامنة في منطقتين متباعدتين جغرافياً؛ الأولى في ريف الوجه البحري في مصر، والثانية في العاصمة الماليزية كوالالمبور، لتبدأ بذلك تجربة رائدة في عالم التمويل الإسلامي (قحف، ٢٠٠١).

ويختم الباحث هذه الفقرة بكلام مهم لمؤسس أول بنك إسلامي في العالم الدكتور أحمد النجار (١٩٩٣)، حيث قال: "لقد كانت الفكرة الرئيسية في البنك الإسلامي الأول أن يكون تجسيداً للنظرية العامة للإسلام عن الاقتصاد، وتطبيقاً للمثل والقيم الإسلامية، وأن يكون أداة لخدمة المجتمع من أقل مستوياته حتى أعلاها، بحيث يمكن أن يتجه إليه كل من تمس به ضائقة، أو كل من لديه موهبة، أو كل من يفيض عن حاجته مال، كل هؤلاء يمكن أن يجدوا البنك الإسلامي يفسح لهم المجال ويحقق لهم أن يقدموا إضافتهم، أو ينالوا حقهم، ويحس المجتمع ككل أن هناك هيئة تعد نفسها مستخلفة في هذا المجتمع ومسؤولة عن إعماره". وقد وضع الكاتب كلمة "مستخلفة" بين قوسين لبيان أنها اقتباس

من الآية الكريمة في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، أي أن هذه المؤسسة من مهامها تحقيق أمر الله تعالى في الأرض واستخلافه بما يرضيه.

المبحث الثاني

البنوك الإسلامية في العالم الإسلامي وأوروبا (نبذة تاريخية)

إن التعريف بالبنك الإسلامي كمؤسسة يستلزم الحديث عن الخلفية التاريخية للبنوك الإسلامية والدوافع التي لأجلها تم استحداثها في الساحة المالية، بما في ذلك ذكر نبذة عن التجارب الرائدة في هذه الصناعة المالية الجديدة، بداية بالتجربة الماليزية الرائدة والتجربة المصرية والعربية، وانتهاءً بالتجربة الأوروبية على وجه الخصوص، حتى يستطيع القارئ أن يكون ملماً بالبيئة التي يعمل فيها البنك موضع الدراسة) بنك البوسنة الدولي(BBI ، ومدى التحديات التي تواجهه كبنك إسلامي يعمل في بيئة خارج العالم الإسلامي.

أولا: التجربة الماليزية في إنشاء البنوك الإسلامية:

بدأ الحديث عن المصارف الإسلامية في ماليزيا في عام ١٩٦٢، عندما بدأ الماليزيون المسلمون يهتمون بعمل آلية تقوم بادخار المال لتمكينهم من الحج، حيث قاموا بتأسيس منظمة اسمها تابونغ حجي (Tabung Haji) تأسست في نوفمبر عام ١٩٦٢، وبدأت العمل رسمياً عام ١٩٦٣. وتعود فكرة إنشاء الصندوق إلى الاقتصادي "إنكو عزيز Ungku Aziz"حينما دعا إلى إنشاء مؤسسة غير ربوية تقوم على ادخار أموال

الماليزيين الراغبين في الحج واستثمارها في طرق تتوافق مع الشريعة الإسلامية ولا تدخل فيها الفوائد التي يتم الحصول عليها من البنوك التقليدية، وقد حققت هذه الهيئة نظاماً ادخارياً خدمياً إسلامياً بعيداً عن مشكلات البنوك الربوية.

وبعد نجاح هذا النموذج للادخار الإسلامي، بدأ الاهتمام الحكومي بعمل بنوك إسلامية مستقلة، تُرجم ذلك في عام ١٩٨١م بتأسيس هيئة عامة تتكون من عشرين خبيراً مصرفياً لدراسة إمكانية عمل مصارف إسلامية في ماليزيا ورفع النتائج للحكومة، وكانت النتائج إيجابية، أي أنه يجب عمل قانون مستقل لعمل المصارف الإسلامية. وهو ما تم تجسيده فعلياً في ٧ أبريل ١٩٨٣ من خلال إصدار قانون البنوك الإسلامية (IBA) الذي أعطى الصلاحية التامة لبنك نيغارا للإشراف على البنوك الإسلامية وتنظيمها، تلاه في ١ يوليو ١٩٨٣ إقامة أول بنك إسلامي مستقل تحت اسم "بنك إسلام"، حيث سُطرت أهدافه وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية، وذلك في ظل استراتيجية الحكومة الماليزية لدعم المسلمين الملاي (ساعد وخوني، ٢٠١٧).

ثانيا: التجربة المصرية والعربية في تأسيس البنوك الإسلامية:

اعتمد الباحث في هذه الفقرات على رواية أحد رواد الاقتصاد الإسلامي، وهو الدكتور منذر قحف (٢٠٠١)، التي يتحدث فيها عن التجربة المصرية والعربية للعمل المصرفي الإسلامي، حيث ذكر أن التجربة العملية الأولى للمصارف الإسلامية بدأت في عام ١٩٦٣ على يد الدكتور أحمد عبد العزيز النجار، حيث قام بإنشاء مجموعة من بيوت التوفير والاستثمار في عدد من المدن الصغيرة في ريف شمال مصر. وقد عرفت هذه

التجربة باسم تجربة ميت غمر، نسبة إلى البلدة التي احتضنت أول بيت من هذه البيوت. لكن التجربة لم تكتب لها الاستمرارية، إذ تم إغلاق جميع البيوت في عام ١٩٦٧ بقرار من الحكومة المصرية، التي كانت في ذلك الوقت تتبنى توجهات متحفظة تجاه كل ما له صلة بالمشاريع ذات الطابع الإسلامي.

ورغم قصر عمر التجربة، إلا أنها لاقت قبولاً واسعاً، خاصة من الفلاحين والمزارعين وأصحاب الحرف، وتمكنت من تحقيق نجاح ملحوظ، تمثل في سرعة انتشارها من بلدة إلى أخرى، كما ساهمت في رفع معدلات الادخار بين ذوي الدخل المحدود، وشجعت على بروز مبادرات فردية لأصحاب المشاريع الصغيرة.

وفي عام ١٩٧١، بادرت الحكومة المصرية بإنشاء أول بنك إسلامي رسمي تحت اسم بنك ناصر الاجتماعي، وهو بنك مملوك وممول بالكامل من قبل الدولة. وقد التزم البنك منذ تأسيسه بالمبادئ الإسلامية، مثل التمويل الخالي من الفائدة وتوزيع الزكاة. كما نص قانونه التأسيسي على إلزام شركات القطاع العام بالتبرع بنسبة ٢.٥ بالمئة من أرباحها لصالح البنك، وهي نسبة مقصودة للتذكير بفريضة الزكاة. وكان من مهام البنك أيضاً جمع الزكاة من الراغبين في أدائها وتوزيعها على مستحقيها بحسب أحكام الشريعة.

ورغم أهمية هذه المبادرات، إلا أن البنوك الإسلامية في تلك المرحلة لم تكن تقدم خدمات مصرفية تجارية متكاملة، ولم تكن تلبي الاحتياجات التمويلية اليومية لقطاعات الأعمال المختلفة، مثل التجارة الداخلية، والاستيراد، والتصدير، والتمويل قصير الأجل.

لكن في منتصف السبعينيات بدأت ملامح جديدة تظهر على المشهد المصرفي الإسلامي، مع انطلاق تجربتين رائدتين على نطاق واسع، وهما بنك دبي الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية. وجاء ذلك في سياق التحولات الاقتصادية التي شهدها العالم الإسلامي بعد الطفرة النفطية الكبيرة التي أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣، والحظر النفطي العربي الذي تبعها.

أما البنك الإسلامي للتنمية، فقد جاءت الدعوة إلى إنشائه من قبل قادة ثلاث دول إسلامية هي السعودية والجزائر والصومال، وتم التوقيع على اتفاقية تأسيسه في عام ١٩٧٤، وقد أكد الموقعون أن البنك سيلتزم في جميع معاملاته بأحكام الشريعة الإسلامية. وفي دبي، كان الشيخ سعيد لوتاه، رجل الأعمال المعروف بالتقوى وروح المبادرة، وصاحب العلاقة الوثيقة مع الأسرة الحاكمة، قد بادر عام ١٩٧٤ بتأسيس بنك دبي الإسلامي، الذي يعتبر أول بنك تجاري إسلامي. وبفضل مكانته وثقة المجتمع فيه، حصل على هامش واسع من الحرية لتجربة فكرته وتطبيق رؤيته الخاصة للإدارة المصرفية المتوافقة مع الشريعة.

بعد ذلك توالى تأسيس البنوك الإسلامية في عدد من الدول، فتم إنشاء بيت التمويل الكويتي عام ١٩٧٧، ثم بنك فيصل في كل من السودان ومصر عام ١٩٧٨، تلاهما في عام ١٩٧٩ كل من بنك البحرين الإسلامي والبنك الإسلامي الأردني. ومع مطلع الثمانينيات، امتد هذا الحراك إلى دول مثل باكستان وقطر وبعض البلدان الأوروبية.

المبحث الثالث

تجربة البنوك الإسلامية في أوروبا

أولا: البنوك الإسلامية في أوروبا الغربية:

بدأ أول انخراط للبنوك الأوروبية في التمويل غير الربوي في عشرينيات القرن العشرين. في ذلك الوقت، سمح للبنك الشرقي، سلف ستاندرد تشارترد، بفتح فرع في البحرين بشرط تجنب جميع المعاملات الربوية. وفي الوقت نفسه، وبنفس الشرط، سمح للبنك الوطني الهولندي للمعاملات اليدوية، سلفABN–Amro ، بإنشاء فرع في جدة، بهدف تقديم خدمات الصرافة للحجاج من إندونيسيا الهولندية.(Sobol, 2015)

ثم في نهاية سبعينيات القرن الماضي، استهوى النجاح الباهر الذي حققته البنوك الإسلامية كثيرا من المتعاملين والمودعين، مما استدعى إنشاء بنوك إسلامية في دول أخرى غير إسلامية، حيث توجد أقليات مسلمة، مثل الولايات المتحدة وأستراليا، وكذلك في أوروبا.

فبتاريخ ١٩٧٨/١٠/١٢م تم تأسيس المصرف الإسلامي الدولي (شركة قابضة) في لوكسمبورغ بهدف تأسيس أول بنك إسلامي في الغرب؛ للعمل كمراسل للبنوك الإسلامية بالدرجة الأولى، ولخدمة الجاليات الإسلامية في الغرب بالدرجة الثانية. وقد حاولت الشركة القابضة الحصول على ترخيص بتأسيس هذا البنك من عدة دول غربية، ولكن محاولاتها لم تؤد إلى نتيجة؛ بسبب حداثة العهد بنظم البنوك الإسلامية التي لم يكن قد مضى على أقدمها أكثر من عامين، ولعدم اقتناع السلطات المصرفية في هذه الدول

بإمكان نجاح هذه البنوك، ولذلك حاولت الشركة البحث عن دول أخرى للحصول على الترخيص، كان منها الدنمارك، وإلى حين استكمال الشروط القانونية تم افتتاح البنك بالفعل في ١٨/٤/١٩٨٣م (عطية، ١٩٨٦).

وفي عام ١٩٨١ تأسس دار المال الإسلامي ترست (DMI) في جنيف بسويسرا (Annual Report, 2003 DMI) كما ظهرت الصيرفة الإسلامية في بريطانيا أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات (١٩٧٨-١٩٧٩)، حيث سمحت الحكومة البريطانية لبعض الشركات الاستثمارية الإسلامية بالعمل في لندن، وكان أولها: شركة الاستثمار الإسلامية القابضة (Islamic Banking International Holding) عام ١٩٧٨، وبعدها شركة بيت التمويل(Islamic Finance House) .

وفي سنة ١٩٨٧ دخلت مجموعة مصرف البركة العالمية التي استمرت في العمل إلى غاية ١٩٩٣، حيث تطورت ودائعها من ٢٨ مليون جنيه سنة ١٩٨٣ إلى ١٥٤ مليون جنيه سنة ١٩٩١، وفتحت فرعين في لندن وفرعا آخر في برمنغهام. (بنعلي، ٢٠١٣).

وفي عام ١٩٨٨ تأسس بنك التقوى (Bank Al Taqwa)، على يد رجل الأعمال المصري يوسف ندا وشريكيه علي غالب همت وأحمد إدريس نصر الدين. وقد سجل البنك في ناسو بجزر الباهاماس، فيما أسست ذراعه الإدارية في مدينة لوغانو السويسرية تحت اسم شركة التقوى للإدارة. كما عمل البنك من خلال شبكة حسابات مراسلة مع بنوك سويسرية تتمركز في إقليم تيتشينو، أبرزها بنك غوتاردو في لوغانو، أحد أكبر بنوك

الخدمات المصرفية الخاصة في سويسرا الإيطالية والذي تأسس عام ١٩٥٧ (Vidino, 2005).

وفي سنة ١٩٩٧ فتح المصرف المتحد الأهلي الكويتي فرعا له في لندن عُرف بمشروع المنزل لتقديم تمويلات للجالية المسلمة عبر عقود المرابحة والإجارة. وفي أكتوبر ٢٠٠٤ كان ميلاد أول بنك إسلامي بكل مواصفات الصيرفة الإسلامية، البنك الإسلامي البريطاني(IBB) ، بعد جهود من الحكومة البريطانية لتعزيز دور الصيرفة الإسلامية في السوق المالي اللندني، إيماناً منهم بمبدأ المنافسة والدراسات السابقة للباحثين الذين شددوا على مستقبل الصيرفة الإسلامية في السوق اللندنية، ولعل أبرز هذه الوجوه الاقتصادي البريطاني رودني ويلسون (Rodney Wilson) الذي يعتبر أحد أبرز الوجوه التي تنبأت وكتبت عن الصيرفة الإسلامية في بريطانيا. بعدها فتحت بنوك تقليدية نوافذ للمنتجات الإسلامية، وكان أبرزها HSBC Amanah و ABC International Bank و Deutsche Bankو Citi Group (بنعلي، ٢٠١٣).

وفيما يلي نبذة مختصرة عن أهم مراكز التمويل الإسلامي في أوروبا، وفقاً لمجلة "غلوبال فاينانس" ومنصة "إنكلوسيف موني" حسب الكاتب محمد سناجلة (2025) :

- **بريطانيا:** لدى بريطانيا واحدة من أكثر الأسواق المالية الإسلامية تقدما في العالم الغربي، وتتحول بسرعة إلى وجهة رئيسية للمؤسسات الأجنبية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية. ويُعدّ البلد موطناً لأول بنك تجزئة متوافق مع الشريعة الإسلامية بالكامل في الغرب، وهو البنك الإسلامي البريطاني(IBB) ، والمعروف اليوم باسم بنك الريان، الذي تم تغيير اسمه في عام ٢٠١٤ بعد استيلاء بنك الريان القطري عليه،

وهو ثاني أكبر بنك إسلامي في قطر وخامس أكبر بنك إسلامي في العالم. وكان هذا البنك رائداً في مجال الخدمات المصرفية الإسلامية في المملكة المتحدة، وطور منتجات مالية متوافقة مع الشريعة الإسلامية للأفراد، مما أدى إلى بناء قاعدة عملاء تضم أكثر من ٦٠,٠٠٠ عميل وتفخر بريطانيا بوجود ٥ بنوك إسلامية مرخصة، وأكثر من ٢٠ بنكا تقليديا تقدم منتجات مالية إسلامية(Kotlinski, 2024) .

- **لوكسمبورغ:** أول دولة في منطقة اليورو تصدر صكوكا سيادية إسلامية، ويوجد فيها نحو ٣٠ صندوقا متوافقا مع الشريعة الإسلامية.
- **ألمانيا:** كانت أول دولة غربية تستغل سوق رأس المال الإسلامي عندما أصدرت ولاية ساكسونيا أول سندات إسلامية بالبلاد في عام ٢٠٠٤، ومنحت ترخيصا لأول بنك إسلامي كامل "كي تي بانك إيه جي (KT Bank AG) "في عام ٢٠١٥ (Casper & Ait Allali, 2017)
- **فرنسا:** تضم فرنسا أكبر عدد من السكان المسلمين في أوروبا، وتشكل كذلك سوقاً واعدة، وقد بذلت السلطات الفرنسية –بما في ذلك وزيرة المالية الفرنسية السابقة ومديرة صندوق النقد الدولي كريستين لاغارد– جهودا حثيثة من أجل تطوير التمويل الإسلامي هناك، كما تقدم بعض البنوك الاستثمارية الفرنسية منتجات وخدمات متوافقة مع الشريعة الإسلامية لتلبية احتياجات العملاء الأجانب الأثرياء.

ثانيا: البنوك الإسلامية في أوروبا الشرقية:

تعد التجربة البنكية الإسلامية في أوروبا الشرقية من التجارب المتميزة التي سبقت حتى تجربة البنوك الإسلامية في أوروبا الغربية من حيث النضج المؤسسي، فرغم أن البداية في أوروبا الغربية كانت أسبق من حيث التاريخ، إلا أن التجربة في أوروبا الشرقية كانت

أكثر نضجاً من البداية، فقد تأسست البنوك الإسلامية في ألبانيا والبوسنة والهرسك كبنوك إسلامية متكاملة في التسعينيات من القرن الماضي وبداية الألفية الثانية، وسبقت بذلك أول بنك أوروبي غربي متكامل، وهو البنك الإسلامي البريطاني (IBB) الذي تأسس عام ٢٠٠٤.

وألبانيا والبوسنة والهرسك دولتان في منطقة البلقان تقعان في الجزء الجنوبي الشرقي للقارة الأوربية، الغالبية من السكان الأصليين في البلدين مسلمون، مما يسهم في النسيج الثقافي والديني للمنطقة. ويحتل الإسلام مكانة بارزة في حياة العديد من الأفراد في كلا البلدين، إذ يشكل جوانب مختلفة من المجتمع، بما في ذلك الأعراف الاجتماعية والعادات والممارسات اليومية، ولذلك كان من الطبيعي بعد أن انتهت الفترة الشيوعية في البلدين في بداية التسعينيات أن يتجه المستثمرون سواء من الدول العربية أو من أهل المنطقة إلى الصيرفة الإسلامية، بعد أن نضجت في البلاد العربية والإسلامية بشكل يمكن أن تبدأ في هذا الجزء المسلم من أوروبا بطريقة متكاملة مستفيدة من التجارب السابقة.

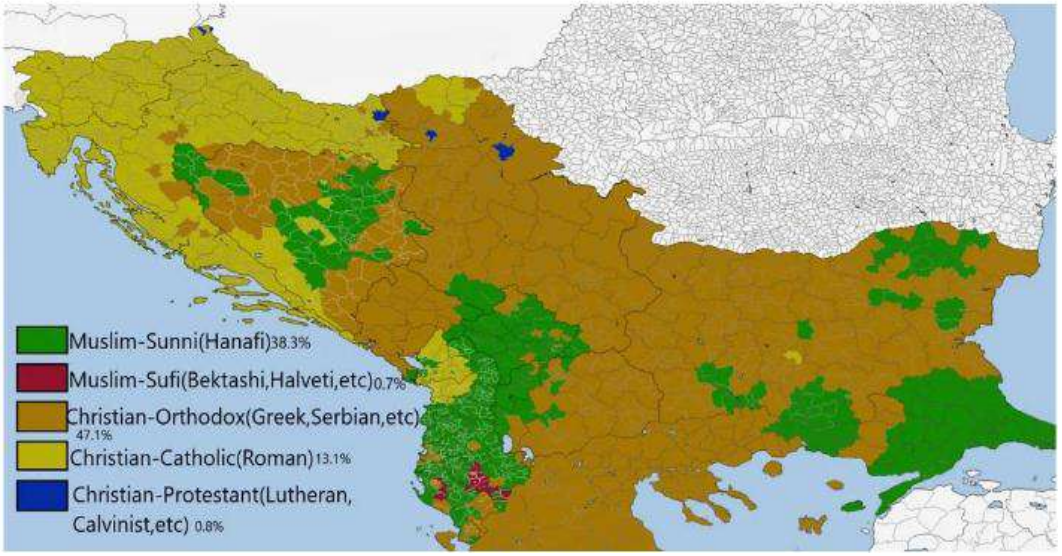

الشكل: (١) خريطة الدين في البلقان سنة ٢٠٢٢

المصدر: (Varga&Cseh، ٢٠٢٤)

بنك ألبانيا المتحد(UBA) United Bank of Albania

في ديسمبر ١٩٩٢، تم تأسيس البنك الإسلامي العربي الألباني (Arab–Albanian Islamic Bank)الذي تغير اسمه لاحقا إلى بنك ألبانيا المتحد –(UBA) بالشراكة بين البنك التجاري الوطني (NCBA) المملوك للدولة بـ ٤٠% من رأس المال، والبنك الإسلامي للتنمية بـ ١٥% من رأس المال، أما باقي رأس المال، فكان مملوكا لأفراد وكيانات من الدول العربية(Albanian Association of Banks, 2012)

وفي عام ٢٠٠٠، تمت خصخصة البنك، وباعت وزارة المالية ٤٠% من أسهمها إلى البنك الإسلامي للتنمية. وبلغ إجمالي الميزانية العمومية للبنك في ٣١ ديسمبر ٢٠١٨، نحو ٨.٥ مليار ليك ألباني، ورأس ماله ١.٤ مليار ليك ألباني. وجاء وفقا لرسالة البنك: "توثيق وتعزيز مبادئ ومنتجات الصيرفة الإسلامية في ألبانيا، وتقديم خدمات عالية الجودة باستمرار في جميع قطاعات أنشطة وعمليات البنك، بما يعود بالنفع على عملائنا ومجتمعنا ومساهمينا وموظفينا". والهدف الرئيسي للبنك هو أن يكون بنكا إسلاميا قويا ومتطورا وعصريا، يقدم منتجات، وخدمات مبتكرة، وعالية الجودة، وتنافسية. ووفقا لمواد نظامه الأساسي، يتبع البنك مبادئ الشريعة الإسلامية. ويخضع البنك للقانون رقم ٩٦٦٢ "بشأن البنوك في جمهورية ألبانيا"، الصادر في ١٨ ديسمبر ٢٠٠٦، وتحت إشراف بنك ألبانيا. والمساهمون الرئيسيون كما في ٣١ ديسمبر ٢٠٢١ هم: البنك الإسلامي للتنمية بجدة ٧٢.٢٠%، يوروسغا ٢١.٠٢%، بنك الإثمار ش.م.ل ٤.٣٠%، مستثمرون آخرون من المملكة العربية السعودية ٢.٤٨%.

بنك البوسنة الدولي(BBI) Bosna Bank International

تأسس بنك البوسنة الدولي (BBI) كأول بنك إسلامي في البوسنة عام ٢٠٠٠، وهو البنك الإسلامي الوحيد في البلاد، ومقره الرئيسي في العاصمة سراييفو. وملكية البنك تعود إلى ثلاثة بنوك إسلامية هي: البنك الإسلامي للتنمية من المملكة العربية السعودية بنسبة ٤٥.٤٦% من رأس المال، وبنكين من الإمارات العربية المتحدة هما بنك أبو ظبي الإسلامي بنسبة ٢٧.٢٧% وبنك دبي الإسلامي بنسبة ٢٧.٢٧% (BBI Bank,

(2025وهذا البنك هو موضوع الدراسة الماثلة، ولذلك سوف يفرد له مبحث خاص لاحقا .

ثالثا: الفرص والتحديات للبنوك الإسلامية في أوروبا:

تحلل الكاتبة البولندية إيوونا سوبول (Sobol, 2015) في بحث لها بعنوان: الخدمات المصرفية الإسلامية في الاتحاد الأوروبي، وضع الصيرفة الإسلامية في أوروبا فتقول: "لا تزال المملكة المتحدة رائدة الخدمات المصرفية الإسلامية في أوروبا، وقد حققت هذا اللقب بفضل دعم الحكومة، وموافقة الجهات الرقابية، وسمعة المركز المالي العالمي، والتمويل الخليجي، مما ساعد على تأسيس مؤسسات مالية إسلامية فيها. ولا يزال سوق الخدمات المصرفية الإسلامية في دول الاتحاد الأوروبي الأخرى في مراحله الأولى من التطور. حتى في دول مثل فرنسا وألمانيا، حيث تقطن جاليات مسلمة كبيرة، لا توجد بنوك إسلامية متكاملة. ومن غير المرجح أن تتطور الخدمات المصرفية الإسلامية في الاتحاد الأوروبي بنفس الديناميكية التي تتطور بها في الدول الإسلامية، ولكن لديها القدرة على أن يكون لها حضور أقوى في السوق المالية الأوروبية، ويمكن أن تحقق مكانة مماثلة للمكانة التي تحتلها البنوك التعاونية."

وتشمل العوامل الرئيسية التي يفترض أن تسهم في ذلك ما يلي:

١. تزايد عدد الجالية المسلمة في الاتحاد الأوروبي.

٢. تزايد الطلب على الاستثمارات الأخلاقية، حتى من غير المسلمين.

٣. تزايد العلاقات التجارية بين الاتحاد الأوروبي ودول رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان) ودول مجلس التعاون الخليجي، حيث تتمتع المصارف الإسلامية بحضور قوي.

ومع ذلك، لا تزال هناك العديد من التحديات والمشاكل التي تواجه قطاع المصارف الإسلامية في الاتحاد الأوروبي، وتشمل هذه التحديات:

١. نقص التشريعات المناسبة في غالبية دول الاتحاد الأوروبي، وخاصة فيما يتعلق بقضايا الضرائب والإشراف.

٢. مشاكل إدارة المخاطر الناتجة عن نقص الأدوات المناسبة وضعف التعاون بين المؤسسات العاملة في مختلف الدول.

٣. ارتفاع تكاليف المنتجات المصرفية الإسلامية.

٤. العداء للإسلام، وبالتالي للمصارف الإسلامية في بعض المجتمعات الأوروبية.

وإذا لم تعالج المصارف الإسلامية المشاكل المذكورة أعلاه، فسيظل وجودها في دول الاتحاد الأوروبي ضئيلا، ومن غير المُحتمل أن تُصبح بديلاً للبنوك التقليدية، كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية. ومع ذلك، إذا تمكنت من التغلب على العديد من التحديات، فقد تصبح إضافة قيّمة للمؤسسات المالية التقليدية.

المبحث الرابع

بنك البوسنة الدوليBBI

أولا: التعريف والنشأة:

بنك البوسنة الدولي (Bosna Bank International – BBI) هو أول بنك في البوسنة والهرسك وجنوب شرق أوروبا يعمل وفقا لمبادئ التمويل الإسلامي (BBI Bank, 2025).

ويعتبر البنك رائدا في نشر مفهوم التمويل الإسلامي في بيئة اقتصادية انتقلت من الاشتراكية إلى اقتصاد السوق، ولعب دوراً رئيسياً في بناء الثقة ودعم البنية التحتية المالية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية (Foreign Investors Council, 2021) .

تم تأسيس بنك البوسنة الدولي عام ٢٠٠٠ ميلادية، بالشراكة بين البنك الإسلامي للتنمية (IsDB)بحصة ملكية ٤٥.٤٦%، وبنك دبي الإسلامي (DIB) بحصة ٢٧.٢٧%، وبنك أبو ظبي الإسلامي (ADIB) بحصة ٢٧.٢٧.(BBI Bank, 2025) %

وقد بلغت فروع بنك BBI داخل البوسنة والهرسك ٣٢ فرعاً، كما يمتلك شبكة واسعة من أجهزة الصراف الآلي) أكثر من ١٥٠ جهاز صراف آلي داخل شبكة BH Mreža (ATM، وتعد شبكة BBI لأجهزة الصراف الآلي هي الثالثة من حيث عدد أجهزة الصراف الآلي في اتحاد البوسنة والهرسك.(BBI Bank, 2025)

وبنك البوسنة الدولي BBI هو سابع أكبر بنك في البوسنة والهرسك من حيث إجمالي الأصول، ففي عام ٢٠٢٣ بلغ إجمالي أصوله ١,٥٤٦.٥٢ مليون مارك بوسنوي بزيادة

٥.٢١% عن العام السابق، وبنسبة سوقية تبلغ ٥.٣٣%، وبلغ صافي دخل البنك ٢٣.٣٥ مليون مارك بوسنوي، ما يعكس نمواً بنسبة ٥٩.٠٧% مقارنة بعام ٢٠٢٢ (Smolo et al., 2020).

وينظم البنك منتدى سراييفو للأعمال منذ عام ٢٠١٠، وهو حدث استثماري دولي يهدف إلى تعزيز الاستثمار في البوسنة والهرسك والمنطقة(BBI Bank, 2025) ، كما يستضيف معرض سراييفو الحلال، وهو منصة للترويج للمنتجات والخدمات الحلال عالمياً (بنك البوسنة الدولي، ٢٠٢٤). ويعتبر المدير التنفيذي الأسبق عامر بوكوفيتش أحد الشخصيات البارزة التي ساهمت في نمو البنك ليصبح مؤسسة ذات تأثير قوي على الساحة المحلية والإقليمية(Foreign Investors Council, 2021)

ثانيا: الهيكل التنظيمي:

١. الهيئة العليا للبنك:

وهي مكونة من عدة لجان، هي:

- لجنة الإشراف: مكونة من رئيس ونائب وثلاثة أعضاء، وكلهم عرب سوى عضو واحد بوسنوي.
- لجنة التدقيق: مكونة من رئيس ونائب وعضو واحد بوسنوي.
- الهيئة الشرعية: مكونة من رئيس بوسنوي، وهو رئيس المشيخة الإسلامية في البوسنة فضيلة الشيخ الدكتور حسين كوازوفيتش، ونائب الرئيس عربي وهو فضيلة الشيخ الدكتور نظام يعقوبي، وثلاثة أعضاء أحدهم بوسنوي.

٢. مجلس إدارة البنك:

وهو مجلس مكون من رئيس تنفيذي هو السيد أليك بكالوفيتش، وأربعة أعضاء مجلس إدارة (سيدتان ورجلان)، وكلهم بوسنويون.

٣. الإدارة العليا:

وهي مكونة من مدراء لعدد من الإدارات والأقسام، وهي كالآتي: الأمين العام، ورئيس المدققين الداخليين، ورئيس قسم الالتزام، ومدير قسم مراقبة المخاطر، ومدير قسم رصد وتحليل مخاطر الائتمان، ومدير الخزينة والمؤسسات المالية، ومدير تكنولوجيا المعلومات، ومدير قطاع مبيعات التجزئة، ومدير القسم القانوني، ومدير التسويق والاتصالات، ومدير الموارد البشرية، ومدير تطوير المنتجات ودعم المبيعات، ومدير قسم تحصيل وإدارة الأصول المتعثرة، ومدير القطاع المالي، ومدير إدارة العمليات، ومدير الرقمنة وإدارة علاقات العملاء ومركز الاتصال، ومدير المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ومدير قطاع عملاء الشركات المتوسطة. وكلهم بوسنيون: ثلاثة عشر منهم نساء وخمسة رجال.

ثالثا: الخدمات التي يقدمها البنك:

١. المنتجات التمويلية:

- تمويل السكن: يشمل شراء أو بناء أو تجديد العقارات، وفترة سداد تصل إلى ٢٠ عاماً.
- تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة: يدعم تطوير الأعمال المحلية بمزايا تمويل مرنة.

- تمويل التعليم والسفر والعلاج: يغطي تكاليف التعليم أو الرحلات الدولية والعلاج بشروط مرنة.
- خدمات مخصصة للمغتربين: تتيح للمغتربين البوسنيين شراء عقارات في البوسنة بسهولة.
- تمويل السيارات الجديدة والمستعملة.

٢. الخدمات المصرفية:

- الحسابات الجارية وحسابات التوفير والودائع.
- بطاقات الدفع: تشمل الحسابات الجارية وبطاقات Visa و MasterCard.
- الخدمات الرقمية: تشمل تطبيق الموبايل المصرفي (mBBI) والإنترنت المصرفي (eBBI).
- خدمات الدفع الآلي عبر الإنترنت وتسديد الفواتير.

رابعا: النتائج المالية:

بنك البوسنة الدولي BBI هو سابع أكبر بنك في البوسنة والهرسك من حيث إجمالي الأصول، ففي عام ٢٠٢٣ بلغ إجمالي أصوله ١,٥٤٦.٥٢ مليون مارك بوسنوي بزيادة ٥.٢١% عن العام السابق، وبنسبة سوقية تبلغ ٥.٣٣%، وبلغ صافي دخل البنك ٢٣.٣٥ مليون مارك بوسنوي، ما يعكس نمواً بنسبة ٥٩.٠٧% مقارنة بعام ٢٠٢٢م. وقد رصدت دراسة.

(Smolo et al., 2020) المسار التطوري لأصول البنك خلال الفترة ٢٠٠٦–٢٠١٩، وأشارت إلى أن معدل النمو السنوي المركب لأصوله بلغ ١٨.١% مقارنة بمتوسط السوق

البالغ ٦.٦%، كما ارتفعت حصته السوقية من ١% عام ٢٠٠٦ إلى ٣.٦١% عام ٢٠١٩.وفيما يلي عرض مختصر للمؤشرات المالية الرئيسية لبنكBBI :

- إجمالي الأصول لعام ٢٠٢٣: ١,٥٤٦.٥٢ مليون مارك بوسنوي.
- معدل نمو الأصول مقارنة بعام ٢٠٢٢: ٥.٢١%.
- الحصة السوقية: ٥.٣٣% من سوق البوسنة والهرسك المصرفي.
- صافي الدخل لعام ٢٠٢٣: ٢٣.٣٥ مليون مارك بوسنوي.
- معدل نمو صافي الدخل مقارنة بعام ٢٠٢٢: ٥٩.٠٧%.
- الترتيب: سابع أكبر بنك في البوسنة والهرسك من حيث إجمالي الأصول.

الرسم البياني: (١) إجمالي أصول بنك البوسنة الدولي

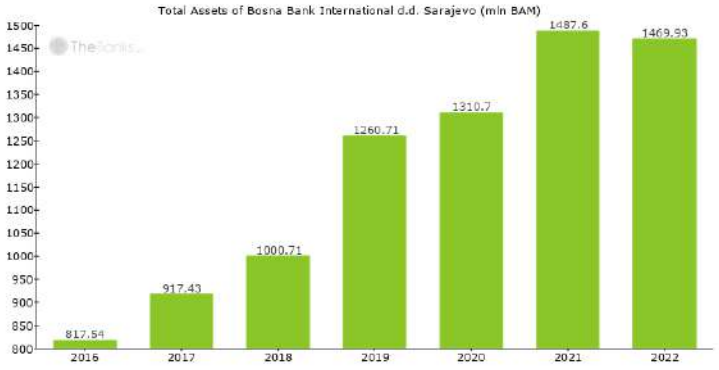

المصدر : (Anna Mileiko,2024)

الرسم البياني: (٢) صافي دخل بنك البوسنة الدولي

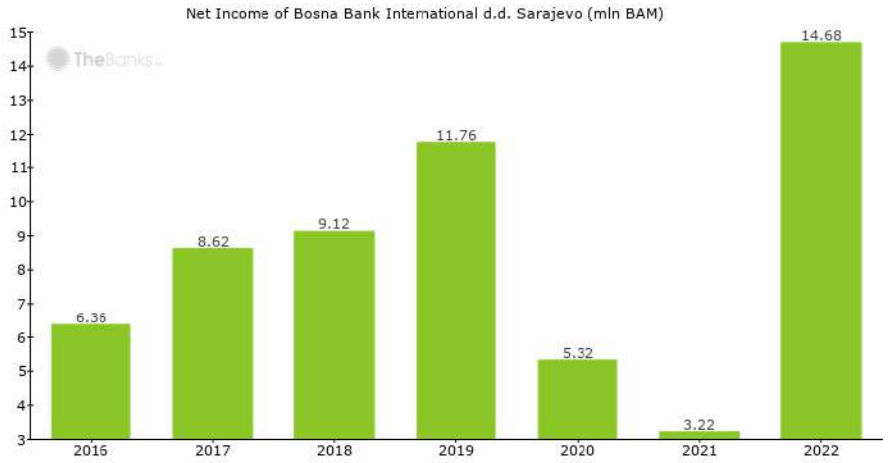

المصدر: (Anna Mileiko,2024)

الرسم البياني: (٣) الحصة السوقية لبنك البوسنة الدولي

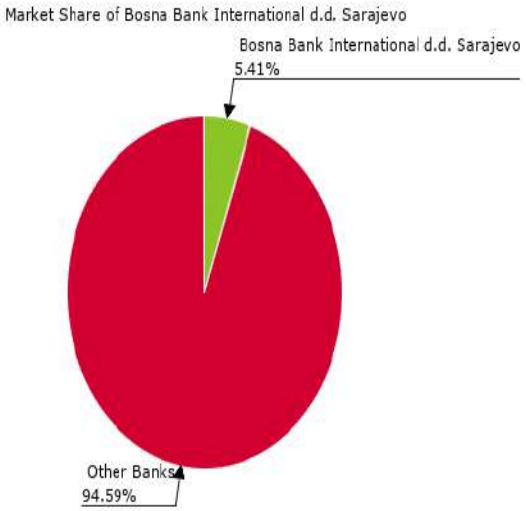

المصدر: (Anna Mileiko,2024)

جدول: (١) مقارنة بين ميزانية بنك BBI عامي ٢٠٢٢ و٢٠٢٣

Bosna Bank International d.d., Sarajevo, Statement of financial position		BAM/EUR 1,9558
	1000 BAM	1000 BAM
	12.31.2023	12.31.2022
ASSETS		
Cash and cash equivalents	417.960	401.795
Restricted balances with Central Bank	133.175	131.990
Placements to other banks	-	9,517
Financial receivables	1.093.253	1.033.261
Respossessed assets	4.107	3.763
Property, equipment and intangible assets	24.886	25.965
(Sukuk)	(18.874)	(-)
Tight of Use assets ("RoU")	3.360	1.984
Prepaid income tax	2.642	2.486
Other assets	24.491	3.798
TOTAL ASSETS	1.543.943	1.467.172
LIABILITIES		
Borrowings to banks	-	-
Due to customers	1.319.132	1.278.234
Lease liablities and other provisions	2.873	2.001
Other liabilities	28.312	17.991
TOTAL LIABILITIES	1.356.718	1.303.296
SHAREHOLDERS' EQUITY		
Share capital	110.059	110.059
Statutory reserves	15.382	12.404
Accumulates lossers	(61.784)	(41.413)
TOTAL EQUITY	1.113.126	1.164.834
TOTAL EQUITY AND LIABILITIES	1.543.943	1.467.172

المصدر : (Balazs, Varga,2024)

النتائج والتوصيات:

أولا: نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة من خلال استقرائها للتطور التاريخي للمصرفية الإسلامية في أوروبا، وتحليلها لتجربة بنك البوسنة الدولي، إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يلي:

١. الجذور الأوروبية للتمويل غير الربوي تمتد إلى عشرينيات القرن العشرين، حين سمح لبعض البنوك الأوروبية بفتح فروع في البحرين وجدة بشرط تجنب المعاملات الربوية، مما يكشف عن حضور تاريخي مبكر للتمويل المتوافق مع الشريعة في الأطر المصرفية الأوروبية.

٢. شهدت أوروبا الغربية تطورا تدريجيا للمصرفية الإسلامية بدءا من نهاية السبعينيات، مع تأسيس المصرف الإسلامي الدولي في لوكسمبورغ عام ١٩٧٨، ومرورا بدخول مجموعة البركة لندن عام ١٩٨٧، وصولاً إلى ميلاد البنك الإسلامي البريطاني (IBB)عام ٢٠٠٤، ثم بنك KT Bank الألماني عام ٢٠١٥.

٣. التجربة الأوروبية الشرقية كانت أكثر نضجا من البداية، إذ تأسست البنوك الإسلامية في ألبانيا والبوسنة والهرسك كبنوك متكاملة في التسعينيات وبداية الألفية الثانية، وسبقت بذلك أول بنك أوروبي غربي متكامل.

٤. بنك البوسنة الدولي (BBI) يمثل نموذجا ناجحا للعمل المصرفي الإسلامي في بيئة انتقلت من الاشتراكية إلى اقتصاد السوق، إذ أصبح سابع أكبر بنك في البوسنة والهرسك من حيث إجمالي الأصول، بمعدل نمو سنوي مركب لأصوله بلغ ١٨.١% خلال الفترة ٢٠٠٦–٢٠١٩، مع حصة سوقية تجاوزت ٥% عام ٢٠٢٣.

٥. التحديات الرئيسية التي تواجه المصرفية الإسلامية في أوروبا تتمثل في نقص التشريعات الملائمة، ومشاكل إدارة المخاطر، وارتفاع تكاليف المنتجات، والعداء للإسلام في بعض المجتمعات.

٦. الفرص المتاحة أمام المصرفية الإسلامية في أوروبا واعدة، نظراً لتزايد عدد الجالية المسلمة، وتنامي الطلب على الاستثمارات الأخلاقية حتى من غير المسلمين، وتزايد العلاقات التجارية بين الاتحاد الأوروبي ودول الخليج وآسيان.

ثانيا: توصيات الدراسة:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يمكن تقديم التوصيات الآتية:

١. تشجيع الباحثين والأكاديميين على إجراء مزيد من الدراسات المتخصصة في المصرفية الإسلامية الأوروبية، ولا سيما الدراسات باللغة العربية التي تشح في هذا المجال.

٢. توجيه المؤسسات المالية الإسلامية الكبرى إلى دراسة فرص التوسع في السوق الأوروبية، خصوصا في الدول التي توجد فيها جاليات مسلمة كبيرة كفرنسا وألمانيا وهولندا، مع الاستفادة من تجربة بنك البوسنة الدولي.

٣. تكثيف جهود التوعية لدى الجاليات المسلمة في أوروبا بوجود حلول مصرفية إسلامية متاحة، عبر منصات إعلامية ومؤتمرات وفعاليات، لتقليص الاعتماد على البنوك التقليدية في تمويل الحاجيات الأساسية.

٤. التواصل مع الجهات التشريعية والرقابية الأوروبية لتطوير أطر تنظيمية ملائمة للمصرفية الإسلامية، تستفيد من النماذج البريطانية والألمانية والبوسنية الناجحة.

٥. تعزيز التعاون بين البنوك الإسلامية العاملة في أوروبا، وبينها وبين نظيراتها في الدول الإسلامية، لتبادل الخبرات وتطوير المنتجات وتجاوز التحديات المشتركة.

٦. إيلاء اهتمام أكبر للبعد الرسالي والثقافي والمجتمعي للبنوك الإسلامية في أوروبا، حتى لا تتحول إلى مجرد كيانات تجارية بحتة، بل تظل تجسيدا عمليا للنظرية الإسلامية في الاقتصاد والمعاملات.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع العربية:

١. الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية. (١٩٧٧). النظام الأساسي للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية. مكة المكرمة: الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.

٢. بنعلي، ع. (٢٠١٣). تجربة الصيرفة الإسلامية في بريطانيا: الواقع والآفاق. مجلة الباحث الاقتصادي، ٩(٢)، ٤٥–٧٢.

٣. بنك البوسنة الدولي. (٢٠٢٤). التقرير السنوي لبنك BBI. سراييفو: بنك البوسنة الدولي https://www.bbi.ba .

٤. خالدي، م. ع. (٢٠٠٥). البنوك الإسلامية: التجربة والتطبيق. عمّان: دار النفائس.

٥. ساعد، م.، وخوني، ر. (٢٠١٧). تجربة الصيرفة الإسلامية في ماليزيا: الأسس والتطبيقات. مجلة الاقتصاد والمالية، ٣(١)، ٨٩–١١٢.

٦. سناجلة، م. (٢٠٢٥، ١٢ فبراير). أسواق التمويل الإسلامي في أوروبا: الواقع والآفاق. الجزيرة نت https://www.aljazeera.net .

٧. العثماني، م. ت. (٢٠٢٥). أحكام البنوك الإسلامية وتطبيقاتها المعاصرة. كراتشي: مكتبة دار العلوم.

٨. عطية، ع. ف. (١٩٨٦). البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم، التقليد والاجتهاد، النظرية والتطبيق. الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

٩. قحف، م. (٢٠٠١). الاقتصاد الإسلامي: مراجعة عامة مع بعض التفصيل. جدة: المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية.

١٠. النجار، أ. ع. (١٩٨٤). بنوك بلا فوائد كاستراتيجية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول الإسلامية. القاهرة: الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.

١١. النجار، أ. ع. (١٩٩٣). المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١٢. النوري، أ. (٢٠٠٩). الاقتصاد الإسلامي: المبادئ والتطبيقات. بيروت: دار الفكر.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1. Albanian Association of Banks. (2012). Annual report on banking sector in Albania. Tirana: AAB.
2. BBI Bank. (2025). About BBI Bank: History, ownership and corporate governance. Bosna Bank International. https://www.bbi.ba
3. Casper, M., & Ait Allali, A. (2017). Islamic finance made in Germany – A case study on Kuveyt Türk (KT Bank): Germany's first Islamic bank (Working Paper No. 2017.15). Center for Religion and Modernity, University of Münster. https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=3077366
4. Čiković, K. F. (2024). The efficiency of Islamic banking in the Balkans: The case of BBI Bank in Bosnia and Herzegovina. In A. Bexheti, H. Abazi-Alili, L.-P. Dana, V. Ramadani, & A. Caputo (Eds.), Economic recovery, consolidation, and sustainable growth (pp. 351-366). Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-031-42511-0_22

5. Cseh, B., & Varga, J. (2024). Az iszlám pénzügyek XXI. századi térhódítása a Balkánon [The 21st-century expansion of Islamic finances in the Balkans]. ResearchGate. https://www.researchgate.net/profile
6. Dar Al-Maal Al-Islami Trust. (2003). Annual report 2003. Geneva: Dar Al-Maal Al-Islami Trust.
7. Foreign Investors Council. (2021). White book: Investment climate in Bosnia and Herzegovina. Sarajevo: FIC BiH.
8. Kotliński, K. (2024). The development of Islamic banking in the UK – A comparison of Islamic and conventional banking. Finanse i Prawo Finansowe, 2(42), 57-77. https://doi.org/10.18778/2391-6478.2.42.04
9. Kubiszewska, K., & Komorowski, R. (2016). An assessment of Islamic banking in Bosnia and Herzegovina – A comparative analysis using the CAMELS approach. International Economics, 16, 367-387. https://doi.org/10.18778/2082-4440.16.05
10. Mileiko, A. (2024). Bosna Bank International d.d. Sarajevo (Bosnia and Herzegovina): Bank profile. TheBanks.eu. https://thebanks.eu/banks/19316
11. Smolo, E., Šeho, M., & Hassan, M. K. (2020). Development of Islamic finance in Bosnia and Herzegovina. Journal of Economic Cooperation and Development, 41(1), 121-144.
12. Sobol, I. (2015). Islamic banking in the European Union countries. European Integration Studies, 9, 184-197.
13. Vidino, L. (2005). The Muslim Brotherhood's conquest of Europe. Middle East Quarterly, 12(1), 25-34. https://www.meforum.org/687/the-muslim-brotherhoods-conquest-of-europe.

التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية

د.ناصر أحمد الخطري

أستاذ القراءات وعلوم القرآن المساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه- كلية التربية- جامعة صنعاء

الملخص

يسعى هذا البحث إلى بيان مفهوم التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية الشاذة والمتواترة، وقد توصّل إلى أن للقراءات القرآنية دوراً بارزاً في تيسير الأحكام الشرعية والتخفيف فيها، وذلك من خلال انتقال الحكم الشرعي من الوجوب إلى الندب أو الاستحباب، ومن الحظر إلى الإباحة، ومن العموم إلى الخصوص، ومن الإطلاق إلى التقييد، أو الدلالة على حكمين شرعيين مختلفين يكون أحدهما أخف من الآخر، إضافة إلى جوانب أخرى من التيسير تتعلق بالمكلَّفين. ويُعدّ هذا التيسير والتخفيف في الأحكام الشرعية من أبرز فوائد تعدد القراءات القرآنية.

وقد اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي، كما توصّل إلى أن القراءات القرآنية التي يظهر من خلالها هذا النوع من التيسير كثيرة ومتنوعة، مما يستدعي إجراء دراسة مستقلة تُعنى ببيان جوانب التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، الأحكام الشرعية، التيسير.

2

Facilitation in Islamic Rulings as per Quranic Recitations

Dr. Naser Ahmed Elkhatari
Assistant Professor of Quran Perusals & Science, Department of Quran Science, Faculty of Education, Sana'a University

Abstract:

This study seeks to clarify the concept of facilitation in Islamic legal rulings through anomalous and canonical Qur'anic readings. The study concludes that Qur'anic readings play a prominent role in facilitating and alleviating Islamic legal rulings, as reflected in the transition of rulings from obligation to recommendation or desirability, from prohibition to permissibility, from generality to specification, and from absoluteness to restriction, or by indicating two different legal rulings, one of which is lighter than the other. In addition, there are other aspects of facilitation related to those legally accountable. Such facilitation and alleviation in legal rulings are considered among the most significant benefits of the multiplicity of Qur'anic readings.

The researcher adopted the descriptive, inductive, and analytical methods. The study also concludes that Qur'anic readings that demonstrate such facilitation are numerous and diverse, which calls for an independent study to further elucidate the aspects of facilitation in Islamic legal rulings through Qur'anic readings.

Keywords: Qur'anic readings, Islamic legal rulings, facilitation.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل كتابه رحمة وهداية للعباد، وجعل تنوع القراءات باباً من أبواب الإعجاز والتيسير، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث بالحنفية السمَحة، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فيُعَدُّ مبدأ التيسير والتخفيف ورفع الحرج على الأمة الإسلامية في الأحكام الشرعية من أهم المقاصد القرآنية، تأتي القراءات القرآنية أحدَ الأدلة على ذلك.

ويتجلى جانب التخفيف والتيسير في القراءات القرآنية في جانبين: الأول: أدائي أو لفظي، وذلك بالتخفيف والتيسير في هيئات النطق والأداء، ويتجلى ذلك في القراءات المتواترة، حيث أقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كل قبيلةٍ بلغاتهم، وما جرت عليه عاداتهم، مراعياً بذلك لهجاتهم في النطق واللفظ، فقومٌ جرت عاداتهم بالهمز، وقومٌ بالتخفيف، وقومٌ بالفتح، وقومٌ بالإمالة، وكذلك اختلافهم في الإعراب وغيره، ولأجل هذا أباح الله تعالى لنبيِّه أن يُيَسِّرَ على النَّاس، ويُقرئَ كلَّ قبيلةٍ بما يَتَيَسَّر عليها، وليس لأحد من الصحابة أن يقرأ بما شاء من الأحرف القرائية بل يقرأ على ما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه)[(١)]، والآخر: جانب حكمي، وذلك بالتيسير والتخفيف في الأحكام الشرعية؛ وذلك بخروج الحكم من الوجوب إلى الندب أو الاستحباب، ومن الحظر إلى الإباحة، ومن العموم إلى الخصوص، ومن الإطلاق إلى التقييد، أو الدلالة على

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، (١٨٤/٦)، الحديث:(٤٩٩٢)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه، (١٦٠/١)، الحديث:(٨١٨).

حكمين شرعيين مختلفين أحدهما أخف من الآخر، إضافة إلى جوانب تيسير أخرى تتعلق بالمكلفين، وهذا يظهر من خلال المعاني المترتبة على القراءات، ولذلك عزمت مستعيناً بالله على بيان التيسير الحكمي، سائلاً المولى التيسير والعون.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. بيان فوائد القراءات القرآنية المتعلقة بالأحكام الشرعية.

٢. إبراز دور القراءات القرآنية في تحقيق مقصد التيسير والتخفيف على الأمة الإسلامية في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية.

٣. تحليل نماذج تطبيقية للقراءات المتواترة والشاذة أفادت التخفيف والتيسير في الأحكام الشرعية، ورفع الحرج والمشقة على المكلفين.

٤. إيضاح أن تنوع اختلاف القراءات القرآنية اختلاف تنوع لا تضاد، فيه الرحمة والتيسير على العباد.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

١- إظهار أن تعدد القراءات القرآنية لها فوائد عديدة، وأبعاد مقاصدية، منها التيسير والتخفيف في الأحكام الشرعية.

٢- الربط بين العلوم الإسلامية حيث يظهر البحث الترابط الوثيق والتكامل بين القراءات وأصول الفقه.

٣- تقديم دارسة علمية تزود الباحثين والدعاة بأدلة علمية من منظور قرائي، تظهر سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها، ورفع الحرج والمشقة عن المكلفين في الأحكام الشرعية.

٤- حاجة الأمة الإسلامية إلى بيان وسطية الإسلام واعتداله، ويسره وسماحته في الأحكام الشرعية، وأنه دين الرحمة والإنسانية في كل المجالات، يراعي أحوال المكلف، فهو صالح لكل زمان ومكان.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع اتضح للباحث أنه ليس هنالك دراسة تناولت التيسير والتخفيف في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية، ولكني وجدت دراسات كثيرة تتعلق ببيان الأحكام الشرعية المترتبة على القراءات القرآنية دون أن تبين التيسير والتخفيف، ورفع الحرج والمشقة على الأمة في الحكم الشرعي من خلال القراءات، وهذا ما تميزت به هذه الدراسة.

حدود الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على نماذج تطبيقية من القراءات المتواترة والشاذة التي ترتب عليها أثر في تخفيف وتيسير الأحكام الشرعية.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في الدراسة على "المنهج الاستقرائي والوصفي، والتحليلي"؛ وذلك لبيان التيسير والتخفيف في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية المتواترة والشاذة، متبعاً الخطوات الآتية:

أولاً: أورد الآيـة، ثم أذكر القراءات مبيناً الشاذ منها.

ثانياً: أبين الأثر التفسيري المترتب على القراءات.

ثالثاً: أوضح الأحكام الشرعية المترتبة على الأوجه القرائية.

رابعاً: أبين التيسير والتخفيف في الأحكام الشرعية المترتبة على تعدد القراءات.

تقسيمات البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: تشمل أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده، والدراسات السابقة، وتقسيماته.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث، وبيان فوائد القراءات القرآنية في الأحكام الشرعية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث: (القراءات، الأحكام الشرعية، التيسير).

المطلب الثاني: فوائد القراءات القرآنية في الأحكام الشرعية.

المبحث الثاني: التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات المتواترة.

المطلب الثاني: التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات الشاذة.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات البحث، وبيان فوائد القراءات القرآنية في الأحكام الشرعية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

التعريف بمصطلحات البحث: (القراءات، الأحكام الشرعية، التيسير).

أولاً: تعريف القراءات:

- **تعريف القراءات لغة:**

القراءات: جمع قراءة، وهي مصدر الفعل (قرأ)، يقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآناً، فكل منهما مصدر[(١)]، والقراءات في اللغة تأتي على معنيين:

الأول: الجمع والضم، أي: جمع وضم الشيء إلى بعضه، قال الراغب رحمه الله: "والقِرَاءَةُ: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التّرتيل...والْقُرْآنُ في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان، قال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه} [سورة القيامة:١٧]"[(٢)].

وقال ابن منظور رحمه الله: "ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآناً؛ لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه} [سورة القيامة:١٧]، أي: جمعه

(١) **يُنظر**: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (٤٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، (٦٦٨).

وقراءتَه، {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه} [سورة القيامة:١٨]، أي: قراءَتَه...قَرَأْتُ الشيء قرآناً جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض"(١).

الثاني: التلاوة، وهي النطق بالكلمات المكتوبة، ومنه قولهم: (قرأت الكتاب) أي: تلوته، وسميت التلاوة قراءة؛ لأنها ضم لأصوات الحروف في الذهن لتكوين الكلمات التي ينطق بها(٢).

قال أبو البقاء الكفوي رحمه الله: "القرآن في الأصل مصدر (قرأت الشيء قرآناً) بمعنى: جمعته، أو قرأت الكتاب قراءة أو قرآناً، بمعنى: تلوته ثم نقله العرف إلى المجموع المخصوص، والمتلو المخصوص: وهو كتاب الله..."(٣).

- **تعريف القراءات اصطلاحاً:**

عرف العلماء القراءات اصطلاحاً بتعريفات عديدة من أبرزها تعريف:

١- **الزركشي:** "القرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما"(٤).

٢- **ابن الجزري:** "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"(٥).

---

(١) لسان العرب، (١٢٨/١).

(٢) **يُنظر**: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٦٥/١)، ولسان العرب، لابن منظور (١٢٩/١)، والمعجم الوسيط، صادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون)، (٧٢٢/٢).

(٣) الكليات، (٧٢٠/١).

(٤) البرهان في علوم القرآن، (٣١٨/١).

(٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (٩).

٣- **القسطلاني:** "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله، واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع، أو يقال: علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والفصل والوصل من حيث النقل"(١).

٤- **الدمياطي** : "علم القراءة علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع"(٢).

٥- **الزرقاني** : "القراءات مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"(٣).

٦- **عبد الفتاح القاضي:** "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله"(٤).

٧- **محمد سالم محيسن** : "علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف"(٥).

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات، (١/١٧٠).

(٢) إتحاف فضلاء البشر، (٦).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/٤١٢).

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (٧).

(٥) القراءات وأثرها في علوم العربية، (١/٩).

مما سبق تبين للباحث الآتي: أن أجمع هذه التعاريف تعريف ابن الجزري؛ لأنه أفاد كيفية النطق بألفاظ القرآن، وكتابتها، ومواضع اتفاق نقلة القرآن واختلافهم، معزوة إلى قرّائها، مع بيان المتواتر والشاذ منها، وهذا هو علم القراءات.

ثانياً: تعريف الأحكام الشرعية:

- **الحكم لغة:** المنع ومنه سميت حَكَمة الدابة؛ لأنها تمنعها، ويسمى قضاء القاضي حُكْماً؛ لأنه يمنع الظلم، ويقال: أحكمت السفيه: إذا أخذت على يديه، ومنه قول جرير[١]:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

- **والحكم في الاصطلاح:** إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه[٢]، **والمراد بالأحكام الشرعية:** ما كان مصدرها الشرع، وقد اتفقت الأمة الإسلامية على أنَّ الأحكام الشرعيَّةِ هي من الله وحده، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلِّغ عنه: إما نصّاً، أو اجتهاداً يقرُّه الله عليه[٣]، وتنقسم الأحكام الشرعية إلى قسمين:

القسم الأول: الأحكام التكليفية وهي "خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير[٤]، وهي خمسة:

١- الواجب: ويسمَّى الفرض، وهو ما يثاب فاعله امتثالاً، ويعاقب تاركه.

٢- المندوب: هو ما يثاب فاعله امتثالاً، ولا يعاقب تاركه.

---

(١) ديوان جرير، (٥٠).

(٢) **يُنظر:** كشاف اصطلاحات الفنون، للتَّهانَوي (١٣٨٧/٢).

(٣) **يُنظر:** توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للبسام (٢٩/١).

(٤) **يُنظر:** شرح التلويح على التوضيح، للتفتازاني (٢٠/١).

٣- الحرام: ويسمى المحظور، وهو ما يعاقب فاعله، ويثاب تاركه امتثالاً.

٤- المكروه: هو ما يثاب تاركه امتثالاً، ولا يعاقب فاعله.

٥- المباح: هو ما لا يعاقب فاعله، ولا يثاب تاركه؛ فهو مستوي الطرفين، هذا هو أصل وضع المباح، إلاَّ أنَّه إذا قَصَدَ بفعله الخَيْرَ، التحق بالمأمورات، وإن قصَدَ بفعله الشر، التحق بالمنهيات.

القسم الثاني: الأحكام الوضعية: وهي خطاب الله تعالى بجعل الشيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً أو عزيمة أو رخصة(١).

ثالثاً: تعريف التيسير:

- **لغة:** السهولة واللين والانقياد، يقال: سهل الأمر إذا يسره ولم يعسره ولم يشق عليه غيره، ويقال: لاين فلان فلاناً إذا لاينه، وتيسرت البلاد إذا أخصبت(٢).
- **واصطلاحاً:** "بناء الأحكام الشرعية، وفق القدرة البشرية العادية، ومراعاة الأحوال الطارئة والأحكام الاستثنائية بأحكام خاصة مخففة، وهذا تعريف يشمل جميع أنواع التيسير في الشريعة الإسلامية، وأما فقه التيسير فهو معرفة الأحكام الشرعية وقواعد تنزيلها على الواقع على ضوء قدرة المكلف واستطاعته وفق مقصود الشارع"(٣).

(١) **يُنظر**: المحصول، للرازي (١٣٨/١)، والإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (١١٨/١).

(٢) **يُنظر**: مقاييس اللغة، لابن فارس (٨٥٧/٢)، ولسان العرب، لابن منظور (٨٥٧/٢).

(٣) فقه التيسير في الشريعة الإسلامية، لعبد الرقيب الشامي (١٥).

المطلب الثاني

فوائد القراءات القرآنية في الأحكام الشرعية

للقراءات القرآنية فوائد متعددة سواء في الجانب اللغوي، أو النحوي، أو الصوتي، أو الأدائي، أو العقدي، أو التفسيري، ولكن الباحث بين بعض الفوائد والحِكم المتعلقة بالأحكام الشرعية، فالقراءات القرآنية لها تأثير بالغ الأهمية في الفقه الإسلامي، واختلاف الأحكام الفقهية، وهذا طرف من إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه؛ وذلك أن تقلب الصورة اللفظية في بعض الحروف والكلمات فيه زيادة معنى، أو دلالة على كثير من الأحكام استنبطها الفقهاء من تعدد القراءات، أذكر بعض الفوائد، وهي[١]:

أولاً: بيان حكم شرعي مجمع عليه، ومثاله: قراءة سعد بن أبي وقاص وغيره بزيادة (من أم) [٢]، في قوله تعالى: **{وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ}** [سورة النساء:١٢]، فإن القراءة الشاذة بينت أن المراد بالإخوة هنا هم الإخوة لأم، وهذا باتفاق العلماء [٣].

(١) **يُنظر**: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٨/١)، ومدخل في علوم القراءات، للدكتور سيد رزق الطويل (١٤٦)، وصفحات في علوم القراءات، للدكتور عبد القيوم عبد الغفور السندي (١٣٧)، وعلم القراءات تاريخ وتعريف، للدكتور مجاهد يحيى هادي (٦٢).

(٢) **يُنظر**: الكشف والبيان، للثعلبي (١٢٤/١٠)، والتفسير البسيط، للواحدي (٣٧٢/٦)، والمفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (١١٣٥/٣).

(٣) **يُنظر**: أحكام القرآن، لابن الفرس (٩٦/٢)، ومفاتيح الغيب، للرازي (٥٢٣/٩)، وفتح القدير، للشوكاني (٥٠٠/١)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (٤٦/٣).

ثانياً: الترجيح لحكم اختلف فيه، ومثاله: قوله تعالى في كفارة اليمين: **{أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}** [سورة المائدة:٨٩]، حيث رجح الشافعي وغيره[١] في الرقبة أن تكون مؤمنة، عملاً بالقراءة الشاذة بزيادة (مؤمنة)[٢]، بينما ذهب أبو حنيفة إلى عدم اشتراط الإيمان[٣].

ثالثاً: الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين، كقوله تعالى: **{فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ}** [سورة البقرة:٢٢٢]، قرئ بالتخفيف والتشديد فِي حرف الطاء من كلمة يطهرن ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة فِي طهر النساء من الحيض؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة ومجموع القراءتين يحكم بأمرين أحدهما: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر وذلك بانقطاع الحيض، وثانيهما: أنها لا يقربها زوجها أيضاً إلا إن بالغت فِي الطهر وذلك بالاغتسال فلا بد من الطهرين كليهما فِي جواز قربان النساء، وهو مذهب الشافعي ومن وافقه أيضاً[٤].

رابعاً: التسهيل والتخفيف على الأمة بالدلالة على حكمين شرعيين مختلفين أحدهما أخف من الآخر، كقراءة وأرجلكم بالخفض والنصب في قوله تعالى: **{فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ}** [سورة المائدة:٦]، فإن

(١) **يُنظر:** الأم، للشافعي (٦٩/٧)، والتهذيب في فقه الإمام الشافعي، للبغوي (١١٢/٨)، والبيان في مذهب الإمام الشافعي، للعمراني (٣٦٣/١٠).

(٢) **يُنظر:** النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٩/١).

(٣) **يُنظر:** المبسوط، للسرخسي (١٤٤/٨)، وتحفة الفقهاء، لعلاء الدين السَّمَرْقندي (٣٤٤/٢).

(٤) تم دراسة هذا المثال في البحث.

الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل، فبيَّنهما النبي صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره[١].

خامساً: إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه، ودفع توهم ما ليس مراداً، كقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}** [سورة الجمعة:٩]، قرئ: (فامضوا إلى ذكر الله) [٢]، والقراءة المتواترة: (فاسعوا): يقتضي ظاهر القراءة المتواترة المشي السريع، وجاءت القراءة الأخرى، وهي شاذة موضحة أن المقصود هو الذهاب إلى المسجد بأي صورة من الصور، سواءً كان ماشياً، أم راكباً، أم مهرولاً[٣]، وليس المقصود بالإسراع المشي؛ إنما المقصود به التوجه إلى الصلاة، والمجيء إليها بخشوع وسكينة.

سادساً: الاحتجاج بالقراءة لترجيح قول بعض العلماء، كقراءة: (أو لمستم النساء) إذ اللمس يطلق على الجس والمس، كقوله تعالى: **{فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ}** [سورة الأنعام:٧]، أي: مسوه[٤].

---

(١) تم دراسة هذا المثال في البحث.

(٢) **يُنظر**: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، لابن جني (٣٧٥/٢).

(٣) **يُنظر:** النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٩/١)، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، لابن جني (٣٧٦/٢)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١٤٨/١).

(٤) **يُنظر**: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٩/١).

المبحث الثاني

التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات المتواترة.

أولاً: تعريف القراءات المتواترة:

التواتر لغة: التتابع ومجيء الأمر شيئاً بعد شيء[١]، قال ابن منظور: "التواتر: التتابع، وقيل: هو تتابع الأشياء وبينها فجوات وفترات... واتَرْتُ الكُتُبَ فَتَواتَرَت، أَي: جَاءَتْ بعضُها فِي إِثر بَعْضٍ وِتْراً وِتْراً مِنْ غَيْرِ أَن تَنْقَطِعَ"[٢]، وقال الجوهري ¬: "والمُواتَرَةُ: المتابعةُ...واتَرْتُ الكتب فتواترت، أي: جاءت بعضها في إثر بعض وِتْراً وِتْراً، من غير أن تنقطع"[٣].

واصطلاحاً: عرفه ابن الجزري بقوله: "ما وراه جماعة كذا إلى منتهاه يفيد العلم من غير تعيين عدد، هذا هو الصحيح"[٤]، وعرفه السيوطي بأنه: "ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القراءات كذلك"[٥].

هذا المعنى متحقق في القراءات العشر، إذ رواها عدد كبير من الصحابة الكرام، ورواها عنهم التابعون ومن تبعهم، ولم تَخْلُ الأمة في عصر من العصور ولا في مِصر من

---

(١) **يُنظر:** المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٥٣٢/٩)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (٤٩٠)، وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (٣٣٨/١٤).

(٢) لسان العرب، (٢٧٥/٥).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٨٤٣/٢).

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (١٨).

(٥) الإتقان في علوم القرآن، (٢٦٤/١).

الأمصار عن جم غفير ينقل القراءات ويرويها بالإسناد المتصل، فالقراءات العشر المتواترة هي التي اشتهرت واستفاضت وتلّقاها المسلمون بالرضا والقبول منذ عصر النبوة إلى عصرنا الحاضر، ونص جمع غفير من العلماء على تواترها فهي مقطوع بصحتها.

وقد نقل تواتر القراءات السبع جماعة كبيرة من العلماء منهم: القاضي أبو بكر الباقلاني الأشعري(١)، وابن حزم الظاهري(٢)، وابن عطية(٣)، وابن الحاجب(٤)، والنووي(٥)، والنووي(٥)، وزكريا الأنصاري(٦)، وغيرهم من العلماء.

وأما القراءات الثلاث المتممة للعشر فقد صرح عدد من العلماء بتواترها، منهم: السبكي(٧)، وابن الجزري(٨)، والنويري(٩)، وشمس الدين الكوراني(١٠)، والقسطلاني(١١)، والبناء الدمياطي(١٢)، وابن عابدين(١٣)، والزُّرْقاني(١٤)، وغيرهم.

---

(١) **يُنظر**: الانتصار للقرآن، (٦٥/١).
(٢) **يُنظر**: الإحكام في أصول الأحكام، (٩٦/١).
(٣) **يُنظر**: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤٨/١).
(٤) **يُنظر**: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، (٤٦٩/١).
(٥) **يُنظر**: المجموع شرح المهذب، (٣٩٢/٣).
(٦) **يُنظر**: غاية الوصول في شرح لب الأصول، (٣٢).
(٧) **يُنظر**: النشر في القراءات العشر، (٤٦/١)، ومنجد المقرئين ومرشد الطالبين، (٧٢).
(٨) **يُنظر**: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (٧٢).
(٩) **يُنظر**: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (١٢٧/١).
(١٠) **يُنظر**: الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، (٤١٦/١).
(١١) **يُنظر**: لطائف الإشارات لفنون القراءات، (١٣٧/١).
(١٢) **يُنظر**: إتحاف فضلاء البشر، (٩).
(١٣) **يُنظر**: رد المحتار على الدر المختار، (٤٨٦/١).
(١٤) **يُنظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن، (٤٤١/١).

وأما القراءة المتواترة: فعرفها ابن الجزري بأنها "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها"(١).

ثانياً: حكم الاحتجاج بالقراءات المتواترة؟

أجمع الفقهاء على وجوب العمل بالقراءات المتواترة فإن كل قراءة تعد قرآناً تعطي حكماً فقهياً مستقلاً(٢)، ولذلك كان الفقهاء والمفسرون على علم كبير بالقراءات القرآنية، قال ابن ابن العربي ¬: "إن القراءة ينبني عليها المذهب، ولا يُقرأ بحكم المذهب"(٣).

ثالثاً: التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات المتواترة، وفيه:

الحكم الأول: التيسير في إباحة المسح على الخفين.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ} [سورة المائدة:٦].

أولاً: القراءات القرآنية:

قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وحفص: {وَأَرْجُلَكُمْ} بالفتح، وقرأ الباقون: {وَأَرْجُلِكُمْ} بالجر(٤).

ثانياً: الأثر التفسيري المترتب على القراءات:

(١) النشر في علوم القراءات، (٩/١).

(٢) **يُنظر:** الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (١٦٠/١).

(٣) أحكام القرآن، (١١٣/١).

(٤) **يُنظر:** السبعة في القراءات، لابن مجاهد (٢٤٢)، والتيسير في القراءات السبع، للداني (٩٨)، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٢٧/٢)، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي (٤٩).

أفادت قراءة الفتح: {وَأَرْجُلَكُمْ}، وجوب غسل الرجلين؛ لأنها معطوفة على الوجوه والأيدي، بينما أفادت قراءة الجر: {وَأَرْجُلِكُمْ} المسح؛ لأنها معطوفة على رؤوسكم[١]، وهنالك توجيهات أخرى لقراءة الجر في كتب التوجيه والتفسير[٢].

قال الإمام السعدي رحمه الله: "تكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلهما إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف"[٣].

ثالثاً: الأحكام الشرعية المترتبة على القراءات القرآنية:

هل فرض الرجلين الغسل أم المسح؟ في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الواجب في الرجلين الغسل لا المسح، وهذا مذهب الجمهور[٤] بل نقل بعضهم عليه الإجماع، قال ابن العربي رحمه الله: "اتفق العلماء على وجوب غسلهما، وما علمت من رد ذلك سوى الطبري من فقهاء المسلمين...والرافضة من غيرهم، وتعلق الطبري بقراءة الخفض"[٥]، واستدلوا: بقراءة النصب.

(١) **يُنظر**: بحر العلوم، للماوردي (٣٩٧/١).

(٢) **يُنظر**: التفسير البسيط، للواحدي (٧/ ٢٨١)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز، لأبي السعود (١١/٣)، ومعاني القرآن، للزجاج (١٥٢/٢)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (١/ ٢٥٨)، والدر المصون، للسمين الحلبي (٢١٠/٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، (٢٢٣).

(٤) **يُنظر**: المحرر الوجيز، لابن عطية (١٦٣/٢)، وأحكام القرآن، لابن الفرس (٣٧٣/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢٢٤/١)، والتفسير المنير، للزحيلي (١٠٥/٦).

(٥) نقلاً عن كتاب الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩١/٦).

القول الثاني: الواجب هو المسح[١]، وهذا القول ذهب إليه أنس بن مالك، وابن عباس، وهو قول الشيعة[٢]، واستدلوا: بقراءة الخفض.

القول الثالث: التخيير بين الغسل أو المسح، وهذا قول ابن جرير الطبري[٣]، عملاً بالقراءتين.

القول الرابع: الواجب غسل الرجل ومسحها، فلا بد أن يجمع بين الغسل والمسح، وهو قول ابن حزم الظاهري[٤]، وحجته: أن الله جل وعلا أمر بالغسل كما دلت عليه قراءة الفتح، وأمر بالمسح كما دلت عليه قراءة الخفض، وكلا الأمرين من الله.

والقول الذي يميل إليه الباحث: أن فرض الرجلين الغسل إذا كانت مكشوفة، والمسح إذا كانت مستورة بالخف؛ لأن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين، وهذا القول دلت عليه السنة النبوية المطهرة، وقال به عدد من المفسرين، منهم: الماوردي[٥]، والشنقيطي[٦]، والسعدي[٧]، والزحيلي[٨]، وغيرهم.

---

(١) أما الزيدية فهم يرون الغسل ولا يرون المسح على الخفين، قال الإمام يحيى بن الحسين بعد أن ذكر باب القول في المسح على الخفين والشراكين والرجلين والخمار والعمامة والقلنسوة: "أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لا مسح على شيء من ذلك، وأن من مسح على شيء من ذلك فلم يتوضأ، وأنه لا صلاة إلا بوضوء، فأما ما يقول به الروافض من المسح على الرجلين فهذا باطل محال، فاسد من المقال، وإنما حرم المسح على الخف والقدم والنعل". الأحكام، (٥٠/١).

(٢) **يُنظر:** المحلى بالآثار، لابن حزم (٣٠١/١).

(٣) **يُنظر:** جامع البيان، (٦٢/١٠).

(٤) **يُنظر:** المحلى بالآثار، (٣٠١/١).

(٥) **يُنظر:** بحر العلوم، (٣٩٧/١).

(٦) **يُنظر:** أضواء البيان، (٣٣٦/١).

(٧) **يُنظر:** تيسير الكريم الرحمن، (٢٢٣).

(٨) **يُنظر:** التفسير المنير، (١١٢/٦).

قال الشنقيطي رحمه الله: "الآية تشير إلى المسح على الخف في قراءة الخفض، والمسح على الخفين، إذا لبسهما طاهرا، متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يخالف فيه إلا من لا عبرة به"(١).

رابعاً: التيسير في الحكم الشرعي من خلال القراءات المتواترة.

إن من رحمة الله بعباده، ويسر شريعته وأحكامه، أن شرع لهم المسح على الخفين كما دلت عليه قراءة الجر أو الخفض؛ تيسيراً عليهم وتخفيفاً للمشقة، خاصة في أوقات البرد الشديد والسفر، وفي هذا التشريع تتجسد سماحة الإسلام ومراعاته للعباد، ولهذا ختم الله الآية بقوله: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ} [سورة المائدة:٦]، أي: "ما يريد الله أن يجعل عليكم ضيقًا في أحكامه"(٢).

قال الماوردي: "الآية إذا قرئت بقراءتين فالله تعالى قال بهما جميعاً أو بإحداهما قيل له هذا على وجهين إن كان لكل قراءة معنى غير المعنى الآخر فالله تعالى قال بهما جميعاً وصارت القراءتان بمنزلة الآيتين وإن كانت القراءتان معناهما واحد فالله تعالى قال بأحداهما ولكنه رخص بأن يقرأ بالقراءتين جميعا"(٣).

قال الزحيلي: "ودلت قراءة الجر أو الخفض على مشروعية المسح على الرّجلين إذا كان عليهما خفان، وقد أثبت المسح على الخفين عدد كثير من الصحابة وغيرهم" (٤).

(١) أضواء البيان، (٣٣٦/١).

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم، لجماعة من علماء التفسير (١٠٨/١).

(٣) بحر العلوم، (٣٩٧/١).

(٤) التفسير المنير، (١١٢/٦).

فالقراءتان دلتا على حكمين شرعيين مختلفين أحدهما أخف من الآخر، فالمسح أخف وأسهل وأيسر من الغسل.

الحكم الثاني: التيسير في ركعتي الطواف بخروج حكمها من الوجوب إلى الندب والاستحباب.

قال تعالى: **{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}** [سورة البقرة:١٢٥].

أولاً: القراءات القرآنية:

قرأ الجمهور: **{وَاتَّخِذُواْ}** بكسر الخاء، وقرأ نافع وابن عامر: **{وَاتَّخَذُواْ}** بفتح الخاء[١].

ثانياً: الأثر التفسيري المترتب على القراءات:

أفادت قراءة الجمهور: **{وَاتَّخِذُواْ}** بكسر الخاء أنه أمر من الله تعالى[٢]، والمأمور بذلك إبراهيم وذريته، وقيل: نبينا صلى الله عليهما وأمته[٣]، بينما أفادت القراءة بفتح الخاء: **{وَاتَّخَذُواْ}** أنه إخبار عن ولد إبراهيم عليه السلام أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى[٤].

---

(١) **يُنظر**: السبعة في القراءات، لابن مجاهد (١٧٠)، والتيسير في القراءات السبع، للداني (٧٦)، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي (٤٠).

(٢) **يُنظر**: الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٤٣١/١)، والوجيز، للواحدي (١٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر، للدمياطي (١٩٢).

(٣) **يُنظر**: إتحاف فضلاء البشر، للدمياطي (١٩٢).

(٤) **يُنظر**: حجة القراءات، لابن زنجلة (١١٣).

والمراد بمقام إبراهيم: "المقام المعروف الذي قد جعل الآن، مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا، ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين"[١].

ثالثاً: الأحكام الشرعية المترتبة على القراءات القرآنية:

لاختلاف القراءتين أثرٌ في اختلاف الفقهاء، والمفسرين في حكم ركعتي الطواف، هل هي واجبة أم مستحبة، في المسألة قولان هما:

القول الأول: أن ركعتي الطواف واجبة، وهو مذهب الحنفية[٢]، وقول للشافعية[٣]، والزيدية[٤]، وقال به من المفسرين الجصاص[٥]، وابن العربي[٦]، والمظهري[٧]، والزحيلي[٨]، واستدلوا بأدلة منها: قراءة الجمهور.

القول الثاني: أنها سنة مؤكدة، وهو مذهب الحنابلة[٩]، وقول للمالكية[١٠]، والشافعية[١١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٦٥).

(٢) **يُنظر:** المبسوط، للسرخسي (١٢/٤)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني (١٤٨/٢)، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي (١٩/٢).

(٣) **يُنظر:** الحاوي الكبير، للماوردي (١٥٣/٤)، والمهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي (٤٠٨/١).

(٤) **يُنظر:** البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، لأحمد بن قاسم الصنعاني (٤٨٩/٥)، والتاج المذهب لأحكام المذهب، لأحمد بن يحيى بن المرتضى (١٢٦/٢)، وشرح الأزهار، لأحمد بن يحيى بن المرتضى (٢١٥/٤).

(٥) **يُنظر:** أحكام القرآن، (٩٠/١).

(٦) **يُنظر:** أحكام القرآن، (٦٠/١).

(٧) **يُنظر:** التفسير المظهري، (١٢٦/١).

(٨) **يُنظر:** التفسير المنير، (٣٠٩/١).

(٩) **يُنظر:** الكافي، لابن قدامة (٥١١/١)، والمغني لابن قدامة (٣٤٧/٣)، والعدة شرح العمدة، لبهاء الدين المقدسي (٢٠٣).

(١٠) **يُنظر:** الكافي، لابن عبد البر (٣٦٧/١)، والذخيرة، للقرافي (٢١٤/٣)، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد (١٠٧/٢).

(١١) **يُنظر:** المجموع، للنووي (١٤/٨).

وقال به من المفسرين: الواحدي[١]، والزمخشري[٢]، والبيضاوي[٣]، والموزعي[٤]، والشربيني[٥]، والسيوطي[٦]، وأبي السعود[٧]، والسعدي[٨]، وابن عاشور[٩]، **واستدلوا** بأدلة بأدلة منها قراءة الفتح.

رابعاً: التيسير في الحكم الشرعي من خلال القراءات المتواترة:

إن جانب التيسير في الحكم الشرعي خروجه من دائرة الوجوب إلى الندب والاستحباب، فقراءة الفتح دلت على أن ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم مستحبة وليست واجبة.

فقراءة الفتح فيها رفع الحرج عن الأمة حيث لم تلزم الحاج أو المعتمر بأداء ركعتي الطواف، ففيها تخفيف وتيسير عليهم، خاصة أوقات الزحام الشديد حول الكعبة، حيث يصعب الوصول إلى المقام للصلاة خلفه، ففي قراءة الفتح تخفيف في أداء مناسك الحج والعمرة.

الحكم الثالث: إباحة وطء المرأة الحائض بانقطاع الدم وقبل الغسل:قال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ**

(١) **يُنظر**: الوجيز، (١٣٠).

(٢) **يُنظر**: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (١٨٥/١).

(٣) **يُنظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١٠٥/١).

(٤) **يُنظر**: تيسير البيان لأحكام القرآن، (٤/ ٢٨).

(٥) **يُنظر**: السراج المنير، (٩١/١).

(٦) **يُنظر**: الإكليل في استنباط التنزيل، (٣٢).

(٧) **يُنظر**: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٥٧/١).

(٨) **يُنظر**: تيسير الكريم الرحمن، (٦٥).

(٩) **يُنظر**: التحرير والتنوير، (٧١٠/١).

يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [سورة البقرة:٢٢٢].

أولاً: القراءات القرآنية:

قرأ: {يَطَّهَّرْنَ} بفتح الطاء والهاء والتشديد حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون: بسكون الطاء وضم الهاء مخففة: {يَطْهُرْنَ} (١).

ثانياً: الأثر التفسيري المترتب على القراءات:

أفادت قراءة التخفيف: {يَطْهُرْنَ}، أي: ينقطع عنهن الدم، يقال: طهُرت المرأة وطهَرت: إذا رأت الطهر، وإن لم تغتسل بالماء، بينما أفادت قراءة التشديد: {يَطَّهَّرْنَ}، أي: يغتسلن بالماء، والأصل يتطهرن، فأدغمت التاء في الطاء(٢).

ثالثاً: الأحكام الشرعية المترتبة على القراءات القرآنية:

من المعلوم في الدين بالضرورة أنه يُحرم وطء المرأة الحائض، وهذه مسألة أجمع عليها العلماء سلفاً وخلفاً(٣)، ولكنهم اختلفوا متى يجوز وطأها هل بانقطاع الدم أم لا بد من الغسل إلى أقوال:

---

(١) **يُنظر**: السبعة في القراءات، لابن مجاهد (١٨٢)، والتيسير في القراءات السبع، للداني (٨٠)، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢٢٧/٢)، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي (٤٩).

(٢) **يُنظر**: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١٩٠/١)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (٤٢٢/٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨٩/٣).

(٣) **يُنظر**: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٦١٢/١)، ولباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (١٥٤/١)، وفتح القدير، للشوكاني (٢٥٩/١)، ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام، للصابوني (٧١).

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء[١] المالكية،[٢] والشافعية،[٣] والحنابلة،[٤] والزيدية[٥] إلى أنه لا بد من انقطاع الدم والغسل عملاً بالقراءتين، ولا يجوز الإتيان بمجرد انقطاع الدم.

القول الثاني: ذهب أبو حنيفة إلى جواز إتيان الزوجة بمجرد انقطاع الدم بشرط انقطاع الدم لأكثر الحيض، وهو عشرة أيام وإن لم تغتسل، أما إذا انقطع دم الحيض عند المرأة دون العشرة الأيام فلا يحل لزوجها إتيانها حتى تغتسل[٦]، ودليلهم في ذلك: قراءة التخفيف، قال الإمام النسفي رحمه الله: "والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملاً بقراءة التخفيف وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد"[٧].

القول الثالث: ذهبت الظاهرية إلى أنه يحل وطء الزوجة إذا تطّهرت أي: توضأت وغسلت فرجها، روي ذلك عن عطاء وطاووس ومجاهد والأوزاعي[٨] **والقول الذي يميل إليه الباحث:** هو ما ذهب إليه جمهور العلماء؛ لأنه أحوط فالوطء بعد الاغتسال متفق

(١) **يُنظر:** الحاوي الكبير، للماوردي (٣٨١/١).

(٢) **يُنظر:** بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد الحفيد (٦٤/١)، والذخيرة، للقرافي (٣٧٧/١)، وأسهل المدارك شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك، للكشناوي (١٠٨).

(٣) **يُنظر:** الأم، للشافعي (١٨٤/٥)، والحاوي الكبير، للماوردي (٣٨١/١).

(٤) **يُنظر:** المغني، لابن قدامة (٢٤٦/١)، والعدة، لبهاء الدين المقدسي (٥٣).

(٥) **يُنظر:** الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير، لشرف الدين الحسين بن أحمد السياغي (٣٥٦/١).

(٦) **يُنظر:** المبسوط، للسرخسي (١٦/٢)، والاختيار لتعليل المختار، لابن مودود الموصلي (٢٨/١)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم (٦٤/١)، والدر المختار وحاشية ابن عابدين، (٢٩٤/١).

(٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (١٨٥/١).

(٨) **يُنظر:** المحلى بالآثار، لابن حزم (٢٣٨/٩).

على جوازه وأما قبله فمختلف فيه فيعمل بالمتفق احتياطاً، وعملاً بالقراءتين فكل قراءة دلت على حكم شرعي.

رابعاً: التيسير في الحكم الشرعي من خلال القراءات المتواترة:

خروج الحكم الشرعي من التحريم إلى الإباحة، فقد دلت قراءة التشديد على تحريم وطء المرأة الحائض حتى تغتسل، بينما أباحت قراءة التخفيف وطء المرأة الحائض إذا انقطع الحيض وإن لم تغتسل، بشرط أن يكون لأكثره –أي بعد مضي عشرة أيام–، وهذا ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف عملاً بقراءة التشديد.

المطلب الثاني

التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءات الشاذة

أولاً: تعريف القراءات الشاذة.

الشذوذ لغة: مصدر شَذَّ يَشِذُّ شُذُوذا، أي: انفرد عن الجمهور وندر، فهو شاذ، وشَذَّ الرجل: إذا انفرد عن أصحابه، وكل شيء منفرد فهو شاذ[١].

وأما تعريف القراءات الشاذة اصطلاحاً فعرفها العلماء بتعاريف أبرزها:

الأول: أبو شامة: "ما نقل قرآناً من غير تواتر واستفاضة، متلقاة بالقبول من الأمة كما اشتمل عليه"[٢].

الثاني: ابن الجزري: "هي كل قراءة اختل فيها أحد أركان القراءة الثلاثة سواء كانت عن السبعة أو غيرهم"[٣].

الثالث: السيوطي: "وهو ما لم يصح سنده"[٤].

الرابع: زكريا الأنصاري: "ما وراء العشرة، وهو ما نقل قرآناً ولم تتلقه الأئمة بالقبول ولم يستفض أو لم يوافق الرسم"[٥].

---

(١) **يُنظر**: الصحاح، للجوهري (٥٦٥/٢)، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٦١٠/٧)، ومختار الصحاح، للرازي (١٦٣)، ولسان العرب، لابن منظور (٤٩٤/٣)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (٣٣٤)، وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (٤٢٣/٩).

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، (١٨٤/١).

(٣) النشر في القراءات العشر، (٩/١).

(٤) الإتقان في علوم القرآن، (٢٦٥/١).

(٥) غاية الوصول في شرح لب الأصول، (٣٢).

وسميت شاذة؛ لأنها شذت عن الطريقة التي بها نقل القرآن حيث نقل بجميع حروفه نقلاً متواتراً، قال ابن الجزري ¬ وهو يبين سبب تسميتها شاذة؛ "لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه"(١).

والتعريف المختار هو أن الشاذ من القراءات ما وراء العشرة فهو شاذ، وهذا قول جمهور الأصوليين وقرره أكثر العلماء كالزركشي(٢)، والبغوي(٣)، والنويري(٤)، والسبكي(٥)، وابن الجزري(٦)، وغيرهم من العلماء.

بل نقل النويري الإجماع عن الأصوليين والفقهاء والقراء بقوله: "أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشرة، وكذلك أجمع عليه القراء أيضاً إلا من لا يعتد بخلافه"(٧).

ثانياً: حكم الاحتجاج بالقراءات الشاذة؟

اختلف العلماء والفقهاء في الاحتجاج بالقراءات الشاذة إلى قولين:

القول الأول: أن القراءات الشاذة ليست بحجة في الأحكام الشرعية؛ لأنها ليست قرآناً، وهو مذهب الشافعية، والمالكية، والظاهرية.

قال ابن العربي : "القراءة الشاذة لا ينبني عليها حكم؛ لأنه لم يثبت لها أصل"(٨).

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (١٩).

(٢) **يُنظر**: البحر المحيط في أصول الفقه، (٢٢٠/٢).

(٣) نقلاً عن مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني (١٥٣/١).

(٤) **يُنظر**: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (١٢٧/١).

(٥) **يُنظر**: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٤٦/١)، ومنجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري (٧٢).

(٦) **يُنظر**: النشر في القراءات العشر، (٤٥/١).

(٧) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (١٢٧/١).

(٨) أحكام القرآن، (١١٣/١).

وقال الآمدي: "اتفقوا على أن ما نقل إلينا من القرآن نقلاً متواتراً، وعلمنا أنه من القرآن أنه حجة، واختلفوا فيما نقل إلينا منه آحادا كمصحف ابن مسعود، وغيره أنه هل يكون حجة، أم لا؟ فنفاه الشافعي وأثبته أبو حنيفة...والمختار إنما هو مذهب الشافعي"(١).

وقال الغزالي: "القراءة الشاذة المتضمنة لزيادة في القرآن مردودة"(٢).

وقال ابن حزم بعد ذكره للقراءات الشاذة التي تحدد الصلاة الوسطى بصلاة العصر: "وفي هذا بيان أنها روايات لا تقوم بها حجة وكل ما كان عمّن دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا حجة فيه"(٣).

واستدلوا بالآتي:

- أن الدواعي متوافرة على نقل القرآن الكريم؛ لأنه قاعدة الإسلام، وقطب الشريعة، وإليه رجوع جميع الأصول، ولو كانت القراءة الشاذة منه لاستفاض نقلُها وتواتر.

- أنَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجمعوا في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان على ما بين الدفتين وترك ما عداه، فكل زيادة لا تحويها الدفتان فهي غير معدودة من القرآن(٤).

-أنَّ القراءة الشاذة لا تنزّل منزلة خبر الواحد؛ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، ولا يثبت إلا بالتواتر إجماعاً، وإذا لم يثبت قرآناً لا يثبت خبراً(٥).

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (١٦٠/١).

(٢) المنخول من تعليقات الأصول، (٣٧٤).

(٣) المحلى بالآثار، (١٧٥/٣).

(٤) **يُنظر**: البرهان في أصول الفقه، للجويني (٢٥٧/١).

(٥) **يُنظر**: المنهاج في شرح صحيح مسلم، للنووي (١٣١/٥).

القول الثاني: أن القراءات الشاذة حجة في الأحكام الشرعية وتنزل منزلة خبر الآحاد، وهذا مذهب الحنفية والحنابلة والزيدية.

قال السرخسي ¬: "فإن قيل فقد أثبتم بقراءة ابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات كونه قرآناً في حق العمل به ولم يوجد فيه النقل المتواتر ولم تثبتوا في التسمية مع النقل المتواتر كونها آية من القرآن في حكم العمل وهو وجوب الجهر بها في الصلاة وتؤدي القراءة بها قلنا نحن ما أثبتنا بقراءة ابن مسعود كون تلك الزيادة قرآناً وإنما جعلنا ذلك بمنزلة خبر رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لعلمنا أنه ما قرأ بها إلا سماعاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخبره مقبول في وجوب العمل به"[(١)].

وقال **ابن قدامة** معقباً على قراءة ابن مسعود: "الصحيح: أنه حجة؛ لأنه يخبر أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم"[(٢)].

وقال **ابن اللحام الحنبلي:** "القراءة الشاذة ...مذهبنا ومذهب أبي حنيفة أنها حجة يحتج بها، وذكره ابن عبد البر إجماعاً"[(٣)].

وقال **إبراهيم بن محمد بن عبد الله الهادي**–أحد أعلام الزيدية –:"ويختار أئمتنا أنها كالآحاد فيعمل بها في الأحكام العملية"[(٤)].

(١) أصول السرخسي، (٢٨١/١).

(٢) روضة الناظر، (٢٠٤/١).

(٣) القواعد والفوائد الأصولية، (٢١٤).

(٤) الفصول اللؤلؤية في أصول فقه العترة الزكية، (١٢٢).

وقال **أبو الحسن عبد الله بن أبي القاسم بن مفتاح**-أحد أعلام الزيدية -:"والقراءة الشاذة كالخبر الآحاد في وجوب العمل بها؛ إذ هي إما قرآن أو خبر"(١).

واستدلوا: بأن المنقول بطريق الآحاد إما أن يكون حديثاً أو خبراً وكلاهما موجب للعمل؛ لأنه لا يخرج عن كونه مسموعاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو مروياً عنه فيكون حجة كيفما كان، فهي منقول عدل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومروي عنه، فيكون حجة كيفما كان، يجب قبوله كسائر منقولاته(٢).

والقول الذي يميل إليه الباحث أن القراءات الشاذة حجة في الأحكام الشرعية لاسيما إذا صح سندها ولم تخالف نصاً صريحاً أقوى منها؛ لأمور منها:

- أن القراءات الشاذة قد تكون مما نُسِخَ تلاوته وبقي حكمه، ومثاله: (إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم)(٣).

- أن القراءات الشاذة تجري مجرى خبر الآحاد، قال زكريا الأنصاري ¬: "والأصح أنه أي: الشاذ يجري مجرى أخبار الآحاد في الاحتجاج؛ لأنه منقول عن النبيّ ولا يلزم من انتفاء خصوص قرآنيته انتفاء عموم خبريته"(٤).

وقال القرطبي ¬: "إنه وإن لم يثبت كونه قرآناً فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الآحاد"(٥).

---

(١) شرح الأزهار المنتزع من الغيث المدرار، (٩٧/٨).

(٢) **يُنظر**: روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة (٢٠٥/١).

(٣) مسند أحمد، مسند الأنصار، (٤٧٢/٣٥)، رقم: (٢١٥٩٦)، قال المحقق شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير كثير بن الصلت، فقد روى له النسائي، وهو ثقة.

(٤) غاية الوصول في شرح لب الأصول، (٣٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٤٧/١).

-أن القراءة الشاذة وإن لم تكن قرآناً فهي رواية عن الصحابي كرأي أو تفسير للقرآن فيؤخذ برأي الصحابي وتفسيره ويستأنس به؛ كونهم عايشوا نزول القرآن، وهم عدول حريصون على نقل الشريعة وحفظها، قال أبو عبيد القاسم بن سلام ¬: "فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يرى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك، فكيف إذا روي عن لباب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صار في نفس القراءة؟ فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى"(١).

ثالثاً: التيسير في الأحكام الشرعية من خلال القراءة الشاذة.

الحكم الأول: التيسير في العمرة بخروج حكمها من الوجوب إلى الندب والاستحباب.

قال تعالى: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ} [سورة البقرة:١٩٦].

أولاً: القراءات القرآنية:

قرأ القراء العشرة: {وَالْعُمْرَةَ} بالفتح، وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، والأصمعي، وأبو حيوة، والحسن البصري: {وَالْعُمْرَةُ} بالرفع(٢)، وهي قراءة شاذة.

ثانياً: الأثر التفسيري المترتب على القراءات:

أفادت القراءة المتواترة: {وَالْعُمْرَةَ} بالفتح عطفاً على "الحج" فتكون العمرة داخلةً تحت الأمر، بينما أفادت القراءة الشاذة: {وَالْعُمْرَةُ} بالرفع على الابتداء والخبر، فتخرج العمرةُ عن الوجوب، وينفرد به الحج(٣).

---

(١) فضائل القرآن، (٣٢٦).

(٢) **يُنظر**: المختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه (١٢)، وإتحاف فضلاء البشر، للدمياطي (١٥٥)، ومعاني القرآن، للزجاج (٢٦٦/١).

(٣) **يُنظر**: الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٦٤٦/١)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (١٧٢/١).

ثالثاً: الأحكام الشرعية المترتبة على القراءات القرآنية:

اختلف الفقهاء في جوب العمرة إلى قولين:

القول الأول: أن العمرة واجبة، قاله جماعة من الصحابة والتابعين، وأتباعهم، وقال به عمر، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت(١)، وهو قول جمهور العلماء(٢)، وهو أحد قولي الشافعي، وهو المعتمد عند الشافعية في المذهب(٣)، والراجح عند الحنابلة(٤)، وذهب إليه بعض الحنفية(٥)، وقد رجح الكاساني القول بالوجوب في المذهب، ونصره ابن حزم(٦)، وممن قال به من المفسرين الثعلبي(٧)، والواحدي(٨)، والسمعاني(٩)، والبغوي(١٠)والقرطبي(١١)، وابن الفرس(١٢)، والرازي(١٣)، وابن عادل الحنبلي(١٤)، والبيضاوي(١٥).

(١) **يُنظر**: الإشراف على مذاهب العلماء، لابن المنذر (٣٧٦/٣).
(٢) **يُنظر**: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٦٦/١).
(٣) **يُنظر**: بحر المذهب، للروياني (٣٨٤/٣).
(٤) **يُنظر**: المُغني، لابن قدامة (٢١٨/٣).
(٥) **يُنظر**: بدائع الصنائع، للكاساني (٢٢٦/٢).
(٦) **يُنظر**: المحلى بالآثار، (٣/٥).
(٧) **يُنظر**: الكشف والبيان، (٩٦/٢).
(٨) **يُنظر**: التفسير البسيط، (٤/ ٨).
(٩) **يُنظر**: تفسير القرآن، (١/ ١٩٦).
(١٠) **يُنظر**: معالم التنزيل، (٢٤١/١).
(١١) **يُنظر**: الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٨/٢).
(١٢) **يُنظر**: أحكام القرآن، (٢٣٤/١).
(١٣) **يُنظر**: مفاتيح الغيب، (٢٩٧/٥).
(١٤) **يُنظر**: اللباب في علوم الكتاب، (٣٦١/٣).
(١٥) **يُنظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١٢٩/١).

والنيسابوري[١]، والسعدي[٢]، والشنقيطي[٣]، والزحيلي[٤]، واستدلوا: بظاهر القراءة المتواترة.

القول الثاني: أن العمرة سنة مؤكدة، وهو قول الحنفية[٥]، والمالكية[٦]، والزيدية[٧]، وهى الرواية الثانية للحنابلة[٨]، ورجحه ابن تيمية[٩]، وجمهور الحنفية وهو الرأي المعتمد المعتمد في المذهب[١٠]، واختاره جماعة من المفسرين منهم ابن جرير[١١]، ومكي[١٢]، والجصاص[١٣]، والزمخشري[١٤]، والنسفي[١٥]، وشهاب الدين الخفاجي[١٦]، وأبو السعود،[١٧]، والشوكاني[١٨]، وابن عاشور[١٩].

---

(١) **يُنظر**: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (٥٣٦/١).

(٢) **يُنظر**: تيسير الكريم الرحمن، (٩٠).

(٣) **يُنظر**: أضواء البيان، (٢٣٢/٥).

(٤) **يُنظر**: التفسير المنير، (٢/ ١٩٨).

(٥) **يُنظر**: التجريد، للقدوري (٤/ ١٦٩٢)، والمبسوط، للسرخسي (٤/ ٥٨).

(٦) **يُنظر**: مختصر خليل، (٦٦).

(٧) **يُنظر**: البحر الزخار، لأحمد بن قاسم الصنعاني (٦/ ٩٩).

(٨) **يُنظر**: المُغني، لابن قدامة (٢١٨/٣).

(٩) **يُنظر**: الفتاوى، (٢٩٤/٥).

(١٠) **يُنظر**: بدائع الصنائع، للكاساني (٢٢٦/٢).

(١١) **يُنظر**: جامع البيان، (٢٠/٣).

(١٢) **يُنظر**: الهداية الى بلوغ النهاية، (٦٤٨/١).

(١٣) **يُنظر**: أحكام القرآن، (٣٢٩/١).

(١٤) **يُنظر**: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٢٣٩/١).

(١٥) **يُنظر**: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (١٦٧/١).

(١٦) **يُنظر**: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، (٢٨٦/٢).

(١٧) **يُنظر**: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢٠٥/١).

(١٨) **يُنظر**: فتح القدير، (٢٢٤/١).

(١٩) **يُنظر**: التحرير والتنوير، (٢٢٠/٢)،

والآلوسي[1]، واستدلوا بالقراءة الشاذة: {وَالْعُمْرَةُ} فتكون العمرة مبتدأ، و{لِلَّهِ} الخبر، فهي جملة مستأنفة لم يتناولها مطلق الأمر بالإتمام في الآية، فالأمر بالوجوب مختص بالحج فقط[2].

رابعاً: التيسير في الحكم الشرعي من خلال القراءة الشاذة:

جانب التيسير في القراءة الشاذة أن بعض الفقهاء والمفسرين استدلوا بها على أن العمرة سنة مؤكدة لا فرضاً، وهذا القول فيه رفع الحرج عن المكلفين، خاصة من يعيشون بعيداً عن مكة، أو من تضيق بهم أحوالهم المالية، أو يشق عليهم السفر، وهذا يتناسب مع روح الشريعة الإسلامية القائمة على التيسير ورفع الحرج.

الحكم الثاني: التيسير بوجوب الوضوء عند إرادة الصلاة وتقييده بمن كان محدثاً.

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ}** [سورة المائدة:٦].

أولاً: القراءات القرآنية:

قرأ الجمهور: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ}**، وقرئ بزيادة: **{وأنتم محدثون}**[3]، وهي قراءة شاذة.

ثانياً: الأثر التفسيري المترتب على القراءات:

---

(١) **يُنظر**: روح المعاني، (٤٧٦/١).

(٢) **يُنظر**: الدر المصون، للسمين الحلبي (٣١٣/٢)، اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (٣٩٢/٣).

(٣) **يُنظر**: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩٨/١١)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١١٦/٢)، وتيسير البيان لأحكام القرآن، للموزعي (١٠٠/٣).

ظاهر القراءة المتواترة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ} تدل على وجوب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثاً، نظراً إلى عموم {الَّذِينَ آمَنُواْ} من غير اختصاص بالمحدثين، والجمهور على خلافه؛ لأن الأحاديث دلت على أن الوضوء لا يجب إلّا على المحدث، فالوجه في الخروج من ظاهر الآية، أن الخطاب فيه خاص بالمحدث، ولأن الإجماع على صرفها عن ظاهرها(١).

أما القراءة الشاذة: فدلت على أن الوضوء لا يجب إلا على من كان محدثاً، فهي مقيدة للوضوء بالحدث(٢).

ثالثاً: الأحكام الشرعية المترتبة على القراءات القرآنية:

اتفق العلماء على وجوب الوضوء لمن أراد الصلاة إذا كان محدثاً حدث أصغر(٣)، واختلف الفقهاء هل يجب الوضوء لكل صلاة؟ أم يصلى بوضوء واحد العديد من الصلوات إلى قولين:

القول الأول: يجب الوضوء لكل من أراد الصلاة، سواء كان محدثاً أو غير محدث، وهذا مروي عن علي بن أبي طالب، وعكرمة، وابن سيرين، وهو قول داود الظاهري(٤)، **واستدلوا:** أن الآية تفيد العموم، فيجب الوضوء عند القيام للصلاة، وإن لم يكن محدثاً نظراً إلى لفظ العموم في {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} من غير اختصاص بالمحدثين(٥).

---

(١) **يُنظر:** محاسن التأويل، للقاسمي (٦٢/٤)، وتفسير حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الهرري (١٣٧/٧).

(٢) تفسير آيات الأحكام، للسايس (٣٥٥).

(٣) **يُنظر:** الإجماع، لابن المنذر (٤٣)، والمحلى بالآثار، لابن حزم (٩٠/١)، وشرح صحيح البخاري، لابن بطال (٢١٨/١)، والمجموع شرح المهذب، للنووي (١٣١/٣)، وطرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي (٢١٣/٢).

(٤) **يُنظر:** المبسوط، للسرخسي (٥/١)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (١٦١/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١٨٧/٤).

(٥) **يُنظر:** أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١١٦/٢).

القول الثاني: يجب الوضوء لكل صلاة لمن كان محدثاً، وهو قول جمهور الفقهاء، وسعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس[١]، **واستدلوا بأدلة منها:** القراءة الشاذة: **{وأنتم محدثون}** "فهي مبينة للقراءة المتواترة فيمكن الاستئناس بها في تقدير حال الآية المتواترة"[٢].

رابعاً: التيسير في الحكم الشرعي من خلال القراءة الشاذة:

جاءت الشريعة الإسلامية بالتخفيف والتيسير على العباد في العبادة، ويظهر ذلك من خلال المعنى الذي دلت عليه القراءة الشاذة، وهو أن الوضوء للصلاة لا يجب إلا على من كان محدثاً وأن الوضوء الواحد يصلي به المسلم العديد من الصلوات، فالأصل حفظ الطهارة، ولأن الوضوء لكل صلاة فيه مشقة وعبء لا سيما في الصلاة المتقاربة في الوقت كالمغرب والعشاء، وإذا قلنا بوجوب الوضوء لكل صلاة فماذا يصنع المسافر والمريض الذين يجمعان بين الصلاتين؟

فالقراءة الشاذة احتراس للقراءة المتواترة، وأن معنى الآية يا أهل الإيمان إن قمتم لأداء الصلاة وأنتم محدثون حدثاً أصغر فتوضؤا للصلاة، فالقراءة الشاذة مقيدة لمطلق عموم القراءة المتواترة.

قال البيضاوي رحمه الله: " قيل: مطلق أريد به التقييد، والمعنى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ محدثين"[٣].

---

(١) **يُنظر**: المبسوط، للسرخسي (٥/١)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (١٦١/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١٨٧/٤)، وفتح القدير، للشوكاني (٢١/٢)، وفتح البيان، لصديق حسن خان (٣٥٩/٣)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (٦١/٤)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢٨/٦).

(٢) تفسير آيات الأحكام، للسايس (٣٥٥).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١١٦/٢).

الحكم الثالث: التيسير في إباحة البيع والشراء في مواسم الحج:

قال تعالى: **{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ}** [سورة البقرة:١٩٨].

أولاً: القراءات القرآنية:

قرأ العامة: **{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ}**، وقرأ عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم بزيادة: **{في مواسم الحج}**[(١)]، وهي قراءة شاذة.

ثانياً: الأثر التفسيري المترتب على القراءات:

ظاهر قراءة العامة تفيد العموم حيث دلت على إباحة مطلق ابتغاء فضل الله تعالى، في كل زمان ومكان، قال الجصاص رحمه الله: "ولم يخصص شيئاً من المنافع دون غيرها، فهو عام في جميعها من منافع الدنيا والآخرة...ولم يخصص منه حال الحج، وجميع ذلك على أن الحج لا يمنع التجارة، وعلى هذا أمر الناس من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا في مواسم منى ومكة في أيام الحج، والله أعلم"[(٢)].

بينما دلت القراءة الشاذة على تخصيص إباحة ابتغاء الفضل في مواسم الحج[(٣)]، وفائدة هذا التخصيص: إبطال المعتقد الفاسد الذي كان يعتقده أهل الجاهلية ويروجون له.

---

(١) **يُنظر**: المصاحف، لابن أبي داود (١٦٧)، وفضائل القرآن، للقاسم بن سلام (٢٩١)، وجامع البيان، للطبري (٤/ ١٦٦).

(٢) أحكام القرآن، (١/ ٣٨٦).

(٣) **يُنظر**: فوائد القراءات الشاذة، للدكتور عبدالله المنصوري (٧٧).

ثالثاً: الأحكام الشرعية المترتبة على القراءات القرآنية:

لأهل العلم في جواز التجارة في الحج قولان:

الأول: يرى جواز الاتجار في الحج، وهو قول الجمهور(١)، واستدلوا بأدلة منها: القراءة الشاذة، قال ابن حجر رحمه الله: "وقراءة ابن عباس رضي الله عنه: "في مواسم الحج" معدودة من الشاذ الذي صحَّ إسناده، وهو حجة، وليس بقرآن"(٢).

الثاني: يرى المنع، وهو قول سعيد بن جبير، وحجته أنه حمل ابتغاء الفضل على التجارة بعد الفراغ من أعمال الحج؛ لأنَّ الله تعالى نهى عن الجدال في الحج والتجارة من أسباب الجدال(٣).

والقول الراجح هو ما ذهب إليه الجمهور، بل ذكر بعض المفسرين انعقاد الإجماع على ذلك، قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: "وقد انعقد الإجماع على جواز التجارة والاكتساب بالكل، والإتجار إذا أتى بالحج على وجهه إلا ما نقل شاذاً عن سعيد بن جبير، وأنه سأله أعرابي أن أكري إبلي، وأنا أريد الحج أفيجزيني؟ قال: «لا، ولا كرامة»، وهذا مخالف لظاهر الكتاب والإجماع فلا يعول عليه"(٤).

رابعاً: التيسير في الحكم الشرعي من خلال القراءة الشاذة:

جانب التيسير في الحكم الشرعي من خلال القراءة الشاذة يتمثل في تخصيص العموم الذي دلت عليه الآية، فقراءة الجماعة دلت على إباحة مطلق ابتغاء فضل الله تعالى، في

(١) **يُنظر**: أحكام القرآن، للجصاص (٣٨٦/١).

(٢) فتح الباري، (٢٩٠/٤).

(٣) **يُنظر**: أحكام القرآن، للجصاص (٣٨٦/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٢٩٣/٢).

(٤) البحر المحيط، (٢٩٣/٢).

كل زمان ومكان، ودلت القراءة الشاذة على تخصيص إباحة ابتغاء الفضل في مواسم الحج، وفائدته: رفع الحرج عن الحجاج الذي يريدون الجمع بين أداء المناسك والتكسب، ورفع المفهوم الخاطئ الذي كان سائداً في الجاهلية أن التجارة تنقص من شرف الحج، فجاءت القراءة؛ لتبين أن طلب الرزق لا ينافي العبادة ولا ينقص أجرها، بل هو من فضل الله المباح لعباده.

قال ابن عباس: "كان أناس من العرب يحترزون من التجارة في أيام الحج وإذا دخل العشر بالغوا في ترك البيع والشراء بالكلية، وكانوا يسمون التاجر في الحج: الداج ويقولون: هؤلاء الداج، وليسوا بالحاج، ومعنى الداج: المكتسب الملتقط، وهو مشتق من الدجاجة، وبالغوا في الاحتراز عن الأعمال، إلى أن امتنعوا عن إغاثة الملهوف، وإغاثة الضعيف وإطعام الجائع، فأزال الله تعالى هذا الوهم، وبين أنه لا جناح في التجار"، فهي رد على من يقول: لا حج للتجار والأجراء والجمالين" [(١)].

كما تضمنت تيسيرا للفقراء الذين يعتمدون على مواسم الحج لكسب عيشهم حيث بينت لهم جواز ذلك، ولهذا جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قيل له: هل كنتم تكرهون التجارة في الحج؟ فقال: وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج [(٢)].

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: "والحاصل أن الإذن في هذه التجارة جار مجرى الرخص"[(٣)].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٢٣/٥)، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (٤١٠/٣).

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦٧/٤)، والزمخشري في الكشاف، (٢٤٥/١). قال محقق كتاب الكشاف: "أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن مهاجر عن أبي صالح مولى عمر. قال «قلت: يا أمير المؤمنين- فذكره» وفي إسناده مندل بن علي، وهو ضعيف".

(٣) مفاتيح الغيب، (٣٢٣/٥).

وقال جمال الدين القاسمي رحمه الله: "ففي الآية الترخيص لمن حجّ في التجارة ونحوها من الأعمال التي يحصل بها شيء من الرزق"(١).

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى بعد ذكره قوله تعالى: **{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ}**: "جملة معترضة بين المتعاطفين بمناسبة النهي عن أعمال في الحج تنافي المقصد منه فنقل الكلام إلى إباحة ما كانوا يتحرجون منه في الحج وهو التجارة ببيان أنها لا تنافي المقصد الشرعي إبطالاً لما كان عليه المشركون، إذ كانوا يرون التجارة للمحرم بالحج حراماً، فالفضل هنا هو المال، وابتغاء الفضل التجارة لأجل الربح"(٢).

الخاتمة:

بعد هذا العرض لموضوع التيسير في الأحكام الشرعية من خلال تعدد الأوجه القرائية، وما دلت عليه من تيسير وتخفيف ورفع الحرج والمشقة عن المكلفين في الأحكام الشرعية، ومعان تفسيرية قيمة، إليك أبرز ما توصل إليه الباحث من النتائج والتوصيات:

أولاً: أبرز النتائج:

١- اتضح أن من الحكم الإلهية في تعدد الأوجه القرائية، التخفيف والتيسير على الأمة الإسلامية في الأحكام التشريعية، فالقراءات القرآنية مصدر من مصادر التشريع الإسلامي.

(١) محاسن التأويل، (٧٣/٢).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٣٧/٢).

٢- ظهر أن جانب التيسير والتخفيف في القراءات القرآنية ينجلي في جانبين، الأول: لفظي في الأداء والنطق، والآخر: حكمي في التخفيف والتيسير في الأحكام الشرعية.

٣- تأكد أن اختلاف القراءات القرآنية اختلاف تنوع لا تضاد، فيه الرحمة الإلهية في التخفيف والتيسير على الأمة الإسلامية.

٤- تبيّن أن من أبرز مظاهر التيسير ورفع الحرج في الأحكام الشرعية من خلال القراءات ما يأتي:

- انتقال الحكم الشرعي من الوجوب إلى الندب والاستحباب، ومثاله: القراءة المتواترة {وَاتَّخَذُواْ} بالفتح حيث دلت على أن ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم مستحبة وليست واجبة، ففيها رفع الحرج عن الأمة حيث لم تلزم الحاج أو المعتمر بأداء ركعتي الطواف، لا سيما أوقات الزحام الشديد حول الكعبة، حيث يصعب الوصول إلى المقام للصلاة خلفه، ففي قراءة الفتح تخفيف في أداء مناسك الحج والعمرة.
- انتقال الحكم الشرعي من دائرة الوجوب إلى الندب والاستحباب، ومثاله: القراءة الشاذة {وَالْعُمْرَةُ} بالرفع، دلت أن العمرة مندوبة ومستحبة لا فرضاً، وهذا القول فيه رفع الحرج عن المكلفين، خاصة من يعيشون بعيداً عن مكة، أو من تضيق بهم أحوالهم المالية، أو يشق عليهم السفر، وهذا يتناسب مع روح الشريعة الإسلامية القائمة على التيسير ورفع الحرج.
- خروج الحكم الشرعي من التحريم إلى الإباحة، ومثاله: قراءة التخفيف: {يَطْهُرْنَ} حيث دلت على إباحة وطء المرأة الحائض إذا انقطع حيضها وإن لم تغتسل بشرط أن

يكون بعد مضي عشرة أيام، وهذا عند الحنفية، وأما الجمهور فيشرطون انقطاع الدم والغسل عملاً بالقراءتين.

- إباحة البيع والشراء في مواسم الحج كما دلت عليه القراءة الشاذة {في مواسم الحج}، ففيها تيسير للفقراء الذين يعتمدون على مواسم الحج لكسب عيشهم، ورفع الحرج عن الحجاج الذي يريدون الجمع بين أداء المناسك والتكسب.
- تقييد عموم الحكم الشرعي، ومثاله: القراءة الشاذة {وأنتم محدثون}، حيث قيدت عموم الآية، وأن الوضوء للصلاة لا يجب إلا على من كان محدثاً، وأن الوضوء الواحد يصلي به المسلم العديد من الصلوات، فالأصل حفظ الطهارة، والوضوء لكل صلاة فيه مشقة وعبء لا سيما في الصلاة المتقاربة في الوقت كالمغرب والعشاء، وإذا قلنا بوجوب الوضوء لكل صلاة فماذا يصنع المسافر والمريض الذين يجمعان بين الصلاتين، فهي مقيدة للوضوء بالحدث.
- الدلالة على حكمين شرعيين مختلفين أحدهما أخف من الآخر، ومثاله: قراءة النصب: {وَأَرْجُلَكُمْ}، توجب غسل الرجلين إن كانتا مكشوفتين، بينما قراءة الجر: {وَأَرْجُلِكُمْ} دلت على مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف، والمسح أخف من الغسل، كما أن المسح فيه تيسير على العباد لا سيما أوقات البرد الشديد والسفر والمرض.

ثانياً: أبرز التوصيات:

يوصي الباحث بضرورة العناية بالقراءات القرآنية في الدراسات الشرعية والفقهية؛ لما تحمله من معانٍ دقيقة، واستنباطات فقهية قيمة، تظهر إعجاز القراءات القرآنية، وسماحة

الشريعة الإسلامية، وأن تفرد رسالة علمية لدراسة المزيد من القراءات القرآنية التي تظهر سماحة الشريعة ويسرها في الأوجه القرائية.

وفي الختام أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر ومراجع البحث:

١- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت:١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ

٢- **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٣- **الإجماع**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩ هـ)، الطبعة الأولى.

٤- **أحكام القرآن**، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (المتوفى:٥٩٧هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٥- **أحكام القرآن**، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦- **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت:٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– لبنان.

٧- **الأحكام**، يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى: ٤٩٩ هـ).

٨- **الاختيار لتعليل المختار**، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (ت:٦٨٣هـ)، مطبعة الحلبي-القاهرة، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٩- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

١٠- **أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك**، أبو بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي (ت:١٣٩٧هـ)، المكتبة العصرية.

١١- **الإشراف على مذاهب العلماء**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، المحقق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة-الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢- **أصول السرخسي**، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت:٤٨٣هـ)، دار المعرفة - بيروت.

١٣- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٤- **الإكليل في استنباط التنزيل**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨١ م.

١٥- **الأم**، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦- **الانتصار للقرآن**، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:٤٠٣هـ)، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٧- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٨- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت:٩٧٠هـ)، دار الاب الإسلامي، الطبعة الثانية.

١٩- **البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار**، أحمد بن قاسم العنسي، مكتبة اليمن.

٢٠- **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت:٣٧٣هـ).

٢١- **البحر المحيط في أصول الفقه**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، دار الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٢٢- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر-بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٣- **بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي)**، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني (ت ٥٠٢ هـ)، المحقق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.

٢٤- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، الشهير بابن رشد الحفيد (ت:٥٩٥هـ)، دار الحديث-القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٥- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت:٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٦- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة**، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت:١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت- لبنان.

٢٧- **البرهان في أصول الفقه**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين (ت:٤٧٨هـ)، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٨- **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٩- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٣٠- **تاج المذهب لأحكام المذهب**، أحمد بن يحيى بن المرتضى، دار الكتاب الإسلامي.

٣١- **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ**، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت:٧٤٣ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية-بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣هـ.

٣٢- **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤م.

٣٣- **تحفة الفقهاء**، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٤- **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى:٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٥- **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٣٦- **تفسير القرآن**، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني (ت:٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض-السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٧- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.

٣٨- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣٩- **التهذيب في فقه الإمام الشافعي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٤٠- **توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلُوْغ المَرَام**، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، الطبعة الخامِسَة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٤١- **تيسير البيان لأحكام القرآن**، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي المشهور بـ «ابن نور الدين» (المتوفى: ٨٢٥ هـ)، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٤٢- **التيسير في القراءات السبع**، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت:٤٤٤هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤٣- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

٤٤- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٥- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٤٦- **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (الْمُسَمَّاة) عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى، عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي**، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى:١٠٦٩هـ)، دار صادر . بيروت.

٤٧- **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٤٨- **حجة القراءات**، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة (ت: حوالي ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٩- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٥٠- **الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع**، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت:٨٩٣هـ)، تحقيق: سعيد بن غالب المجيدي، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٥١- **ديوان جرير**، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي (١١٠هـ).

٥٢- **الذخيرة**، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت:٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥٣- **رد المحتار على الدر المختار**، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت:١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٥٤- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٥- **الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير**، شرف الدين الحسين بن أحمد السياغي (ت:١٢٢١هـ)، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٥٦- **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت:٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥٧- **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٨- **السبعة في القراءات**، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت:٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٥٩- **سراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)- القاهرة، ١٢٨٥هـ.

٦٠- **شرح الأزهار المنتزع من الغيث المدرار**، أبو الحسن عبد الله بن مفتاح، الجمهورية اليمنية، وزارة العدل، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦١- **شرح التلويح على التوضيح**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: ٧٩٣هـ)، مكتبة صبيح بمصر.

٦٢- **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٦٣- **شرح طيبة النشر في القراءات** العشر، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (ت:٨٥٧هـ)، تحقيق: مجدي محمد سرور، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٤- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

٦٥- **صفحات في علوم القراءات**، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، المكتبة الأمدادية، ١٤١٥هـ.

٦٦- **طرح التثريب في شرح التقريب**، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة.

٦٧- **العدة شرح العمدة**، عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (ت:٦٢٤هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦٨- **غاية الوصول في شرح لب الأصول**، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت:٩٢٦هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، مصر.

٦٩- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت:٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٧٠- **الفتاوى الكبرى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٧١- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م.

٧٢- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (ت:١٣٠٧هـ)، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا - بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧٣- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٧٤- **الفصول اللؤلؤية في أصول فقه العترة الزكية**، السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير (٩١٤هـ).

٧٥- **فضائل القرآن**، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

٧٦- **فقه التيسير في الشريعة الإسلامية تأصيلاً وتطبيقاً**، لعبد الرقيب صالح محسن الشامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

٧٧- **فوائد القراءات الشاذة**، للدكتور عبدالله المنصوري، الكلية العليا للقرآن الكريم، العدد السابع.

٧٨- **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:٨٤٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت- لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧٩- **القراءات وأثرها في علوم العربية**، محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى:١٤٢٢هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٨٠- **القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية**، ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس الحنبلي (ت: ٨٠٣هـ)، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٢١٤).

٨١- **كتاب المصاحف**، أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي (ت:٣١٦هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، مكتبة الفاروق الحديثة-مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٨٢- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٨٣- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت:٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٨٤- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة -بيروت.

٨٥- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٨٦- **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٨٧- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري (ت:٧١١هـ)، دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٨٨- **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت:٩٢٣هـ)، تحقيق: عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة،١٣٩٢هـ.

٨٩- **المبسوط**، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت:٤٨٣هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٩٠- **المجموع شرح المهذب**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)، دار الفكر.

٩١- **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى:١٣٣٢هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٩٢- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩٣- **المحصول**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة.

٩٤- **المحلى بالآثار**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت:٤٥٦هـ)، دار الفكر – بيروت.

٩٥- **مختصر العلامة خليل**، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: ٧٧٦هـ)، المحقق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٩٦- **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، لجماعة من علماء التفسير، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦هـ.

٩٧- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت:٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٩٨- **مدخل في علوم القراءات**، السيد رزق الطويل (ت:١٤١٩هـ)، المكتبة الفيصلية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٩٩- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت:٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر-بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٠٠- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

١٠١- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (صحيح مسلم)**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

١٠٢- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت:٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٠٣- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٠٤- **المعجم الوسيط**، صادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون)، دار الدعوة.

١٠٥- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

١٠٦- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

١٠٧- **المغني**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ–١٩٦٨م.

١٠٨- **مفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٠٩- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١١٠- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت:١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

١١١- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، شمس الدين أبو الخير بن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

١١٢- **المنخول من تعليقات الأصول**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت:٥٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

١١٣- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢م.

١١٤- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١١٥- **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت:١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.

١١٦- **نيل المرام من تفسير آيات الأحكام**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

١١٧- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي (ت:٤٣٧هـ)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

صنعاء في كتابات الرحالة الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي

أ.م.د.عبدالرحمن أحمد المختار

أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك بكلية التربية والعلوم والآداب – جامعة عمران

د.محمد عبد الله المعلمي

استاذ التاريخ الاسلامي المساعد وحضارته بكلية التربية والعلوم والآداب – جامعة عمران

الملخص

لقد حظيت صنعاء باهتمام بالغ عبر مختلف العصور التاريخية قدي م ا وحديث ا، حيث كانت مقص د ا للكثير من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين وغيرهم من العلماء، ممن سجلوا مشاهدات هم الميدانية واليومية عنها وعن أحوالها ومجتمعها في كتبهم، أمثال الرحالة الإدريسي وابن حوقل والاصطخري وابن بطوطة، وفي التاريخ الحديث والمعاصر دخل صنعاء عدد من الرحالة الغربيين، لعل أبرزهم الرحالة الدنماركي كارستن نيبور في القرن الثامن عشر، والرحالة الإيطالي رينزو مانزوني في القرن التاسع عشر وغيرهم كُثر، ومن هذا المنطلق كان اختياري هذا البحث بعنوان)صنعاء في كتابات الرحالة الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي(، والذي سوف يركز على المحاور التالية:

- مدخل)الأوضاع السياسية في صنعاء في القرن الثالث عشر الهجري(.
- المشاهدات العمرانية إضافة إلى الشوارع والبساتين والحدائق والغابات.
- المشاهدات الاجتماعية) الزواج – الأسرة – الأطعمة والألبسة – الأعياد - الطبقات الاجتماعية (.
- المشاهدات الاقتصادية) الزراعة – التجارة – الصناعة – الأسواق(.
- الإدارة والحكم – الصراع القبلي.
- الحياة العلمية والدينية (المدارس – المساجد – الكتاتيب – المخطوطات) .

3

Sana'a in the Writings of Western Globe-Trotters in 3rd Century AH/ 19th Century CE

1. Dr. Abdurrahman Ahmed Elmukhtar
Associate Professor of Islamic History & Civilization, Faculty of Education, Science, and Arts, Amran University
2. Dr. Mohammed Abdullah Elmu'alimi
Assistant Professor of Islamic History & Civilization, Faculty of Education, Science, and Arts, Amran University

Abstract :

Sana'a has received significant attention throughout various historical periods, both ancient and modern. It has been a destination for many travelers, geographers, historians, and other scholars who recorded their field observations and daily experiences about the city and its conditions in their books. Notable examples include the travelers Al-Idrisi, Ibn Hawqal, Al-Ashtarki, and Ibn Battuta. In modern history, several Western travelers visited Sana'a, including the Danish traveler Carsten Niebuhr in the 18th century and the Italian traveler Renzo Manzoni in the 19th century, among many others.

Based on this background, the focus of my research is on the topic: Yemen in the Writings of Western Travelers in the 13th Century AH / 19th Century AD. The research will address the following aspects:

- Introduction: Political conditions in Sana'a in the 13th century AH.
- Urban observations, including streets, gardens, orchards, and forests.
- Social observations, such as social customs, marriage, family, food, clothing, and social classes.
- Economic observations, including agriculture, trade, industry, and markets.
- Administration and governance, tribal conflicts.
- Scientific and religious life, including schools, mosques, religious schools, and manuscripts.

المقدمة:

نالت مدينة صنعاء اهتمام بالغ عبر مختلف العصور التاريخية قديماً أو في العصر الإسلامي، ثم في العصر الحديث ، حيث كانت مقصداً للكثير من الرحالة والجغرافيين والعلماء المؤرخين وغيرهم ممن سجلوا مشاهداتهم وكتاباتهم عنها وعن أحوالها وسكانها وشوارعها ومساجدها وقصورها ومنازلها وبساتينها ..... الخ، مما جعل الكثير منهم يفتتن بحسن جمالها، ومن أمثال هؤلاء الرحالة المقدسي والإدريسي وابن حوقل والاصطخري وابن خرداذابة وابن بطوطة وياقوت الحموي وغيرهم كثير، ويكاد معظم هؤلاء يجمعون بأن صنعاء قد تميزت عن كثير من المدن بميزات قلما توجد في غيرها، فهي من " أقدم مدن الأرض لان سام بن نوح الذي أسسها " [١] ، وكانت تسمى قديماً أزال[٢]، " وليس باليمن ولا تهامة ولا بالحجاز مدينة أعظم منها، ولا أكثر أهلاً، ولا خيراً، ولا أشرف أصلاً، ولا أطيب طعاماً منها[٣]، وهي " مدينة كبيرة حسنة العمارة، كثيرة الأشجار والفواكه والزرع، بناؤها بالجص والآجر، معتدلة الهواء، طيبة الماء[٤]، فهي " تشبه مدينة دمشق بكثرة فواكهها وتدفق مياها" [٥] ويشق صنعاء واديها السرار[٦]، يجري إذا جاء المطر في شهور الصيف ويصب في سيوان[٧]، فيكون كأنها بحيرة[٨]

١ – الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد(توفي بعد سنة ٣٦٠ هـ)، صفة جزيرة العرب، ص١٠٢، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، ط٣، ١٩٨٣م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء .

٢ – الرازي، أبو العباس أحمد بن عبد الله(ت: ٤٦٠هـ)،تاريخ مدينة صنعاء، ص٨٠، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ط٢، ١٩٨٩، دار الفكر، دمشق.

٣ – ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر(ت: نحو ٣٠٠هـ) الاعلاق النفيسة، ص١٠٥، ليدن، نشد دي غوي، ١٨٩٣م .

٤ – ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد عبد الله الطنجي(ت: ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار،ج١، ص٢٥٩، تحقيق: الشيخ عبد المنعم العريان، ط١، ١٩٨٧م، دار صادر، بيروت، لبنان .

٥ –ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله(ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان،ج٣، ص٤٢٦، دار صادر، بيروت، لبنان .

٦ – وادي السرار الذي يجري وسط صنعاء ويقسمها نصفين، ويعرف اليوم بالسائلة .

٧ – سيوان هي سعوان وهي من الحارات الكبيرة اليوم ،

٨ – ابن خرداذابة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله(ت: ٢٨٠هـ)، المسالك والممالك، ص١٣٦، ليدن، بريل، ١٨٨٩م، دار صادر، بيروت، لبنان.

، وعلى العموم فقد كان بها بساتين كثيرة، وفواكه متعددة مثل التين والرمان والخوخ والأعناب، ومن أنواع الزهور والورد والريحان ، وأجناس من الطير، وكان بها في كل منزل بئر او أثنين، وبستان فيه من سائر المشمومات والفواكه[١]، وكان بها من العجائب قصر غمدان " أسسه أزال بن قحطان بأمر من أخيه يعرب بناه عشرين طبقة، بعشرين سقف، بين كل سقف عشرين ذراع، وجعل فيه مائة مسكن – تقريباً غرفة – وكان أعلى غرفة ممرداً بالزجاج " [٢]، وقيل كان سقف أعلى غرفة رخامة واحدة، وكان من يستلقي في هذه الغرفة يرى طيور السماء إذا مرت تحت تلك الرخامة[٣] ويذكر لنا ابن المجاور الذي زار صنعاء في الثلث الأخير من القرن السابع الهجري بأن صنعاء كان لها سبعة أبواب[٤]، ويذكر لنا الرازي أن صنعاء كان حولها عدد كبير من القرى، تبلغ مسافة بعضها نصف يوم، والبعض أكثر من نصف يوم، أي امتداد هذه القرى، والبعض على مسافة يوم كامل[٥] .

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث فسوف نجد من الرحالة الغربيين الذين زاروا اليمن عموماً وصنعاء خصوصاً، وسجلوا بعض مشاهداتهم عنها، ويأتي في مقدمتهم الرحالة الايطالي ليودو فيكودي فارتيما، الذي وصل إلى صنعاء في نهاية القرن التاسع الهجري وبداية القرن السادس عشر الميلادي، وإن كان البعض يشكك في وصوله إلى هذه المدن اليمنية، كونه كان يناقض

---

١ – الرازي، تاريخ صنعاء ، ص١٤٦ .

٢ – ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن علي بن محمد(ت:٩٤٤هـ)، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، ص٨٥، تحقيق: أحمد راتب عموش، ط١، ١٩٩٢م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

٣ – الرازي، تاريخ صنعاء ، ص٨٠ .

٤ – هذه السبعة الأبواب التي ذكرها ابن المجاور هي باب غمدان، وباب دمشق، وباب الشيخة ولعله باب السبحة الذي يعرف اليوم باب السباح، وباب خندق الأعلى وباب خندق الأسفل، وباب النصر، وباب شرعة "،{ ابن المجاور، أبو الفرج نجم الدين يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي(ت٦٩٠هـ)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، ص٢٠٨، ٢٠٩، مراجعة وتحقيق: ممدوح حسن محمد، ١٩٩٦م، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة }.

٥ – ويذكر لنا الرازي أن عدد هذه القرى المحيطة بصنعاء عشرة آلاف قرية من جوانبها الأربعة، من الشرق والغرب ومن الشمال والجنوب، وهذا عدد مبالغ فيه، إلا أنه يدل على كثرة القرى التي حولها{ الرازي، تاريخ صنعاء، ص١٤٧ }.

نفسه بنفسه، وربما كان السبب تسجيله لهذه المشاهدات بعد رجوعه إلى موطنه، ومن ثم نسيانه لبعض تفاصيل رحلته، يصف الرحالة الايطالي فارتيما صنعاء بأنها تقع على قمة جبل عظيم، وأن عدد منازلها يبلغ ٤٠٠٠ ألاف منزل، وهي منازل جميلة، وبها فواكه كثيرة، مثلما في بلاده، وأن بساتينها جميلة، وان أعنابها طيبة، وإما أسوار المدينة فيذكر بأنها من الطين السميك جداً بحيث يمكن لعدد ثمانية من الخيول أن تسير فوقها جنباً إلى جنب [١]، وبعد هذه الرحلة وفي بداية القرن التاسع عشر وتحديداً في سنة ١٧١١م زار اليمن البحارة الفرنسيون من تجار سان مالو الفرنسية وكان ذلك في عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب، وقد قام أفراد هذه البعثة من البحارة بعقد معاهدات لتجارة البن مع حاكم المخا، وكان وصولهم قبل ذلك إلى عدن، وبعد إقامتهم في المخأ بمدة تقارب شهرين، انطلقوا إلى بيت الفقيه، ومن ثم إلى مدينة المواهب عاصمة المهدي صاحب المواهب[٢] ، حيث استمروا ضيوفاً لديه لمدة ثلاثة أسابيع، وبما أن هؤلاء البحارة لم يتمكن أي واحد منهم من الوصول إلى صنعاء إلا أنهم على ما يبدوا كانوا قد حصلوا على بعض المعلومات عنها، بحيث أوضح أحدهم أهمية صنعاء، وأنها من أهم المدن في المملكة اليمنية، وأنها كانت عاصمة العربية السعيدة قبل الإسلام، كما يتحدث عن كثرة بساتينها وينابيعها[٣] وفي العقد السابع من القرن الثامن عشر وصل إلى صنعاء

---

١ – مجهول، كتاب في رحالات الغربيين إلى بلاد اليمن(دراسات ومختارات)، ص١١٣، جمع وتحقيق: أ.د حميد العواضي، ود عبد الغني الحاجي، ترجمة: منير عربش، ط١، ٢٠٢٢م، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم، صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء .

٢– لاروك، جان دي، أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة(١٧٠٨– ١٧١٠م و ١٧١١–١٧١٣م) ص٣٤، ٥٧، ٦٢، ١٢٨، ١٣٥ ترجمة: منير عربش، المعهد الفرنسي للاثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، والمواهب هي المدينة التي اختطها وقام بعمارتها المهدي محمد بن أحمد وذلك على بعد عشرين كم تقريبا من مدينة ذمار– ومن ثم لقب باسم هذا المدينة صاحب المواهب .

٣ – كما يتحدث عن سور المدينة وأنه سميك مثلما تحدث عنه سابقه فارثيما من أنه يمكن لعدد ثمانية جياد تسير فوق سورها جنباً إلى جنب، وأعتقد أن ذلك مبالغاً فيه جداً، كون الفرس الواحد يسير على متر واحد، ومن ثم يمكن أن يكون سمك السور ثمانية – إلى تسعة أمتار، {جان دي لاروك، أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة، ص١٥٤ } .

الرحالة الألماني كارستن نيبور وذلك في العام ١٧٦٣م، ضمن البعثة العلمية القادمة من الدنمارك والتي كان قوامها ستة أفراد، ولم يتبق منهم حين وصولهم صنعاء سوى أربعة أفراد[١] ، ولقد وصف نيبور صنعاء وصفاً عاماً مع ذكره لبعض التفاصيل الدقيقة عنها، ومن ذلك وصفه لبلاط الإمام المهدي عباس، وكرم الضيافة التي قوبلوا بها، وكذلك وصفه لسوق صنعاء، وتجارتها وبضائعها المختلفة[٢]، ولما كان العام الذي وصل فيه نيبور إلى صنعاء لا يفصله زمنياً عن القرن التاسع عشر إلا حوالي ثلث القرن بحيث أن الفاصل الزمني بينهما ليس كثيراً، فإننا سوف نقوم ببعض المقارنات فيما بينهما، ومن ثم سوف يكون لنا عودة إلى رحلة نيبور، وهكذا نجد تتابع الرحالة الغربيين إلى الجزيرة العربية بشكل عام وإلى اليمن عموماً، وإلى صنعاء خصوصاً، عبر المراحل الزمنية المختلفة من العصر الحديث، ومن هذا المنطلق وحتى تكتمل الصورة عن هذا الموضوع، كان اختياري لهذا البحث (صنعاء في كتابات الرحالة الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي) والذي سوف نحاول ان نركز فيها على المحاور الآتية :

- الأوضاع السياسية في صنعاء في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي .
- المشاهدات العمرانية وذلك من خلال الوصف العام للمدينة إضافة إلى تقسيم المدينة وحاراتها والشوارع والدور والقصور والبساتين والحدائق والغابات .
- المشاهدات الاجتماعية(الزواج – الأسرة – الأطعمة – الألبسة) .

---

١ – كان الرحلة نيبور ورفاقه قد وصلوا إلى مينا اللحية في ٢٩ ديسمبر عام ١٧٦٢م، وجلسوا بها حتى ٢٢/ فبراير ١٧٦٣م، ثم تنقلوا في مناطق مختلفة من أنحاء اليمن حتى وصل ما تبقى من أفرادها إلى صنعاء في ١٦/ يوليو ١٧٦٣م وعددهم أربعة، ثم بعد عودتهم من صنعاء توفي اثنان منهم بالقرب من جزيرة سقطرة ، ثم في الهند توفي خامسهم، ولم يتبق من أفراد البعثة سوى نيبور، وتكون المدة التي قضوها في صنعاء عشرة أيام،{ الصايدي، أحمد قائد(الدكتور)، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ط١، ١٩٩٠م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان

٢ – {توركيل هانس، من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ترجمة: محمد أحمد الرعدي، ط٢، ٢٠١٦م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار العودة، بيروت، لبنان }.

- المشاهدات الاقتصادية(الزراعة – التجارة – الصناعة – الأسواق) .
- الحياة العلمية والدينية(المساجد – المدارس – المخطوطات)

أولا: الأوضاع السياسية في صنعاء في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي

لقد شهدت صنعاء خلال هذا القرن أوضاعاً سياسياً مستقرة وآخري مضطربة، ويمكننا أن نقسم هذه المدة الزمنية – القرن الثالث عشر الهجري– إلى قسمين أو ثلاثة أقسام، ومن ثم نميز فيما بينهما، القسم الأول من بداية القرن الثالث عشر وحتى النصف الثاني منه، وما بعد ذلك بقليل وبالتحديد حتى العام ١٢٥٦هـ، ويتميز هذا العصر بنوع من الاستقرار وإن شابه شيء من الضعف والاضطراب، حيث تعاقب على الحكم فيه خمسة أئمة من آل القاسم أولهم المنصور علي بن المهدي عباس(ت : ١٢٢٤هـ)، وأخرهم الناصر عبد الله بن الحسن والذي استمر في الحكم حتى العام ١٢٥٦هـ، وأما القسم الثاني من هذا القرن، فقد تعاقب على الحكم فيه منذ العام ١٢٥٦هـ وحتى العام ١٢٨٩هـ، وهي سنة دخول الأتراك صنعاء، أكثر من خمسة عشر عاماً، البعض منهم لم يستمر في الحكم سوى ستة أشهر، وبعضهم تسعة أشهر، وقد وصف هذا العصر بالضعف وتعدد الأئمة، وخروج القبائل عليهم مرة بعد أخرى، وأما القسم الثالث فهو عصر سيطرة الأتراك وذلك منذ العام ١٢٨٩هـ وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ولقد استمرت سيطرة التارك فيما بعد ذلك حتى العام ١٣١٦هـ وما بعدها[١]، ومن خلال ما سبق سوف نتحدث عن كل قسم أو عصر وذلك على النحو التالي :

١٨– ويذكر لنا بعض المؤرخين كتاب الحوليات ان العثمانيين استمروا في صنعاء حتى العام ١٣١٦و١٣١٧هـ، ثم استمر وجودهم حتى العام ١٣٢٩هـ مجهول، حوليات يمانية، ص٥٧٣، ٥٧٤، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩١م، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، الحيمي، محمد بن لطف الباري اليمني، الروض الباسم في ما شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام، ص٧٣، ٧٤، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٠م، مطابع المفضل للاوفست، العمري، حسين عبد الله تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل على الله إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين، ص١٩٥، ط٢، ٢٠٠١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

أما العصر الأول: فيبدأ منذ تولي الإمام المنصور علي بن المهدي عباس خلفاً لوالده المهدي عباس[1] وذلك في العام ١١٨٩هـ، واستمر في الحكم حتى العام ١٢٢٤هـ، حيث بايعه الجميع العلماء والأمراء وآل الإمام وسائر الناس بدون أي منازع، وقد منحته خبرته الطويلة في الإدارة والقيادة العسكرية أيام أبيه لمدة سبعة عشر عاما، مقدرة على حل المعضلات، ومواجهة المشكلات وخاصة في العقدين الأولين من حكمه، حيث أعتمد على رجال دولة والده وكان على رأسهم القاضي يحيى السحولي، الذي أُعيد تنصيبه بمنصب قاضي القضاة، وقد استمر حتى وفاته في العام ١٢٠٩هـ، حيث قام المنصور علي بعد ذلك باختيار شخصية علمية لها شهرتها بين العلماء والأمراء ألا وهو العلامة المجتهد شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) والذي كان له دور مهم ومتميز ليس في مجال القضاء فقط بل وفي الحياة السياسية والإدارية بقية أيام المنصور، ثم أيام حكم ولده أحمد، وقد استطاع المنصور أن يقضي على التمرد، والخروج على الحكم الذي حصل من قبل العلامة علي بن أحمد إسحاق، وتحالفه مع قبائل برط، حيث استغرق ذلك منه الكثير من الجهد والعتاد إلى أن تم الصلح بينهما في العام ١١٩٩هـ، حيث انخرط ابن إسحاق بعد ذلك في مجال العلم والأدب، وقد استمر حكم المنصور طويلاً ما يقارب خمسة وثلاثون سنة، حيث انصرف في أخر حكمه إلى " إلى عمارة الدور والقصور ومجالسة النساء من الحرائر والائماء واجتناء ثمرات اللذات المباحات " وفوض وزيره الفقيه حسين بن حسين عثمان العلفي، الذي أصبح بمثابة الحاكم الفعلي، ومن ثم قصر في دفع رواتب الجنود، وبعض الجرايات التي كانت تعطى لبعض القبائل، مما جعلهم – أي

---

١ – المهدي عباس بن المنصور الحسين بن المتوكل القاسم وترتيبه رقم عشرة في أئمة آل القاسم، تولى الحكم بعد وفاة والده في سنة ١١٦١هـ، حيث أجمع الناس على مبايعته، وقد وصفه الشوكاني بأنه كان محباً لأهل العلم، قوي التدبير، عالي الهمة، محباً للعدل، وناصفاً للمظلوم، كثير التصدق على الفقراء، وكان من أقوى أئمة عصره، وقد استمر في الحكم حتى وفاته سنة ١١٨٩هـ الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي(ت: ١٢٥٠هـ، البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، ص٣٢١، ٣٢٢، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ط١، ١٩٩٨م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان}، والمهدي عباس هو الذي وصلت في عهده بعثة الرحالة كارستين نيبور إلى صنعاء، كما ذكرنا ذلك سابقاً .

القبائل – يقطعون الطرقات وينهبون الأموال، بل ويسفكون الدماء، واستشرى الفساد في كل مكان، الأمر الذي اضطر ولد الإمام وهو المتوكل أحمد بن علي أن يقبض على هذا الوزير ويأمر بسجنه، ويقوم بمحاصره والده ووضعه تحت الإقامة الجبرية وذلك بعد أن تدخل الشوكاني في الصلح بينهما على أن يكون للابن تدبير شؤون البلاد والحكم باسم أبيه، ويبقى الوزير في معتقله[١]، ولم يستمر من بعد ذلك سوى عام واحد، حيث توفي المنصور علي بن المهدي سنة ١٢٢٤هـ[٢].

أما ثاني الأمة في هذا العصر فهو كما أسلفنا المتوكل أحمد بن علي بن المهدي عباس، وتمت المبايعة له بعد وفاة والده مباشرة، وكان الشوكاني أول من بايعه وأخذ له البيعة من أخوته وأعمامه وجميع آل القاسم، ومن العلماء والأعيان، وكان المتوكل أحمد على درجة كبيرة من الخبرة والإدارة، والقيادة العسكرية، حيث استطاع ان يعيد هيبة الدولة من خلال قيامه بحملات عسكرية عديدة شمالا وجنوبا [٣]، ولم يستمر المتوكل أحمد كثيراً في الحكم سوى سبع سنوات ثم توفي بعدها وذلك في العام ١٢٣١هـ[٤] ، وخلفه من بعده ولده المهدي عبد الله بن أحمد بن علي، والذي نحسبه ثالث الأئمة في هذا العصر، وتمت مبايعته من جميع الأمراء من آل القاسم، والعلماء، والأعيان، ثم من جميع الناس، وكان المتولي لأخذ البيعة له أيضا شيخ الإسلام الشوكاني في اليوم الثاني من وفاة والده[٥]، والذي أصبح فيما بعد بمثابة الوزير له، يستشيره في جميع أموره، الأمر الذي أدى إلى استمراره في الحكم لمدة عشرين عاماً، دون أن

---

١ – الشوكاني، البدر الطالع، ص٤٦٤–٤٦٩، الحيمي، الروض البسام، ص٣٣٩، العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ١٢٧–١٢٨، ١٢٩ .

٢ – الشوكاني، البدر الطالع، ص٩٤، ٩٥، العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ١٢٩.

٣ –مجهول، حوليات يمانية، ص١٧، وكان من مآثر المنصور بناء دار البشائر في الروضة، ودار الصافية في بئر العزب، ودار البونية، وجامع الزمر.

٤ – مجهول، حوليات يمانية، ص٢٥.

٥ –الشوكاني، البدر الطالع، ص٩٥، ص٣٨٤.

ينازعه فيها أحد، وبهذا يكون آخر الأئمة من آل القاسم ممن طال حكمه[١] ، حتى وفاته في العام ١٢٥١هـ، ثم خلف المهدي عبد الله ولده علي، والذي لم يستمر في الحكم سوى عام واحد – مدة حكمه الأول– إلى عام ١٢٥٢هـ-[٢]، حيث تم خلعه، وعزل بعد مؤامرة قادها أحد أبناء عمومته من آل القاسم، وهو الناصر عبد الله بن الحسن، والذي يُعد الخامس من أئمة هذا العصر – بعد علي بن المهدي –، ولم يستمر حكمه طويلاً وإنما لمدة أربع سنوات انتهت بقتله على أيدي بعض قبائل همدان ممن ينتسبون إلى الباطنية، وذلك في وادي ظهر في العام ١٢٥٦هـ[٣]، ومن ثم ومن خلال ما سبق وما سيأتي معنا، كانت وفاة الناصر نهاية عصر وبداية عصر جديد، **وهذا العصر الثاني** من ١٢٥٦هـ وحتى سنة ١٢٨٩هـ.

وأول حكام هذا العصر من أئمة آل القاسم هو علي بن المهدي عبد الله الذي سبق له أن حكم لمدة عام واحد مثل الناصر، وقد تلقب بالمتوكل، وهذه هي المرة الثانية الذي يتولى فيها، حيث أجمع أهل الحل والعقد بعد مقتل الناصر على مبايعته، واستمر في الحكم لمدة أربع سنوات حتى عام ١٢٦٠هـ، حيث ظهر له منافس قوي إلا وهو محمد بن يحيى بن المنصور علي، والذي تلقب بالمتوكل، والذي نجح قبل ذلك في التحالف مع الشريف حسين بن علي بن حيدر صاحب تهامة كي يساعده في دخول صنعاء، وكان له ما أراد، حيث خاض معركة مع خصمه المنصور علي بن المهدي بالقرب من نقيل يسلح جنوب صنعاء، انتهت بالمصالحة فيما بينهما، على أن يتنازل علي بن المهدي لخصمه بحكم صنعاء، وكان ذلك في شهر

١– العمري، تاريخ اليمن الحديث، ص١٣٠، ويذكر أنه في عهده " خصبت الأرض، وأمنت السبل، وأنه أجزل العطاء والهبات، ووزع بين الفقراء الصدقات، وأقام الشريعة المحمدية، وأجلّ العلماء وأكرمهم، ورفع منزلتهم" {مجهول، حوليات يمانية، ص٢٦ }.

٢ – مجهول، حوليات يمانية، ص٧١.

٣ – المصدر نفسه، ص٧١، ٧٢، ٧٣، ٩٢، العمري، تاريخ اليمن الحديث، ص١٣٠، وفي عهد الناصر هذا كان مجيء الحملة المصرية إلى اليمن بقيادة إبراهيم باشا، والتي وصلت إلى الساحل، وأرادت التقدم نحو الداخل، ولم يتمكن الناصر عبد الله من مواجهتها، إلا أن بريطانيا والدول العظمى أجبرت محمد علي باشا في مصر على سحب قواته وتم لهم ذلك، وفي هذه المدة كان احتلال بريطانيا لعدن سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م،{العمري، تاريخ اليمن الحديث، والمعاصر، ١٤١ }.

جمادي الآخرة سنة ١٢٦٠هـ، حيث دخل صنعاء وأظهر حنكة ومقدرة أكثر من سلفه علي بن المهدي[١] ، وقد استمر المتوكل محمد بن يحيى في الحكم بعد ذلك حتى العام ١٢٦٥هـ، حيث واجهته الكثير من المشاكل منها ما كان حليفه السابق الشريف حسين بن علي بن حيدر وغيرها، ثم انتهى به الأمر إلى أن تعاون مع الأتراك وسهل لهم دخول صنعاء في العام ١٢٦٥هـ، حيث كان عقوبته السجن[٢].

علي بن المهدي يحكم للمرة الثالثة وتلقب بالهادي:

بعد سجن المتوكل محمد بن يحيى، أجمع أهل صنعاء على اختيار علي بن المهدي للمرة الثالثة كونه قائد حركة المقاومة ضد الأتراك، وفي هذه المرة لم يستمر في الحكم سوى عام واحد تقريبا، حيث عارضه إمام آخر من غير آل القاسم وهو أحمد بن هاشم الويسي والذي لقب نفسه بالمنصور، وبايعته القبائل في كل من حوث وخمر وعمران، وكان أن التقى مع علي بن المهدي في معركة انهزم على أثرها علي بن المهدي، ورجع إلى صنعاء، حيث أمر بقطع رأس عدوه القديم المتوكل محمد بن يحيى خوفاً من شره وذلك في أوائل سنة ١٢٦٦هـ، وخلال ذلك أستطاع معارضه هاشم الويسي ان يجمع القبائل مرة أخرى ويعسكر بهم في حضور غرب صنعاء ومن ثم يتقدم حتى قرية سناع على مقربة من جنوب صنعاء والتي أصبحت تحت تهديد

١- الحيمي، الروض الباسم، ص١٨، ١٩، ٢٠، مجهول، حوليات يمانية، ص١٢٧، ١٢٨ .

٢ - كان المتوكل محمد بن يحيى طموحاً وفي سبيل ذلك استخدم مختلف الوسائل وإن كانت غير ملائمة وذلك في سبيل الوصول إلى مصالحه الشخصية، فعندما لم يمده حليفه القديم بالأموال، إذا به ينزل تهامة ويلتقيا في معركة تنتهي بهزيمة حليفه وأسره، ولما سمع بوصول القوات التركية إلى تهامة إذا به يسارع إلى استقبالهم وتمهيد الطريق لدخولهم إلى صنعاء، فلم يغفر له الأهالي هذه الخيانة، حيث استطاعوا ومعهم علي بن المهدي أن يحاصروا الأتراك داخل المدينة وينزلوا بهم هزيمة ساحقة في شوارعها وازقتها، ومن ثم تم القبض على المتوكل محمد بن يحيى وإيداعه في السن، ومن ثم انسحاب القوات العثمانية إلى تهامة{ الواسعي، عبد الواسع بن يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ص٢٤١، ٢٤٢، ط٢، ١٩٩١م، مكتبة اليمن الكبرى، مجهول، صفحات مجهولة من تاريخ اليمن وقانون صنعاء، ص٢٢-٢٥، تحقيق القاضي: حسين أحمد السياغي، ط٢، ٢٠٠٨م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء .

الويسي[١] ، ومن ثم كما يذكر بعض المؤرخين محاصرته لصنعاء ودخوله إليها، ثم خروجه منها لعدم قدرته على دفع مرتبات الجند، والذهاب إلى القبائل في بلاد أرحب[٢]، ونظراً لاستمرار خطر هاشم الويسي واستمرار الفتنه بينه وبين علي بن المهدي، عند ذلك نجد أهل صنعاء يجمعون على اختيار فقيه من آل القسم ألا وهو عباس بن عبد الرحمن بن محمد بن القاسم الحسني الشهاري والذي لقب بالمؤيد، ولم يستمر حكمه تقريباً سوى تسعة أشهر، حدثت خلالها فتن وحروب بين أتباع كل من المؤيد الحسني الشهاري وأتباع هاشم الويسي، ومن جهة أخرى بينهما معاً وبين علي بن المهدي، حيث انتهت هذه الفتن بتغلب الأخير واختياره للحكم للمرة الرابعة[٣].

علي بن المهدي يحكم للمرة الرابعة :

وفي هذه المرة لم تزد خلافته عن ستة أشهر فقط، حيث ظهر له معارض وطالب بثأر أبيه إلا وهو الأمير غالب بن المتوكل محمد بن يحيى، الذي كان علي بن المهدي قد قطع رأس والده سابقاً، حيث استطاع هذا الأمير أن يجمع القبائل من حوله ويدخل صنعاء ويستولي عليها مستغلاً غياب علي بن المهدي عنها، ولم يستمر الصراع فيما بينهما حتى أستطاع الأمير غالب أن يحاصر علي بن المهدي في وادي ظهر، ويجبره على التنازل له بالإمامة، ويعود بعدها الأمير غالب إلى صنعاء في العام ١٢٦٩هـ[٤] .

---

١ –زبارة، محمد بن أحمد، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر الهجري، ص٢٣٦، مركز البحوث والدراسات اليمني، دار العودة، بيروت، لبنان، د. ت، ولمزيد من التفاصيل حول الفتن والحروب التي وقعت بين كل من علي بن المهدي والمنصور هاشم الويسي، ومن ألتف حوله من القبائل، ثم تخلو عنه، ومن ثم هروبه من صنعاء ينظر {الحيمي، الروض الباسم، ص٧٥–٧٨} .

٢ –زبارة، نيل الوطر، ج٢، ص٢٣٨.

٣ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧، زبارة، نيل الوطر، ص١٤٣.

٤ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٤٧، ٢٤٨، الحداد، محمد يحيى، التاريخ العام لليمن،ج٤، ص٢٠٨–٢١١، ط١، ١٩٨٦، دار التنوير، بيروت، لبنان.

وبعد دخول الأمير غالب صنعاء لم يستقر بها كثيراً، حيث نافسه وزيره أحمد بن عبد الله شوع الليل، الذي رغب هو الأخر في الإمامة، وأدعى لنفسه، مما أدى خروج الأمير غالب إلى قبائل برط ليستقوي بهم ضد وزيره، وهكذا يستمر النزاع على الإمامة، حيث يتنازل أحدهم عن الإمامة، ثم ما يلبث أن يظهر منافس آخر، حتى وصل الأمر في كثير من الأوقات أن أهل صنعاء ينقسموا إلى قسمين، القسم الشرقي منها مع إمام والقسم الغربي مع إمام آخر، مما أضطر ممن تبقى من سكانها إلى إغلاق بيوتهم ومتاجرهم وحتى الجامع الكبير بالمدينة استمر في بعض الأوقات مغلق لمدة شهرين[١].

وكان من نتيجة ذلك استمرار الفوضى بصورة غير مألوفة وكانت النتيجة أن " هزل مركز الإمامة، وظهر أكثر من إمام في السنوات القليلة القادمة " [٢]، حيث تتابع على حكم صنعاء من العام ١٢٦٥هـ –١٢٧٢هـ أكثر من ستة أئمة، أربعة منهم من غير آل القاسم[٣]، وعند ذلك حسم أهل صنعاء موقفهم" من هذه الفوضى الأمامية ، ومكان يتبعها من معرة الجيوش التي كانت تدخل لمناصرة هذا الإمام أو ذاك، باختيار عقال المدينة ومشايخها لواحد من كبارهم ليكون هو السلطة الفعلية وبيده إدخال إمام أو أخراجه، أو تنصيب جديد، وخلع آخر " [٤] ، وكان أول هؤلاء الذين اختارهم أهل صنعاء هو الحاج أحمد بن أحمد الحيمي في العام ١٢٧٣هـ ليكون عاقلاً للمدينة، ولكن الحيمي أساء السيرة، وقام بسجن بعض علماء الشريعة بصنعاء، ولم

١ –الحداد، التاريخ العام لليمن،ج، ص٢٠٩، ٢١٠.

٢ –الحرازي، محمد بن أحمد، رياض الرياحين في أنباء الأولين، السفر الثاني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مقدمة المحقق ص٦، ط١، ١٩٨٦، دار الفكر، بيروت، لبنان .

٣ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٤٨– ٢٥، الصفواني، رياض محمد، مواقف العلماء اليمنيين من سياسة أئمة الدولة القاسمية، ص٣٩، دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر، د.ت.

٤ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٥٦، العمري، مقدمة رياض الرياحين، ص٢٦، ٢٧ .

كتف بذلك بل أمر بهدم دور صنعاء التاريخية القديمة، ونهب ما فيها من الأمتعة والنفائس[١] ، ومن هذه الدور دار الطواشي، والذي سيأتي الحديث عنها فيما بعد، وقد أدى ذلك إلى سخط الأهالي وغضبهم عليه، فقاموا بخلعه واختيار بدلاً عنه الشيخ محسن معيض[٢]، الذي لم يختلف كثيراً عن سلفه من حيث السلوك والعمل، حيث سولت له نفسه فيما بعد العمل على مراسلة الأتراك الذين كانوا متمركزين في تهامة، وحثهم على المجيء إلى صنعاء، بل عمل على كتابة مرسوم بأسماء المشايخ والعلماء وكل واحد منهم عليه توقيعه وختمه بالطاعة للسلطان العثماني، وأرسل به مع بعض العلماء، ثم كان بعد ذلك على رأس المستقبلين لهذا الحاكم إلى قرية عصر خارج صنعاء[٣] مما جعله في البداية يحضى بالقبول لديهم، ثم سرعان ما كانت نهاية على أيديهم[٤] .

وكان دخول الأتراك صنعاء في العام ١٢٨٩هـ، ومنذ هذا التاريخ وحتى العام ١٣٠٠هـ نهاية القرن الثالث عشر الهجري، تدخل صنعاء خصوصاً، وكثير من المناطق اليمنية عموما تحت الحكم العثماني **وهذا هو العصر الثالث** والذين لم يجدوا عند دخول صنعاء أي مقاومة تذكر، حيث كان في استقبال الوالي أحمد مختار باشا عدد من العلماء، وكبار التجار، وبعض أبناء الأئمة من آل القاسم، ولم يلبث أحمد مختار إلا سنة بصنعاء، واستطاع خلالها ان يقضي على أكثر من تمرد من القبائل خارج المدينة، ثم عزل وعين بدلاً عنه الوالي أحمد أيوب[٥]، والذي

---

١ – كانت نهاية الشيخ الحيمي أن فرّ من صنعاء، واستعان ببعض القبائل لكي يدخل صنعاء مرة آخري ولكنه فشل في ذلك، وذهب بدوره إلى تهامة ليساعد الأتراك في دخولهم صنعاء ولكنه قبل وصوله وقع أسيراً بيد أحد الأئمة، حيث تم القبض عليه وإدخاله إلى صنعاء مقيداً، وتم وضعه في السجن، ثم ما لبث أن مات فيه سنة ١٢٧٧هـ{ الحرازي، رياض الرياحين، ص ٨٢، مجهول، حوليات يمانية، ص١٢٧، مجهول، صفحات مجهولة، ص٦٥، ٦٨} .

٢ – مجهول، صفحات مجهولة، ص٨١، الحداد، التاريخ العام لليمن،ج٤، ص٢١١، ٢١٢ .

٣ –الحرازي، رياض الرياحين، ص ٧٥، ١٧٦، مجهول، حوليات يمانية، ص٢٦٤، ٢٩٦، ٢٩٧.

٤ –العمري، مقدمة رياض الرياحين، ص٢٨، الحداد، التاريخ العام لليمن،ج٤، ص٢٢٢.

٥ – الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٦١، ٢٦٢.

في عهده حدث خلاف وتمرد من كل من قبيلة خولان وحاشد وبكيل، حيث استطاع أن يقضي على تمرد خولان، وفي أثناء ذلك عزل الوالي أحمد أيوب، وعين بدلاً عنه مصطفى عاصم في سنة ١٢٩٣هـ، واستمر حتى العام ١٢٩٥هـ، واستطاع خلال هذه المدة أن يقضي على تمردات القبائل حاشد وأرحب، إضافة إلى التمرد الذي حصل في منطقة المخادر، ثم حصل من هذا الوالي أن قام بحبس عدد من العلماء[١] ، وأرسلهم إلى الحديدة، حيث مكثوا في سجنها سنتين، ولم يتم الإفراج عنهم إلا حين وصول الوالي الجديد إسماعيل حقي باش[٢] ، وأستمر إسماعيل حقي باشا من العام ١٢٩٥هوحتى ١٢٩٩هـ، حيث وصف بالعدالة والإنصاف، وسعى خلال هذه المدة إلى أنشاء كتيبة من الجند العرب– أي اليمنيين – والهدف منها قمع أي تمرد قد تقوم به أي قبيلة، فكانوا يظهرون من الشجاعة والبسالة في إخماد الفتن مالا تستطيع أن تقوم به إضعاف مضاعفة من كتائب الأتراك، إضافة إلى أن هؤلاء الجند اليمنيون عندما يصلون إلى أي قبيلة لتأديبها وإخماد تمردها، يخاف أفراد هذه القبيلة من أن يقتلون أخوانهم[٣] ، حتى ولو أنهم داخلون تحت حكم الأتراك .

وقد سعت الإدارة العثمانية جاهدة إلى التغلب على الكثير من هذه المشكلات، وإحلال الأمن والاستقرار، فعملت على شق الطرقات في تلك المناطق الجبلية الوعرة، حتى تتمكن من جرّ المدافع والأسلحة إليها، كما عملت على ربط العاصمة صنعاء ببعض المناطق – الولايات البعيدة – وأدخلت شبكة الأسلاك(البرق)، وذلك لأول مرة في العام ١٢٩٠هـ، وفي العام ١٢٩٤هـ، أدخلت أول مطبعة عربية وآخري تركية، حيث صدرت أول صحيفة يمنية سميت

١ – بلغ عدد هؤلاء العلماء الذين تم حبسهم أربعين عالماً، وكان منهم والد الإمام المتوكل بالله يحيى بن حميد الدين قبل أن يصبح والده إماما، وكذلك رئيس العلماء أحمد بن محمد الكبسي، والعلامة حسين بن علي غمضان، وقد توفي بعضاً من هؤلاء العلماء في السجن بعيداً عن أهله وأولاده مثل العلامة محمد بن محمد المطاع والعلامة علي بن محمد الجديري، والفقيه الزاهد محمد بن إسماعيل عشيش وكان ضريراً{الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٦٣} .

٢ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٦٣، الحداد، التاريخ العام لليمن،ج٤، ص٢٢٢، ٢٢٣.

٣ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٦٤.

بصحيفة(صنعاء)، والتي كانت تحمل أخبار السلطنة في تركيا، وما كان يصدر من قوانين ومراسيم، وغير ذلك من الإخبار[١] ، كل ذلك ساعد نوعاً ما على تثبيت الوجود العثماني في اليمن حتى نهاية هذا القرن وفيما بعد ذلك .

وقبل الحديث عن المشاهدات العمرانية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها عن صنعاء،لا بد لنا من ذكر الرحالة الغربيين الذين وصلوا إلى اليمن عموماً وصنعاء خصوصاً في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، وتاريخ وصولهم إلى صنعاء، وكم مكثوا بها من الأيام والشهور، ويأتي في مقدمة هؤلاء الرحالة اولرش سيتزن، الذي وصل إلى اليمن في ٨ إبريل ١٨١٠م/١٢٢٤هـ، ثم كان وصوله مع مرافقه إلى صنعاء في ٢ يونيو ١٨١٠م/١٢٢٤هـ، واستمر اولرش بها حتى غادرها في ٢٧ يونيو، وبهذا يكون أستمر بها لمدة خمسة وعشرين يوماً متوجهاً بعدها إل ذمار[٢] ، وأما الرحالة الثاني فهو جوزيف هاليفي الذي وصل إلى صنعاء سنة ١٨٧٠هـ/١٢٨٧هـ، واستمر بها حوالي شهرين، غادرها في ما بعد إلى الشمال الشرقي إلى بلاد أرحب ونهم، إلى أن وصل مأرب[٣]، وإما الرحالة الثالث فهو رينو مانزوني الايطالي الذي

---

١ –الحداد، التاريخ العام لليمن،ج٤، ٢٢١.

٢ –الصايدي، أحمد قائد(الدكتور)، اليمن في عيون الرحالة الأجانب(رحلة اولرش سيتزن)، ص١٠٢، ١٠٩، ط١، ٢٠١١م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، وحتى تتضح لنا أهمية رحلة سيتزن العلمية، وخصوصاً فيما يتعلق بالتراث والآثار والنقوش العربية عموماً واليمنية خصوصا، فقد قام اولرش قبل وصوله إلى اليمن برحلات عديدة إلى الشرق استمرت لمدة ٧ أعوام، زار خلالها تركيا وبلاد الشام سوريا، وتعلم فيها اللغة العربية، ثم فلسطين ومصر، ومكث في القاهرة ما يقرب من عامين، استطاع أن يشتري خلالها عدد ١١٦٢ مخطوطة، وكذا جمع عدد ١٣٦٤ قطعة أثرية، ثم عن طريق البحر أنتقل إلى ميناء جدة، زار خلالها مكة والمدينة، وظل بهما ٧ أشهر، ثم غادر بعد ذلك إلى اليمن، وصل إلى صنعاء تحت اسم منتحل وهو الحاج موسى الحكيم ومعه حمولة مكونة من سبعة عشر جملاً بها أوراقه وأغراضه، ولعل هذه الحمولة من الجبال التي اصطحبها معه كانت في رحلته الثانية إلى صنعاء، ثم غادر إلى بعد ذلك إلى المخا ثم إلى تعز والذي لم يصل إليها حيث توفى غيلة أثناء طريقه إليها{ الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص١٠٤، ١٠٥ }.

٣ – هاليفي، جوزيف، رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، (رؤيا اليمن حييم حبشوش، ترجمة : سامية نعيم صنبر) (تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن قدمه جوزيف هاليفي)، ص١٤٥، ١٤٦، ١٦٩، ترجمة : منير عريش، ط١، ١٩٩٢م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

وصل إلى اليمن في سبتمبر عام ١٨٧٧م/١٢٩٤هـ إلى مدينة عدن، ومن هناك في ٢٠ سبتمبر أتخذ طريقه عبر مناطق يمنية مختلفة، حتى وصل إلى صنعاء بصحبة الحاج حسين الرحبي في ١٥ أكتوبر ١٩٧٧م، ومكث في صنعاء مائة وستون يوماً- خمسة أشهر- أستطاع خلالها أن يسجل مشاهداته عن معظم جوانب الحياة في صنعاء، ومن ثم تُعد هذه الرحلة في نظرنا أشمل وأعم ما كتبه رحالة غربي عن المدينة وضواحيها[١] .

وأما الرحالة الرابع فهو شابيرا التاجر اليهودي الذي كان الهدف من رحلته البحث عن مخطوطات قديمة، وقطع أثرية للمتاجرة بها، وقد وصل إلى مدينة عدن في شهر يونيو ١٨٧٩م/١٢٩٧هـ، وغادرها في ١١ يونيو من العام نفسه، مروراً بمدينة لحج، ثم إلى وادي بنا، ثم إلى مدينة النادرة، ثم السدة في إب، ثم مدينة يريم، ثم ذمار، ثم صنعاء، حيث دخلها في ٢٨ يونيو[٢]، وأما الخامس من هؤلاء فهو لود فيج اشترس الذي دخل اليمن في العام ١٨٨١م/١٢٩٨هـ، حيث كان وصوله إلى الحديدة، والتي أتجه منها إلى صنعاء عبر طريق مدينة باجل، ثم مناخة، ثم منها إلى صنعاء[٣] ولم تذكر لنا المراجع التي بين أدينا كم أستمر هذا الرحالة بصنعاء، ومن خلال التسلسل الزمني لوصول هؤلاء الرحالة، يكون الرحالة النمساوي ادوارد جلازر في الترتيب السادس، والذي قام بأربع رحلات إلى اليمن، تمتد منذ رحلته الاولى١٨٨٢م/١٢٩٩هـ، وحتى الرحلة الرابعة، والتي انتهت في سنة ١٨٩٤م/١٣١٢هـ، واستمرت رحلته الأولى عامين، حيث دخل صنعاء مرتين أو ثلاثة، إلا أنه لم يهتم كثير بما هو داخل صنعاء وإنما أهتم بتسجيل ملاحظاته في الطريق إليها عبر الجبال من الطريق الذي يمر

---

١ – رينزو مانزوني، اليمن رحلة إلى صنعاء، ١٨٧٧– ١٨٧٨م، ص١٨، ١٩، ١٥١، ١٦١، ترجمة : ماسيمو خير الله، ط١، ٢٠١١م، الصندوق الاجتماعي للتنمية صنعاء .

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص١٩٠، ١٩١، ١٩٢} .

٣ –المرجع نفسه، ص١٩٥، ١٩٦ .

من الحديدة إلى صنعاء، وكذا بعد خروجه منها وخاصة أثناء رحلاته إلى قبائل حاشد وبكيل[١]، ويأتي في الأخير الرحالة الألماني هرمن بور خاردت الذي قدم اليمن في العام ١٨٩١م/١٣٠٩هـ، وقد سلك نفس الطريق الذي سلكه من سبقه من الحديدة حتى صنعاء[٢]، والذي وصلها دون أن يحدد لنا تاريخ وصوله أو حتى الزمن الزمن مكث بها[٣]،

ثانيا المشاهدات المعمارية (الوصف العام – أقسام المدينة – الشوارع – القصور والدور – الحدائق والبساتين):

أما الوصف العام للمدينة فمن خلال ما سبق، ومن خلال المشاهدات المختلفة المباشرة لهؤلاء الرحالة، نجد أنهم قد أعجبوا بمدينة صنعاء، بل ويمكننا القول بأنها قد سحرتهم، وذلك لما كانت تتمتع به من مميزات حضارية فريدة، وصفها اولرش سيتزن بقوله " صنعاء هي أجمل مدينة شاهدتها في الشرق، ولا أستثني من ذلك حتى القسطنطينية ... ومنازلها لطيفة وعالية ومتلاصقة ومطلية إما باللون الأبيض فقط أو بألوان مختلفة، وممراتها مرصوفة ونظيفة دائما، ويتفنن الناس في صنعاء في العناية بالحدائق، فالحدائق الرائعة الموجودة في المدينة خصصت لها أماكن منخفضة، يتمكن المارة من مشاهدتها أثناء أثناء مرورهم، هكذا يمكن أن توصف صنعاء حتى في أوروبا بأنها مدينة جميلة ورائعة " [٤] ، ويرى البعض منهم بأن " صنعاء هي عاصمة اليمن، وتعتبر أقدم مدينة في العام، أنشأها سام بن نوح[٥]، " وصنعاء هي أجمل مدينة بمقايس الشرق " [٦] ، وتقع " وسط سهل واسع محاطة من كل الجهات لاسيما من الشمال

١ –رحلات ادوار جلازر إلى اليمن، ص٧، ٦٢، ١٣٣، ترجمة: أحمد قائد الصايدي، ط٢، ٢٠٢٢م، دون(دار) .

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٩.

٣ – كان لهذا الرحالة عودة أخرى إلى صنعاء بعد أن غادرها في المرة الأولى متوجهاً إلى عمران، ثم إلى شبام، ثم إلى زبيد، ومنها إلى تعز، ثم العودة إلى صنعاء الذي وصلها في ٣١ /١٨٩١م{ الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص٣٧٢، ٢٧٢، ٣٧٤ }.

٤ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١.

٥ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة بور خاردت)، ص٣٧٠.

٦ –مجدي الصالح، رحلة الأسرار المدفونة، ص٥٠، ط١، ٢٠١٩، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، برلين ألمانيا.

والجنوب بخضرة بديعة، متصلة في أحدى جهاتها حتي الروضة وكأنها حديقة واحدة ... لا بد من صنعاء وأن طال السفر، هكذا يقول العرب، أن القلب لا يطاوع المرء في تجنب صنعاء، وعدم المرور بها"[١]، ويرى الرأي صنعاء من بعيد " تبدو وكأنها حدوة حصان[٢]، ولعل الحياة في صنعاء كانت إلى نهاية القرن التاسع عشر تشبه الحياة في القرى، لذلك يصف أحد الرحالة أن " الحياة في صنعاء ما تزال أكثر هدوء بكثير من مدن الشرق الأخرى فبعد غروب الشمس نادراً ما يغادر المرء منزله " [٣] ، وبذلك تكون " صنعاء هي بدون شك أجمل المدن العربية بكاملها " [٤] .

أقسام صنعاء :

تنقسم صنعاء إلى ثلاثة أقسام ، كما يذكر ذلك كل من رينزو مانزوني وهرمن بور خاردت – وإن كان وصفهم غير مطابق تماماً للواقع – وهذه الأقسام هي :

- مدينة صنعاء الأصلية(القديمة) الواقعة شرقا، والتي تحتوي على قصر الوالي، وفيها معظم المساجد والمدارس، والسماسر، والأسواق، وبها جميع المنازل التي بنيت على الطراز العربي .
- بئر العزب ، ويقع إلى الغرب من صنعاء القديمة، ويسكنه كبار الموظفين، وهذا الحي كله حدائق .

---

١ –جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٤.

٢ –{لصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١٩٥ ، ويرى مانزوني ان صنعاء تشبه بأجزائها الثلاثة – أحيائها – شكلاً متوازي الإضلاع)، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٠ .

٣ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص٣٧١، ٣٧٢، ولعل في ذلك مبالغة ، إذ المعروف لدى أهالي صنعاء أو غيرها – كونهم مسلمين – الذهاب إلى المساجد لصلاة المغرب والعشاء، ومن ثم العودة إلى منازلهم لكي يخلدوا للنوم .

٤–الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١٦، وقد وصف الرحالة نيبور ورفاقه عند زيارتهم لصنعاء قبل ذلك في العام ١٧٦٣م أي قبل اولرش سيتزن بنصف قرن وأقل بأن " صنعاء كانت حقاً جنة الله على الأرض "{توركيل هانس، من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص٢٩٤} .

- حي اليهود – المسمى قاع اليهود – ويقع إلى الغرب من بئر العزب وله سوقه الخاص ومحاط بسور، كما أن بئر العزب محاط بسور أيضاً، وكل هذه الأسوار مبنية من الطين، وبها أبراج كثيرة[١] .

أما شابيرا وهو التاجر اليهودي من القدس فيذكر أن " الحي الذي يسكنه المسلمون محاط بسور خاص وبيوته عالية يبلغ ارتفاعها ستة إلى سبعة طوابق[٢] ، وهو بهذا وكونه يهودي الديانة يفرق بين الحي الذي يسكنه اليمنيون بصنعاء القديمة، والحي الذي يسكنه اليهود، وحي بئر العزب الذي يسكنه الأتراك حديثاً، وبئر العزب ببساتينه التي لا نهاية لها، يشكل مقر إقامة الأتراك الأثرياء، الذين بنو قبل بضع سنين بيوتاً جميلة، مثل دار الصافي، ودار البهمة، واللذان كانا فيما مضى قصور الأئمة، لذلك يشكل بئر العزب المنطقة الأكثر رفاهية وجمالاً من كل أنحاء صنعاء[٣] ، أما قاع اليهود فهو المكان الوحيد لسكناهم فيه سوقهم ومعابدهم وورشاتهم، والبيوت من خارجها شكلها فقير، ومسكوه جميعاً بالطين وروث الحيوانات، وقليلة الارتفاع، تتألف من طابق واحد، مع نوافذ صغيرة جداً، ولا يوجد أي زخرفة نظراً لان اليهودي عليه أن يظهر أنه أدنى قيمة من العربي المسلم، ولكن بيوتهم من داخلها نظيفة جداً، ولديهم أحواش تذكر بالفناء المرصوف الاسباني والمغربي، مرصوفة بألواح كبيرة من الحجارة، والجدران مبيضة، والغرف الداخلية واسعة ومضاءة جيداً، ولها أبواب ونوافذ داخلية عريضة وعالية،

١ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١٦٩ ، ٢٠٤، وقد توهم مانزوني عندما ذكر أن المتوكل حياً أو قسم من أقسام صنعاء، بينما هو كما سيأتي معنا بستان المتوكل، ولكن لكون البستان كبير ومحاط بسور كبير، فقد توهم ذلك، وهو الذي أستمر بصنعاء مدة خمسة أشهر .

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة نقلاً عن رحلة شابيرا، ص١٩٣ .

٣ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٥، وكان بئر العزب فيما مضى وتحديداً في سنة ١٢٢٣هـ وما قبلها سكناً لخيار الناس من العلماء والظرفاء والحكماء والحكام، وكانت في تلك المدة جنة من الجنان " أنهارها جارية ، وثمارها دانية، من سكنها ذهبت عنه الهموم، وداخله الروح، ونال ما يروم مع يعرف المصنف – أي مصنف الكتاب–ولا رأى مثيلها في الأمصار، مع أختياري لكثير من الاقطار {مجهول، حوليات يمانية، ص٣٣، الكبسي، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، ج٢، ص٣٠١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٠م} .

وتسود نظافة تامة جميع أنحاء المنزل، ويهود اليمن جديرون حقاً بالاحترام، وذلك من نواحي مختلفة، سواء جسدية، أو أخلاقية[١] .

ومما يجاور صنعاء ويحيط بها وعلى مسافات منها من القرى، والمدن والارباض، مما ذكره الرحالة القليل ومما لم يذكروه الكثير، وسيأتي الحديث عنها لاحقاً ضمن منتزهات ومخارف صنعاء مثل " مدينة الحدائق الروضة " وغيرها[٢] .

أسوار صنعاء وأبوابها :

ومن أهم المشاهدات التي سجلها الرحالة عن المدينة وأسوارها ومدى طولها، وكذلك أبوابها، وعددها ومسمياتها، فهي عند مانزوني الذي مكث في صنعاء أطول مدة أربع أبواب رئيسية خارجية، وباب آخر داخلي يصل المدينة بالقلعة ويسمى باب القصر، والأبواب الخارجية الأربعة هي باب شعوب واتجاهه شمالاً الذي يفضي إلى قرية شعوب، ثم إلى قرية الجراف التي تؤدي إلى مدينة الروضة، وباب ستران جنوباً، وثالثاً باب اليمن المتجه جهة الجنوب أيضاً المؤدي إلى طريق ذمار وتعز وعدن، وأخيراً باب السبح – السباح – غرباً المؤدي إلى قاع اليهود، وهذه هي أبواب مدينة صنعاء القديمة، ثم هناك بئر العزب، وقاع اليهود ولها ثمانية أبواب وهي باب شرارة المتجه شرقاً والذي يؤدي إلى صنعاء، وبستان المتوكل، وباب خزيمة، وباب البلقة ، وباب النزيلي جنوباً المؤديات إلى بعض سهول وجبال حدة ، ثم باب القاع(قاع اليهود) غرباً المؤدي إلى مناخة والحديدة، ثم باب عبيلة، وباب الروم شمالاً المؤدي إلى وادي ظهر[٣] ، بينما يذكر لنا الرحالة الألماني هرمن بورخاردت والذي دخل صنعاء بعد مانزوني بثلاثة عشر سنة أن لمدينة صنعاء– القديمة – ثلاثة أبواب فقط وهي باب شعوب، وباب اليمن، ثم الباب الثالث باب القاع

١ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٦، مجدي الصالح، رحلة الأسرار المدفونة، ص٣٨.

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن يورخاردت)، ص٣٧٢.

٣ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٣، ١٧٤، ٢٠٤، ٢٠٥ .

غرباً، موضحاً انه لم يحتفظ بطابعه العربي سواء هذا الباب[١]، بينما الباب المتجه غرباً هو باب السباح المتجه إلى بئر العزب وباب القاع، ومن ثم فأن هرمن لم يوفق في أيراد أبواب المدينة كاملة بشكل صحيح، كما أنه لم يذكر أبواب بئر العزب والقاع، ومن المعلومات المهمة التي سجلها هذا الرحالة – هرمن – أنه عند وصوله إلى صنعاء، كان دخوله من الباب الغربي، ولم يسميه، وان حرس الباب سجلوا دخوله[٢]، مما يعني أن أي قادم كان يصل إلى المدينة لابد وأن يسجل أسمه عبر دخوله من أحدى بواباتها، ومن ثم يتم الرفع باسمه إلى المعنيين، وأما أسوار المدينة بما فيها سور المدينة الرئيسي لصنعاء القديمة فهناك تباين بين بعض الرحالة فيما يخص طولها، فعند مانزوني تصل إلى ٦٨٤٣ متراً للمدينة القديمة، أما المنطقة الواقعة في الطرف الغربي من مدينة صنعاء، والمحاطة بأسوار وهي بئر العزب ، وقاع اليهود يصل طول هذه الأسوار إلى ٦٤٩٦ متراً[٣]، وقياس آخر لسور المدينة قام به شابيرا حيث قام بالطواف حول السور" وهو راكب على ظهر حمار يسير بخطوات غير سريعة، خمس ساعات ونصف الساعة، وحجمها بحسب تقديره يساوي حجم مدينة دمشق " [٤]، وجميع هذه الأسوار والأبراج مبنية من الطين عدى بعض الأبراج المبنية بالحجارة[٥] .

أما طرقات المدينة وشوارعها فهناك إشارات قليلة لدى بعض الرحالة ومنهم مانزوني الذي يذكر بأن طرقاتها " عريضة ومنتظمة بما فيه الكفاية، إذ أن المهندسين الصنعانين كانوا يعرفون

١ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن بورخاردت)، ص٣٧ ، مما يؤيد ذلك أن الرحالة النمساوي أدوارد جلازر حين وصوله إلى صنعاء قادماً من الحديدة من جهة الغرب، دخل من باب القاع وهذا يؤيد ما ذكره الرحالة مانزوني{ جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٤} .

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن بورخاردت)، ص٣٣٦ .

٣ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٣، ٢٠٤، ومن ثم فأن طول الأسوار الخارجية لمدينة صنعاء بأكملها ثلاثة عشر كيلوا متر و ٤٠٠ متر {مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٠} .

٤ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة نقلاً عن رحلة شابيرا ، ص١٩٢، ١٩٣.

٥ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٣، الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن يورخاردت)، ص٣٧١}، ولم نجد معلومات لدى الرحالة في هذا القرن تتحدث عن عرض هذه الأسوار .

الخط المستقيم بشكل جيد وتسمى الطرقات الأكثر عرضاً وأناقة بالمحجة، والطرقات الأقل عرضاً بالشوارع، أما تلك الصغيرة أي الدروب فتسمى (بالزقزقي)، والطرقات الصغيرة التي لا مخرج لها(الزقاق)، أما الساحات الأكثر أتساعاً وهي في الأغلب غير منتظمة الشكل فتسمى بالميادين "[١] ، وهذه الممرات أو الشوارع كلها مرصوفة ونظيفة[٢] .

أما قصور صنعاء ودورها ومنازلها فقد أسهب بعض الرحالة في وصفها وذكر محاسنها وجمالها ونظافتها وترتيبها، فالمنازل عالية ونظيفة ومتلاصقة ومطلية باللون الأبيض او بألوان مختلفة[٣]، وهذه تقريباً المبنية من الطين وغالباً ما تتكون من ستة إلى سبعة طوابق، ويستخدم في نوافذها رخام رقيق جداً بدلاً من الزجاج[٤]، وهناك الكثير من المنازل مبنية كلها من الحجارة أو يتم بناء الطوابق السفلى من الحجارة والعليا من الياجور، وفي جدران الغرف فتحات صغيرة – النوافذ– فيها مصاريع خشبية لإغلاقها – ليلاً أو في أيام الشتاء – وتوجد فيها المشربيات الكثيرة مزينة من داخلها بفتحات من قطع الزجاج الأصفر أو الأزرق، وفي الجزء الأعلى من الجدران هناك نوافذ مستديرة – القمريات – يتم تزويدها بقطع من الرخام الرقيق بدلاً من الزجاج، وعبر هذه النوافذ والمشربيات يدخل إلى الغرف ضوءاً خافتاً مريحاً[٥] ، وللمنازل المبنية بالحجارة

---

١ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٤.

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١، وعن سبب نظافة مدينة صنعاء يذكر لنا أحد المؤرخين اليمنيين في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري فيقول وأما نظافة هذه المدينة بأجملها فأمر يقصر عنه لسان الواصف، ويذكر أن من أسباب نظافتها ما يأخذه المزارعون من الفضلات من أسفل البيوت مما يخرج من بيوت الخلاء، يجمعونه سماد لمزارعهم، وكذلك ما يأخذه اليهود وغيرهم مما يتساقط من أعلاف الناس وحاجاتهم، فيقومون بكنسه ويستخدمونه بعد ذلك ليحرقون به في صناعة(المدر) أنية الفخار، أما روث الخيول والحمير والجمال والبقر والغنم فلا يدعونه يسقط على الأرض إلا وقد بادر له أطفال المساكين يستخدمونه وقيداً لمعايشهم{ الشهاري، علي بن عبد الله بن القاسم(ت: بعد ١١٧٦هـ)، وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الجليلة، ص٩٢–٩٥، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٣، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء}.

٣ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١.

٤ –المرجع نفسه نقلاً عن رحلة شابيرا، ص١٣٣.

٥ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن يورخاردت)، ص٣٧٠،٣٧١ .

شكل أنيق يساهم – في أناقتها – نوافذها الغنية ذات الزجاج الملون، ويتميز الطراز المعماري للهندسة الصنعانية بالبساطة والأناقة، فالأقواس الدائرية البيضاوية المزخرفة بدون مغالاة والمستعملة بالحد المناسب، تعكس الذوق العربي الرفيع[١]، أما منازل صنعاء من داخلها وهي على الأغلب بيوت العامة أو الطبقة الوسطى، والتي تتكون من ثلاثة طوابق أو أكثر، فهذه البيوت تشبه كثيراً بعضها البعض، فالدور الأول الباب الرئيسي عريض ينتهي بعقود بيضاوية – وغالباً يكون من الخشب– يتم الدخول إلى القاع – بلهجة أهل صنعاء الحجرة والصالة – التي تكون أرضيتها مرصوصة بألواح من الحجارة، وفي هذه الأرضية – القاع – توجد البئر[٢]، بئر الماء وله بكرة وحبل يتراوح طوله ما بين ٢٥– ٣٠ متر، وهذا هو عمق أبار صنعاء، وفي الدور الأول يوجد الإسطبلات(الحر) وهي واسعة وأرضيتها مظلمة وفيها مكان وضع العلف وهي حائط بارز مرتفع بمقدار سبعة سنتيمتر – تسمى عند أهل صنعاء الدكة– حيث يوضع بها علف الحيوانات وهناك حلقات من الحديد مثبتة في الجدران لربط الحيوانات، وفي الدور الأول يوجد بيت الطحين(غرفة المطحن)، وكذلك غرفة تموين الإسطبل (معدات الحيوانات) ، وغرفة المطحن تحتوي على القمح والبر ومعدات العجين، وهناك أيضا في الدور الأول غرفة التمويل – المخزن – وهي من أوسع الغرف في الدور الأول يوضع فيها كل أنواع الحبوب والبقولايات التي يحتاج إليها البيت، وأما الدور الثاني فهو مخصص للنساء والمطبخ(الديمة) وفيه منطقة مرتفعة بمقدار متر توضع عليها المواقد، وفيها الفرن(التنور بلهجة أهل صنعاء) المصنوع من الفخار، أما أدوات المطبخ فهي الجفنة – الاناء الكبير المصنوع من الحجر – والقدر والبرمة – لطهو اللحم – والمقلى من الحجارة أيضاً، وكذلك الملاعق المصنوعة من الخشب، أما الدور الثالث فهو مسكن الرجال، وفيه عدة غرف منها الديوان أو المفرج للاستقبال

١–مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ١٨٨، ١٨٩.

٢ – وما يذكره المؤرخ الشهاري المتوفى بعد سنة ١١٧٦هـ ان الأغلب على منازل صنعاء سواء كانت الدور الكبيرة أو الصغير إلا وبها بئراً أو أثنين أو ثلاث ينزع منها الماء إلى داخل مطابخ البيوت ونحوها وأغلب مائها عذب{الشهاري، وصف صنعاء، ص٨١} .

اليومي[١] ومن أشهر القصور والدور التي كان يسكنها الأئمة أو حاشيتهم أو كبار التجار أولاً دار الطواشي[٢]، والتي اكتسبت شهرتها من خلال عدد غرفها البالغة ٣٦٠ ثلاثمائة وستون غرفة، وقد تميزت بجمال زخارفها، وكتاباتها، وفخامة درجاتها، كما أن احواشها واسعة، وحدائقها كبيرة، وأحواض مياهها متسعة، وقد تم تدميرها[٣]، أمر بهدمها الحاج أحمد بن محمد الحيمي حين توليه زعامة صنعاء سنة ١٢٧٣هـ[٤] ومن دور صنعاء الكبيرة أيضا دار المحدادة، ودار نعمان، ودار صبرة الذي بناها الحاكم العثماني محمد باشا ذو الأصل العري، وبناها على الطراز العربي أخر أيام الوجود العثماني الأول في اليمن، وقد ظلت هذه الدار قائمة حتى سنة

---

١ –المصدر نفسه، ص١٨٩– ١٩٥.

٢ – هذه الدار كانت تقع غربي جامع الطواشي وجنوبي جامع ازدمر، وقد قام بعمارتها الإمام المنصور علي بن المهدي عباس المتوفى سنة ١٢٢٤هـ، وكان الانتهاء من بنائها سنة ١٢٠٠هـ، وقد أرخها الفقيه علي بن صالح العماري بثلاثين تاريخاً على حروف المعجم ، في قصيدة رائعة امتدح بها المنصور ولم يمض على هذه الدار إلا دون المائة سنة وهدمت{زبارة، نيل الوطر،ج٢، ١٤٢، مانزوني، رحالة إلى صنعاء، ص١٩٦، ١٤٢ } .

٣ –{مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ١٩٥}، وقد توهم الرحالة الايطالي عندما ذكر أن هذه الدار قد هدمت قبل خمسين عاماً أي منذ وصوله إلى صنعاء ١٨٧٧م/١٢٩٤هـ، وذلك على يد الصنعانيين الذي ثاروا ضد الإمام الطاغية الهادي بن المهدي عباس، وذلك لعدم معرفته بإحداث صنعاء، والصحيح أنها هدمت قبل وصوله بعشرين عاماً فقط هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يتولى بعد المهدي عباس ولداً له أسمه الهادي، وإنما المنصور علي بن المهدي عباس الذي هو نفسه قام بعمارة هذه الدار، وعليه يكون الأمر الوحيد الذي أصاب فيه الرحالة مانزوني في موضوع هدم هذه الدار أنه في أيام الهادي غالب بن محمد بن الناصر ولكن قبل عشرين سنة، ولم يكن للهادي تصرف في أي شيء، بل جميع أمور صنعاء إلى الحاج أحمد الحيمي الذي أمر بهدم الدار {الحيمي، الروض الباسم، ١٢٢، ١٣٧، ١٣٨ }.

٤ – لما أمر الحيمي بهدم هذه الدار كان يبيع ما قام بهدمه من الأحجار والأخشاب والأبواب والنوافذ، وكانت هذه الدار في غاية نهاية البناء والزخرفة، ولقد ذكر ان المنصور علي أشترى حين بناء الدار من الأصبغة أصفر وأحمر بمبلغ سبعين ألف قرش، أما تكاليف بناء الدار أيام المنصور علي فقد بلغت عشرة مائة الف – أي مليون– وسبعمائة وخمسين، وهذا مبلغ كبير في تلك الأيام{ الحيمي، الروض الباسم، ص١٣٨، مجهول، حوليات يمانية، ص٢٤٣} .

وصول الرحالة مانزوني ، وهدمت في السنة التي تليه، حيث أمر بهدمها الحاكم العثماني مصطفى عاصم باشا[١] .

ومن أهم البيوت المشاهدة والتي بقيت قائمة حتى سنة ١٨٨٠م/١٢٩٧هـ، دار الذهب[٢] وهي دار كبيرة وعالية جداً، تحتوي على بئر صناعي تجر ماهه الجمال والثيران لدرجة أن حوض من أحواضه يقع في الطابق الأخير من الدار، ومن ثم ينحدر الماء عبر مسار إلى الحديقة،[٣] ، ومن الدور أيضاً دار الجديد ويسكن بها السيد غالب – ولعله غالب بن محمد الملقب بالهادي، الذي كان إمام في مدة الفوضى، ودار خضير ويسكنه الوالي العثماني إسماعيل باشا، وبيت الحكومة [٤] .

---

١ – وقد وصف مانزوني هذه الدار بأنها تسعة طوابق وتحتوي على العديد من الشرفات، وبها الكثير من الكتابات العربية، وكان الطابق الأخير يتألف من غرفة واحدة فقط، تحتوي على رسومات وأواني للزهور بطراز روماني، وكانت درجات الدار عريضة، وجيدة البناء إلى الحد أنه يوجد في الدور السادس إسطبلا به حصان أبيض يتبع حاكم الثكنة {مانزون، زرحلة إلى صنعاء، ص ٩٦ } .

٢ – هي من الدور التي قام بعمارتها الإمام المتوكل أحمد بن علي بن المهدي عباس المتوفى ١٢٣٠هـ، وتم الانتهاء من عمارتها سنة ١٢٢٩هـ، ولا شك أنها من الدور الكبيرة والعظيمة{ مجهول، حوليات يمانية، ٢٤}، وممن سكن في هذه الدار من الأئمة الإمام علي بن المهدي عباس الذي تولى الحكم أربع مرات سكنها في سنة ١٢٦٤هـ،[الويسي، فرجة الهموم، ص٢٤٠٢٤١}، ويذكر لنا الرحالة نيبور الذي دخل صنعاء سنة ١٧٦٣م موضع قلعة صنعاء وأنها تقع على تل غمدان الشهير، وانه يوجد بداخلها قصران واحدهما يسمى دار الذهب، وهذا يتعارض مع ما ذكره صاحب حوليات يمانية من انه تم الانتهاء من عمارتها ١٢٣٠هـ، أذ بين هذا التاريخ وبين وفاة المهدي عباس الذي دخل نيبور صنعاء في عهده أحدى وأربعين عاماً ولعل هذه الدار كانت قائمة ثم هدمت ثم أمر بعمارتها من جديد المتوكل أحمد بن علي بن المهدي عباس{ الصايدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور، ص٢٣٣ }.

٣ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٦.

٤ – المصدر نفسه، ص١٩٦، ١٩٧، وهناك من الدور مما لم يذكره الرحالة مانزوني، والتي كان يسكن بها الأئمة أيضاً، ولعل بعضها قد تهدم ولم يعد له وجود، ومن أمثلة هذه الدور دار البشائر في الروضة، ودار الصافية، ودار البونية في بئر العزب، وهذه الدور ممن شيدها الإمام المنصور علي بن المهدي عباس {مجهول، حوليات يمانية ، ص١٧}.

أمـا البسـاتين والحـدائق والمتنزهـات(المخـارف) والغابـات : فالحـديث عنهـا ووصـفها ذو شجون، ذلك لأنه لم يعد أي شيء منه موجود، وقد سبق في الوصف العام للمدينة أن ذكرنا بأن صنعاء كانت محاطة من كل الجهات بخضرة بديعية كانها حديقة واحدة[١] .

ومن أهم البساتين في صنعاء بستان (الطاووس) المتميز بمساحته الكبيرة والغني بأشجار الفاكهة والخضار والورود على أختلاف أنواعها، وهو مزروع بعناية وهو بمثابة مكان النقاء للمسئولين الأتراك، حيث يقصدونه وخاصة قبل الغداء للأكل منه ليكون ذلك بمثابة مقبلات[٢]، ومن أشهر البساتين أيضا بستان المتوكل[٣]، وبه قصر المتوكل وهو مشيد وسط صنعاء القديمة، وقد أعتبره مانزوني من أقسام صنعاء[٤] ، لكون مساحته كبيرة جداً[٥]، وهناك الكثير من البساتين التي لم يذكرها الرحالة الغربيين، كانت موجودة في هذه المدة[٦]، وهذه هي البساتين المشهورة، أما غير المشهورة فهي كثيرة والتي كانت تسمى أيضاً بالحدائق والتي أشار إليها

---

١ – رحلات ادوار جلازر إلى اليمن، ص١٣٤ ، ويصف لنا المؤرخ المجهول الذي عاصر الأحداث لمعظم هذا القرن أن بساتين صنعاء ما هي إلا جنات{ مجهول، حوليات يمانية، ص٢٤٣ }.

٢ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٨.

٣ – ويذكر لنا الرحالة نيبور الذي وصل إلى صنعاء ١٧٦٣م أنه يوجد في الجانب الغربي من المدينة نهر صغير – السائلة ألان – وعلى ضفافه يقع بستان المتوكل الذي بناه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد(ت:١٠٨٧هـ)، ثم بعد ذلك بنى فيه الإمام المهدي عباس قصراً جميلاً، وبستان المتوكل محاط بسور ترابي يتصل طرفاه بسور المدينة، وله أبراج كثيرة يبعد الواحد منها عن الأخر بمقدار ثلاثين خطوة {الصايدي، المادة التاريخية في كتابات{نيبور، ص٣٣١ }.

٤– وهذا يدل على كبر مساحة هذا البستان{مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٦٩} .

٥ – يصف لنا صاحب حوليات يمانية بستان المتوكل وما فيه في العام ١٢٦٧هـ فيقول" كان من الجنان الدنيوية فيه من الأشجار والعمائر والدور الشامخة إلتي ترى من مسيرة نصف يوم– أي القصور بطولها – والأكشاك – النوافذ الخشبية – الذي الكشك مثل المكان الذي يخرج من الدار والمنظر الصيني في أعلاها – أي أخر غرفة وهي المفرج المزينة بالزجاج – وكان فيه – البستان – شجرة السلوة مثل الصومعة"، وكانت هذا البستان مع الدور التي فيها قد قام القبائل الذي دخلوا صنعاء مع الإمام المنصور أحمد بن هاشم الويسي بخرابها وأخذ ما فيها{ حوليات يمانية، ص٢٠٠،{مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠١، ٢٠٢ }.

٦ –مثل بستان السلطان، وبستان المسك الذي دفن فيه الامام المهدي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن المهدي عباس بجانب والده، وكذلك بستان العلمي وغيرها من البساتين التي كانت تشتهر بها بئر العزب{ حوليات يمانية، ص٦٤، ٦٧، {الواسعي، فرجة الهموم، ص٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٩}.

الرحالة اولرش سيتزن – والتي لا زالت باقية إلى اليوم باسم المقاشم [١]، حيث قال أن الأهالي في صنعاء يتقنون فن العناية بالحدائق الرائعة والتي خصصت لها أماكن منخفضة بحيث يتمكن المارة من مشاهدتها، وعند دخول العثمانيين اليمن قاموا بإنشاء حديقة المستشفى العسكري، وهي حديقة مرتبة بشكل ممتاز وغنية بأشجار الفاكهة والخضار، وتوجد في هذه الحديقة ثلاثة أحواض كبيرة، يتم إيصال الماء إليها عن طريق جدول أو ساقية من الغيل الأسود الذي ينساب من جبال حدة[٢] ، هذا ما هو موجود داخل مدينة صنعاء، أما خارجها فمنذ أن يغادر المرء أسوارها يجد أمتداد الحقول والمزارع والغابات منها وإلى القرى أو المدن البعيدة التي حول صنعاء والتي تسمى بعضها بالمخارف بحيث أن المشاهد الذي يشاهد ذلك من قرية عصر المرتفعة عن صنعاء غرباً، أو من جبل نقم شرقاً ينشرح صدره لما يشاهده من الخضرة البديعة المنتشرة في سهل صنعاء وما حوالها[٣]، فهناك أولاً الحقول والغابات الموجودة بين صنعاء والروضة والتي يخرج إليها القادمون إلى صنعاء للصيد، حيث تنتشر بها الحجلان والأرانب بكميات هائلة، ومما يذكره مانزوني أنه خرج لصيد الايائل[٤] ، من جبل نقم[٥]، ثانياً توجد الحقول المزروعة والغابات التي تمتد إلى الشمال والشمال الغربي حتى وادي ظهر تكتظ

١ – هذه الحدائق لا زالت موجودة في كل حارة من حارات صنعاء الصغيرة تسمى بالمقاشم وتعني بزراعة البيعة – الكراث– ويسمى عند أهل اليمن قشمي، وكذلك الفجل وغيره،{الصايدي، اليمن في عيون الرحالة الأجانب(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١}.

٢ – المخارف مشتقة من فصل الخريف الذي تكثر فيه الفواكه بمختلف أنواعها، ومخارف أو منتزهات صنعاء كثيرة وأهما قرية حدة والروضة ووادي ظهر {الواسعي، فرجة الهموم، ص٥٨، ٥٩، الشهاري، وصف صنعاء، ص٩٦، ٩٧، مجهول، حوليات يمانية، ص٤٦٠}.

٣ –جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٣، ١٣٤، مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٦٢، ١٦٣ .

٤ – من الثديات والحيوانات ذوات الحوافر وهو الحيوان الوحيد الذي له عظام على رأسه يسمى القرون المتساقطة وهو يشبه الغزال في الحجم أو اكبر بقليل .

٥ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٦٤.

أيضاً هذه الغابات بالأرانب البرية والحجلان[١]، وعلى امتداد الطريق من صنعاء إلى مدينة عمران من اليمين والشمال وعلى امتداد النظر توجد حقول البن[٢] .

وأما المخارف والمنتزهات التي حول صنعاء، فهناك الروضة والتي تبعد عن صنعاء بمسافة ساعة ونصف(خمسة أميال) ، حيث يوجد بها أفضل الحدائق (البساتين) التي يمتلكها الصنعانيون الأغنياء[٣]، ولهذا تُعد الروضة بحق مدينة الحدائق[٤] .

وبعد الروضة هناك حدة ، حيث يوجد أسفل جبالها وادي غني بأشجار الجوز والمشمش ويسمى هذا السهل بسهل النميس، ثم يرتفع المرء إلى جبال حدة التي تظللها غابات شاسعة من أشجار الجوز والمشمش، وهناك توجد طاحونتان على سفح الجبل شيدهما الأتراك، متحركات حيث يقوم بتشغيلها جدول الماء المنساب من جبل حدة[٥]، ومن أهم المنتزهات وادي ظهر

---

١ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٧، ٢٠٨.

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة رحلة شابيرا ، ص١٩٣.

٣ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٣ .

٤ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة بورخاردت)، ص٣٧٣، ويذكر لنا المؤرخ الواسعي أنواع الأعناب التي تشتهر بها مدينة الروضة وعددها أحدى وعشرون نوعاً أو أكثر وهي" أصابع زينب والإطراف والبياض وهو أحلاها – يسمى بالروضي – وبيض الحمام سمي بذلك ألان الحبة في حجمها تشبه بيض الحمام ، والجرشي، والجوفي، والحاتمي والحبشي والحسيني والدريج والدبيبني والرازقي، والزيتون والسيسبان والعذاري والعرقي بكسر العين والعيون والعاصمي والقزاقز والقوارير والقهمي" {الواسعي، فرجة الهموم، ص٥٨} ولم يبق من هذه الأنواع سوى ثلاثة أنواع منها البياض ولا يزال من أفضل أنواع الأعناب في الروضة إلى اليوم وإن كانت زراعته قلت بدرجة كبيرة .

٥ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٦٤، ٢٠٤، وقد اشتهرت حدة بعين(غيل) عظيمة أسمها عين حميس، ويتبعها سهل حميس الذي يسقي من هذه العين، ولعل مانزوني لم يجانبه الصواب عندما أسماه سهل النميس{ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٥٨}، ولا يزال الباحث يتذكر أيام ما كان يزور حدة وجبالها في الثمانيات من القرن المنصرم(العشرين) أيام كان طالباً في جامعة صنعاء مع بعض الزملاء، حيث كنا نصعد إحدى جبال حدة المطل على قرية حدة، ولا نرى أشعة الشمس من كثر أشجار الجوز والمشمش التي تظلل الطريق، والقرية، وكان غيل حدة المذكور سابقاً لا يزال يجري في قنوات ويسمع له خرير قوي ليسقي الأشجار والمزروعات المختلفة ليصل إلى أسفل الوادي، ولكن للأسف الشديد لم يعد اليوم أي شيء من ذلك سوى بعض الأشجار القليلة، وأما الغيل فقد جف، وأما الطاحوناتان فلا تزال أحداهما بآثارها باقية إلى اليوم.

الشهير الذي يوحد حوله منتجع صنعاء البديع[١]، وهو على بعد خمسة كيلوا متر من صنعاء، وهذا المنتجع تنتشر فيه البساتين وأشجار الفواكه، حيث تشتهر بالأعناب والليمون، والبرتقال والأرز[٢]، وهناك من القرى التي بها من المخارف حول صنعاء الكثير والكثير، ولكن لم يتسنى لهؤلاء الرحالة زيارتها، ومن ثم لم يذكروها[٣]، وهذه البساتين والحدائق التي داخل صنعاء وخارجها يزرع بها أنواع الفواكه والخضروات الكثير والكثير وسوف نذكر البعض منها مما لم يتم ذكره سابقاً [٤] .

ثالثاً المشاهدات الاجتماعية(السكان – الطبقات الاجتماعية – الزواج – الأسرة – الأطعمة – الألبسة)

يتفاوت عدد سكان صنعاء في هذه المدة بحسب تقديرات الرحالة الذين زاروها والذي كانت زيارتهم لها في سنوات متقاربة لا تتعدى العقد من الزمان، فالرحالة مانزوني الايطالي الذي وصل صنعاء في العام ١٨٧٧م، يقدر عدد سكان صنعاء بثمانية عشر ألف إلى عشرين ألف عربي – أي يمني – والأتراك ثلاثة ألاف تركي، واليهود ألف وسبعمائة، وكل ذلك تقريبي، لان

---

١ – جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٣ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٥، وهذا الوادي كبير بل هو نهر– كان لا يزال الوادي إلى ما قبل أكثر من سبعين سنة تجري فيه المياه طوال العام – ويقصد لما فيه من الفواكه والثمار وألوان الإزهار وتغريد الأطيار، والبيوت كلها مشرفة على الماء والبساتين على اليمين والشمال{ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٥٩}.

٣ – نذكر البعض منها اختصارا حتى لا نطيل مثل قرية سناع الكثيرة الأشجار، وبيت زبطان، وعصر على مسافة نصف ساعة من صنعاء وهما قريتان عصر العليا وعصر السفلى، وتشتهران بالتين والمشمش، وفيها غيل عظيم، ذكرها الرحالة أدوارد جلازر، حين وصوله إلى صنعاء، وتحت هذا الغيل توجد مصبنة عصر – للصابون– كذلك قرية القابل وثقبان وغضران وكلها تشتهر بأصناف الفواكه كالعنب وغيرها {جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٣، لواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٥٩}.

٤ – مثل الرمان والتفاح والسفرجل والاجاص والفرسك، ومن أنواع العنب نوع يسمى المسكي، ومن الخضار الفول واللوبياء والقنبط والفلفل الأحمر والأخضر والطماط والبطاط الحلوة والعادية والجز والبصل والثوم والبامية والباذنجان واللفت والفجل والهندباء والخس والكرنب والبقدونس والكرفس والرشاد والسبانخ والقرع والبطيخ واليقطين والخيار والحبوب والملوخية، ومن الورود الإزهار والياسمين وشقائق النعمان والبردقوش والحيف والنرجس والورد والبنفسج والقرنفل والزعتر .... الخ {مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٩ }.

الموضوع وبحسب قوله صعب كونه لا توجد فيه أية إحصائيات أو سجلات[١] ، وأما الرحالة شابيرا الذي دخل صنعاء في العام ١٨٧٩م – أي بعد سنتين من دخول مانزوني– فيقدر عدد سكان فيها ما بين مائة ألف إلى ما مائة وخمسين الف، وعدد الأتراك أربعة ألاف رجل، ثم يذكر لنا عدد منازل اليهود بأنها ألف وأربعمائة منزل[٢] ، لكنه لم يحدد لنا أعدادهم، بينما يحدد لنا الرحالة لود فيج اشترس الذي وصل صنعاء في العام ١٨٨١م عدد سكانها ما بين خمسة وعشرون إلف إلى ثلاثين ألف، وعدد الجنود الأتراك ما بين ستة عشر ألف إلى تسعة عشر ألف[٣] ، ولم يذكر لنا عدد اليهود ولا منازلهم، وأخيراً الرحالة هرمن بور خاردت الواصل صنعاء في العام ١٨٩١م، حيث قدر عدد سكانها بخمسين ألف، وعدد اليهود في حيهم ما بين ستة ألاف إلى سبعة ألاف يهودي[٤]، ومن خلال ما سبق نرى أن أكثر هذه التقديرات غير سليمة ولا مطابقة للواقع، لان مدة أقامتهم في صنعاء لم تكن كافية لتقدير عدد السكان، ولكون هذه الأعداد لا تتناسب مع حجم المدينة، كما أن فترة الفوضى بصنعاء كانت قد انتهت مع دخول الأتراك، ولهذا نرجح أن عدد سكان صنعاء في تلك المدة لا يقل عن مائة ألف ولا يزيد عن مائة وخمسون ألف بما في ذلك الأتراك واليهود.

وينقسم المجتمع أي الطبقات الاجتماعية في صنعاء بحسب تصنيف مانزوني الذي دخل صنعاء حال وصول الأتراك إليها إلى طبقتين وهما العرب – أي اليمنيين – والأتراك الذين بيدهم السلطة، وكان لهم النصر على اليمنيين، ثم يقسم مانزوني الطبقة العربية – اليمنية – إلى أربعة أقسام وهي :

---

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٧ .

٢ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة نقلاً عن رحلة شابيرا، ص١٩٣ .

٣ – المرجع نفسه، الرحالة لود فيج اشترس، ص١٩٦، ١٩٧ .

٤ – المرجع نفسه، رحلة هرمن بور خاردت، ص٣٧٠، ٣٧١ .

الطبقة الأولى : تتكون من القضاة والفقهاء والعلماء ورجال القانون والذين لهم اعتبار وقبول عاليين بين أفراد المجتمع، وذلك لما يتحلون به من صفات خلقية وعلمية، ومن ضمن هؤلاء خطباء صلاة الجمعة في المساجد، وأئمة المساجد .

الطبقة الثانية : وهم التجار والأغنياء وأصحاب المحلات التجارية وأعدادهم كبيرة في المدن، وقليل فيما حول صنعاء .

الطبقة الثالثة : هم الحرفيون – أصحاب الحرف المختلفة – وكثير منهم لهم وجود داخل أسواق صنعاء، وكل مهنة أو حرفة من هذه الحرف تُكونّ جماعة أو فرقة لها مسئول أو رئيس، ثم في الأخير كل تلك الجماعات تتبع ما يسمى (شيخ السوق)، ويتبع هذه الطبقة الكثير من الخدم .

الطبقة الرابعة : تتكون من المزارعين وبعض العمال الذين يقومون بفلاحة الأرض، وهؤلاء هم الأكثر عدداً من غيرهم،[١].

أما الطبقات الاجتماعية خارج صنعاء وما حولها فتنقسم بحسب رأي الرحالة أدوارد جلازر الذي زار صنعاء وما حولها من المناطق والقبائل إلى أربعة أقسام وهي :

- السادة أو الإشراف وهم من أبناء علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء .
- القبائل الذين ينتمون بصفة عامة إلى القبائل العربية اليمنية الأصيلة وهم مقاتلون ويعتبرون أنفسهم وإن كانوا يسكنون مساكن بائسة أعلى مقاماً من العرب – اليمنيين – الذي يسكنون المدن ويعتمدون على التجارة والحرف اليدوية– ويرأس القبيلة الشيخ .
- حدد جلازر المشايخ كطبقة وحدها – بينما الشيخ مع قبيلته تُعد طبقة واحدة .

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، جلازر، رحلات ادوارد، ص٤٠، ٤١ .

- الخدم أو الخدامون – وهم العمال – وفي اليمن لا يطلق عليه خادم بل شاقي كمفرد والجمع شقه، ولا يمكن لأي فرد كان من القبيلة أو الشيخ أن يطلق على الشاقي خادم أو خدام ولو عمل ذلك لقام هذا العامل بطعن سيده بالجنبية[١] .

أما تقسيم القبيلة وسلمها الاجتماعي فهي أربعة أقسام أيضا وهي السيد – ولعله رأس المشيخة في القبيلة، ثم النقيب وهو الشيخ المتميز، ويأتي من وسط عائلة المشيخة، ثم العاقل وهو الشيخ الصغير، ثم القبيلي(أفراد القبيلة)، ثم المزين[٢]، ومن أهم الجوانب الاجتماعية التي ركز عليها بعض الرحالة الزواج وما يترتب عليه بعد ذلك من تكوين أسرة، حيث أشار مانزوني الايطالي إلى أن سن الزواج في صنعاء وبحسب ما هو موجود في قانون الشريعة الإسلامية للرجال أو للشباب الثامنة عشر عاماً، وللنساء أو البنات سن التاسعة، ولكن بشرط أن يقسموا بالله أنهم بالغون وفي هذا المجال توجد للأب سلطة مطلقة في تزويج أولاده القاصرون – الصغار – متى أراد ذلك دون أن يستطيع هؤلاء الأبناء الاعتراض عليه، أما الأولاد الراشدون فلا يمكن أن يزوجوا إلا بموافقتهم[٣].

أن العادات الشرقية وبالأخص عادات العرب – اليمنيين – لم تتغير أبداً، فاحترام التقاليد والثبوت القائم للمبادئ الفكرية والدينية، تشكل دائماً ذلك الطباع المتميز للحضارة الإسلامية[٤].

وبالنسبة للزواج في المدينة وما يصاحبه من احتفالات فالمعومات عن ذلك قليلة، كون الرحالة الذين زاروا صنعاء لم يوضحوا أي شيء عنه سوى الرحالة الايطالي مانزوني الذي أشار إلى ذلك في عجالة، ففي صنعاء حيث لا يمكن للرجال أن يشاهدوا النساء، فمن العادة أن

---

١ – جلازر، رحلات ادوارد، ٣٥ .

٢ – جلازر، رحلات ادوارد، ص٣٥–٣٦، المزين في القبيلة والمجتمع اليمني بحسب الأعراف هو الذي يقوم بخدمة أفراد القبيلة في مناسبات الإعراس والمأتم، كما يعمل كحلاق – وهذا كان في الماضي– لأفراد القبيلة، وفي بعض الأحيان حجام.

٣ – جلازر، رحلات ادوارد، ص٢٤٨ .

٤ – المرجع نفسه، ص٤٩ .

أم العريس أو أخواته هن من يشاهدن العروسة وينقلن إلى العريس أوصافها، ثم بعد ذلك يقام العقد بين العريس وأهل العروسة من الرجال، ثم تقام الاحتفالات بسرعة بعد الانتهاء من العقد، وهذه الاحتفالات أكثر روعة وأقل ضجيجاً من تلك التي تحدث عند القبائل، بينما العروسة ينتظرها احتفال كبير في مكان النساء لدى أهل العريس، والذي بطبيعة الحال لا يشارك العريس فيه بل يذهب مع أصدقائه وأهله إلى المسجد، ولعل ذلك حال صلاة الظهر، وعند عودته تقام المأدبة(طعام الغداء) التي يقيمها على شرف المدعوين، وبعد الغداء يدخل العريس إلى المكان المخصص للنساء ومن ثم يقوم برفع الحجاب(الطرحة) ويرى وجه زوجته لأول مرة، وفي تلك اللحظة الحاسمة إما أن تتحقق أحلامه عن جمال زوجته أو يحدث العكس تماماً[١] .

أما النظام الأسري في صنعاء – بحسب مشاهدات مانزوني – فنجد أنه يتميز بالروعة والنقاء، الأمر الذي يعطي الصورة المثلى للحضارة الإسلامية عامة والإرث الحضاري اليمني خاصة، والمستند على الأعراف القبلية السامية، فالأسرة خصوصاً هي القلب النابض المحافظ على نظام المجتمع، فالوالد – الأب – هو رئيس الأسرة الأعظم وتنطبق سلطته المطلقة على زوجته أو زوجاته، وعلى أولاده ، فله كل الولاء والطاعة، وله كل التبجيل والاحترام، وهذا ينطبق على كل الأسر اليمنية في صنعاء الغنية والفقيرة عل السواء[٢] والزوجة أو العروسة تكن لزوجها كل الاحترام، ولا تعامله كما لو كانوا هو وهي سواء – مثلما هو موجود في المجتمعات الغربية – وفي أغلب الأوقات تبقى الزوجة واقفة أمام زوجها، وتناديه باسمه(سيدي)، وهي بذلك تخصه بعناية فائقة صغيرة كانت أو كبيرة، والذي في أوروبا لا يختص بها إلا الخدم[٣]، وكذلك الأولاد يحصل منهم الأب على نفس التقدير والاحترام، فهم يقبلون يده تعبيراً عن احترامهم التام له، ولا يجلسون في حضوره إلا بأذنه، ولا يتحدثون إلا بأذنه، ولا يدخنون ولا يشربون القهوة في

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٦٦ .

٢ – المرجع نفسه، ص٤٩ .

٣ – المرجع نفسه، ص٤٩ .

حضوره[١] أما الزوجة إلام – فهي تلقى نفس الاحترام والتقدير من أولادها، ويحبونها حباً جما، وخاصة في تلك الأسر، التي لا توجد فيها سوى زوجة واحدة، وأما بالنسبة للعلاقة فيما بين الأبناء بعضهم البعض، فيجب على الأصغر منهم احترام الأكبر وطاعته لأنه يشغل المكانة الثانية في العائلة ويصبح ربها بعد موت والده[٢]، أما بالنسبة لكبار السن في العائلة – الجد أو الجدة – فلهم احترام كبير وتقدير عالي، حيث لهم منزلة رفيعة في قلوب الباقين تقارب ذلك الاحترام المقدم لإبائهم[٣]، هذا وأن أهم ما يميز الأسرة والمجتمع بصنعاء، أن هذا المجتمع يشكل بالنسبة لهم عائلة كبيرة واحدة والقرابة المشتركة بين إفرادها تجتمع تحت ظل النظام الأبوي والقبلي[٤]، وعادة ما يأكل الرجل رب الأسرة مع أفراد أسرته جميعاً، أما عند الطبقات المرموقة ذات الأسر الكبيرة، فلا يأكل الرجال مع نسائهم أو أولادهم[٥]، وبالنسبة للنظام المعيشي اليومي (توزيع الأوقات في اليوم والليلة) عند أهل صنعاء مهم، فعادة ما يستيقظون في الصباح الباكر – الفجر – كسائر المسلمين لأداء صلاة الفجر، ومتى قاموا للصلاة يتناولون طعام الفطور في منازلهم، الخبز والقهوة والزبدة ، ثم يذهب كل واحد إلى عمله، ثم في الظهر تقام الصلاة جماعة في المسجد، بعدها يعود كلً إلى منزله لتناول طعام الغداء، وبعد الغداء الكيف٠ المقيل – إذ عادة ما يبق كل واحد مستلقي على الفراش في حالة سكون جسدي وفكري تام، وفي وضعية مسترخية وممتعة في حالة تشبه السبات، وهذه هي فترة القيلولة، ويستمر ذلك لبعض ساعات، بعدها يدخنون المداعة(النرجيلة)، ويشربون القهوة حتى صلاة العصر، حيث يصلي الجميع جماعة في السجد، ثم ينصرف كل واحد إلى عمله، ثم بعد ذلك تقام صلاة

١ – المرجع نفسنه، ص٥٠ .
٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٠ .
٣ – المرجع نفسه ، ص٢٥٠ .
٤ – المرجع نفسه ، ص٢٥١ .
٥ – المرجع نفسه ، ص٢٥١ .

المغرب والعشاء وجوباً في المسجد، يرجع بعدها الجميع إلى منازلهم لتناول وجبة العشاء، ثم يخلدون إلى النوم مابين الساعة الثامنة والتاسعة، وقليل هم الذين يخرجون بعد العشاء، بعض التجار فقط الذين يرجعون إلى دكاكينهم في السوق[١]، ولا يستخدم اليمنيين الأسرة في نومهم بل يكدسون بعض الفرش، ويضعونها على سجادة أو حصيرة ، وينامون ليلاً في أفضل غرف المنزل، إذ لا يخصصون غرفاً معينة للنوم، ثم في الصباح يقومون برفع الفرش ووضعها في مخازن خاصة بها، بحيث تصبح تلك الغرفة التي كانوا ينامون فيها صالحة لكل الاستخدامات التي يراها صاحب البيت أو زوجته، ويبدوا أن أهل صنعاء اليمنيين يتحكمون في النوم كيفما أرادوا، فهم ما يلبثون أن يستلقوا على الفرش، واضعين رؤوسهم على الوسائد حتى يغطون سريعاً في نوم عميق[٢] ، ولعل من أسباب ذلك – وهذا ما لم يدركه مانزوني – أن اليمنيين في صنعاء عقولهم مليئة بكل الخواطر والأفكار الدينية في أي شيء يشرعون به نراهم يقولون (بسم الله)، وعند الانتهاء منه يرددون (الحمد لله)، وأحاديثهم لا تخلو من ترديد كلمة والله، وبالله، ورأس النبي، ورب البيت، ورب الكعبة، وهم لا يقرون وخصوصاً عامة الشعب إلا بإرادة الله، لذلك يرددون دائماً(أن شاء الله) (ما شاء الله)، وهي من العبرات الأكثر ترددٍ بينهم، واليمني في صنعاء لا يقول لدي رغبة في الأكل او أني جائع، ولكن يقول أن شاء الله أشتهي الأكل أو إن شاء الله أجوع، أما عبارة (انا مسكين) فهي الوحيدة التي لا يقرنها بـــ(أن شاء الله)[٣] .

---

١ – المرجع نفسه ، ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٠، هذا ولم يفهم الرحالة الايطالي سبب سرعة نوم أهل صنعاء، أذ أنه يستغرب كيف يتحكمون في نومهم، ولم يفهم أن السلوك العملي واليومي لهم، وأدائهم للصلوات جميعها وفي أوقاتها وفي المسجد، وكذلك قيامهم جميعاً بأعمالهم على الوجه المطلوب، كل ذلك ينعكس عليهم، فيسبب لهم ارتياحا نفسياً، إضافة إلى ذلك بعد أن يعود كل منهم من عمله وهو مرهق نوعاً ما، كل ذلك يؤدي إلى سرعة استغراقهم في النوم .

٣ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٧ .

أما نساء مدينة صنعاء والمدن بشكل عام، فيتميزن بأنهن جميلات جداً، وبشرتهن أكثر بياضاً من نساء القبائل حول صنعاء، وهن أكثر النساء خدمة لأزواجهن من غيرهن، وتمتاز نساء كبار القوم بثراء وتنوع ثيابهن، ولكن هذا فقط في منازلهن، أما الملاءة – الحجاب – عند الخروج فهي تغطي ملابس الأغنياء من النساء كما تغطي ملابس نساء الفقراء، ولهذا من الصعب جداً التكهن ما إذا كانت هذه الملاءة تخفي تحتها امرأة غنية أم فقيرة[١]، هذا وفي كل دار من دور صنعاء شقة أو مكان مخصص للنساء مفصولة تماماً عن تلك التي يسكنها الرجال، ويوجد داخل مكان النساء انضباط شديد وحشمة صارمة، حيث تسكن زوجة صاحب البيت ووالدته وأخواته وبناته، بحيث أن هذا المكان يشبه مكان إقامة الراهبات في أوروبا– وهذا الكلام مبالغ فيه – وفي هذا المكان تكتسب البنات والأولاد حب الله وحب الوالدة والوالد وغيرهم، ويتعلمون الأخلاق الحميدة[٢]، وهذا باعتبار أن الأسرة هي المحضن الأول للتربية السوية، ومن أهم ما ذكره مانزوني عن وضع النساء داخل بيوتهن في هذه المدة قوله " لا تعتبر نساء المدينة عزلتهن على أنها تعاسة، فهن يولدن في الحريم، ويكبرن فيه إلى أن يصبحن صبايا، ومن ثم يتزوجن، وينتقلن إلى حريم آخر لا يختلف عن السابق فالحياة في الحريم هي حياة النساء المسلمات"[٣]، ثم يوضح مانزوني بأن هؤلاء النساء لهن الحرية في الخروج والزيارات لبعضهن البعض متى ما أردن ذلك ولكن بضوابط الحجاب، وقد تمتد هذه الزيارات إلى يوم كامل[٤]، ونساء صنعاء نساء وفيات وزوجات صالحات عموماً ولا يوجد عكس ذلك إلا في القليل النادر، ولا تحصل النساء في صنعاء على أي تعليم، فلا يجدن الكتابة ولا القراءة، ولكن يتقن أعمال المطبخ والحياكة والتطريز، وليس لديهن اهتمام إلا بالمنزل وتحضير الطعام، وما تبقى من

---

١ – المرجع نفسه، ص٢٦٠ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٦٢ .

٣ – المرجع نفسه ، ص٢٦٣ .

٤ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٦٣، ٢٦٤.

الوقت يكون في تزيين وتجميل أنفسهن بهدف إثارة وأعجاب أزواجهن، وكذلك في أداء الصلوات[١] .

أما الأطعمة فإن أهل صنعاء يستهلكون العديد من المأكولات، ومن ذلك كميات كبيرة من الدجاج والحمام الداجن، ومن البيض، وينال إعجابهم الحليب المخمر، وتستخدم المطيبات والتوابل بكميات كبيرة في جميع أطعمتهم بما في ذلك الحساء، ويبقى الخبز هو أساس التغذية عندهم، وفي منازل الأثرياء يكون المرق محضراً من الدجاج والحمام[٢]، وعند العامة من لحم الخروف، ومن طعام الأغنياء المشاوي والتي تطهى في الأفران وفي بعض الأحيان يتم شواء خروف كامل ويكون محشو بالأرز والزبيب واللوز، ويطلقون عليه اسم الحنيذ، ويتم طبخ الدجاج إما مشوية في الفرن أو في القدر مع الزبدة، ومن طعامهم الكبيبات – الكباب – المخلوطة بالبصل الأخضر والملح والتوابل، ولهم أطباق عديدة يكون فيها اللحم إما قطع كبيرة أو مفرومة، وتوضع في المائدة مع الخضار والبقوليات وعصير الزيتون الأخضر أو العنب غير الناضج، ويذكر لنا مانزوني بعض الأطعمة على أنها من الحلويات، بينما هي من أساسيات المائدة في صنعاء مثل السبايا وبنت الصحن وكذلك السوسي المصنوعة من الخبز والبيض، وكذلك المعصوب– المعصوبي– وهي قطع من الخبز يتم طهوها مع الزبدة، ويأكل أهل صنعاء وخاصة من العامة الحلبة كثيراً[٣]، وفي شهر رمضان كانت وجبة الشربة هي الأهم، ويكون تقديم المائدة وترتيبها عند أهل صنعاء على النحو التالي : أول شيء هناك الحساء ، ثم اللحم مع الخضار، ثم الحلويات، يليها مرة أخرى اللحم مع الخضار، ثم أخيراً الأرز[٤]، وأما بالنسبة للشراب فإن اليمنيين في صنعاء لا يشربون شيئاً سوى الماء، وكذلك القهوة – والتي عادة ما يتم

---

١ – المرجع نفسه ، ص٢٦٤، ٢٦٥ .

٢ – كان ذلك أيام ما كان الدجاج طبيعي وليس دجاج المزارع كما هو الحال اليوم .

٣ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١ .

٤ – المرجع نفسه، ٢٦١، ٢٦٢ ، وقد اختفى هذا التسلسل في تقديم الوجبات في هذا العصر ولم يعد يوجد منه شيء..

تحضيرها من قشر البن– وإما القهوة عند الأتراك فيتم تحضيرها من حبوب البن – اللب – بعد أن يتم تحميصها حتى تصبح لونها بنياً ذهبياً، ثم تطحن حتى يكون المسحوق ناعم جداً، ومن ثم توضع على النار، والتي تبقى في منازلهم مشتعلة دائماً وعلى قدر كبير من المياه، ومنه يتم تحضير القهوة[١]، وبالنسبة لوصف المائدة فقد حافظ اليمنيون في صنعاء على تلك العادات والتقاليد المتوارثة، والتي تجعل المائدة تتصف بالبساطة والمتانة، حيث تتكون من صينية كبيرة – صحن أو إناء مفتوح– من الحديد أو النحاس أو حتى الفضة، يصل قطرها إلى متر ونصف أو أقل تقريباً، توضع على كرسي من خشب، لا يتعدى ارتفاعه ثلاثة سنتيمتر، ويجلس الجميع على حول هذه السفرة، إما على وسائد أو على السجاد، وتوضع أمامهم داخل تلك السفرة قطع من الخبز وملاعق من الخشب فقط، وما دون ذلك لا يوجد لا سكاكين ولا شوكات ولا أطباق من الخزف، أما أواني الشرب فمن الفخار، والذي تسمح برشح الماء مما يجعله بارداً جداً[٢] .

ومن المهم هنا أن نذكر ان المدخنين في تلك الأيام كان يطلق عليهم لقب حشاشين وهو لفظ سيء إلى حد اعتباره شتيمة[٣] .

أما الملابس فبالنسبة للرجال في صنعاء يذكر لنا جلازر أنهم يرتدون نوعاً من الملابس لونه الاصلي أبيض ولكنه سريعا ما يتشرب بلون النيل الأزرق، ويتم تثبيته بحزام إلى الخصر[٤]، وهذا تقريباً هو القميص ذو الأكمام الواسعة، إضافة إلى أنه فضفاض وطويل حتى الركبة، وهو من القطن ذو اللون الأزرق، وهذا لعامة الناس، أمام الأغنياء فقمصانهم من التيل الأبيض الناعم جداٍ، ويضع العامة فوطة فوق القميص وحول الخصر، أما فوطة الأغنياء فتكون من الحرير ومتعددة الألوان، ويتم شد الفوطة بحزام طويل جداً لعله من القماش، ومن فوق هذا

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٩٢، ٢٩٣ .

٢ – المرجع نفسه ، ص٢٩٥، ٢٩٦ .

٣ – المرجع نفسه ، ص٢٩٥، ٢٩٦ .

٤ – جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص٢٣٢ .

الحزام، حزام آخر من الجلد، ويتم وضع الخنجر(الجنبية) فيه[١]، وإما الرأس فيتم تغطيته بالطربوش – وهذا تقريباً للأتراك، أو الطاقية – وهي غطاء الرأس من الصوف أو القطن– المؤلفة من العديد من طبقات القطن الملون، ثم يلف من حولها حزام طويل لعله من القماش أيضا– شبيه بربطة العنق – ثم يتشابك بشكل حلزوني على الجبين، ليشكل بعد ذلك ما يسمى بالعمامة، وتختلف العمائم الخاصة بالقضاة والأئمة عن عمائم التجار، ثم عن عمائم عامة الأهالي[٢] .

أما ملابس النساء فهي زرقاء عبارة عن سراويل ضيقة من الأسفل، ومطرزة بخيوط ذهبية أو فضية – تشبه الذهب أو الفضة– وكذلك سترة (جاكت)، وغطاء الرأس ذات الثنايا الكثيرة، وفي صنعاء أيضاً تضع النساء على أجسمهن رداء مع غطاء للوجه ذا لون أحمر[٣]، وتلبس النساء أيضاً القميص المصنوع من التيل الناعم، ويكون لونه إما أبيض أو زهري، أو ازرق، أو اصفر فاتح، وهو عند نساء الأغنياء مطرز بالحرير والذهب، ومن الإمام ينقش بزخارف لماعة، وهذا القميص ذو أكمام واسعة جداً ومريحة، وهو يغطي جسد المرأة من الأكتاف وحتى الركبة، وتحت هذا القميص تلبس النساء السروال المشدود من عند الخصر، ومن ثم يضيق نزولاً نحو القدم، وتكون حافته غنية بالتطريز[٤] .

وأهل صنعاء يتميزون بالنظافة جداً، حيث وللصلوات الخمس الإلزامية – المفروضة– التي يسبقها الطهور – الوضوء – أثر كبير في نظافتهم ونظافة ملابسهم، إضافة إلى ذلك فهم

---

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٢، ٢٥٤ ، ٢٥٩، الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة زيج جفريد لانجر)، ص٢١٦ .

٢ – عمائم القضاة والأئمة من القماش الموصلي الخفيف الأبيض المهذب أحياناً بالذهب، وأما التجار فمن الحرير الملون، وأما عامة الناس فمن القماش القطني العادي، هذا ويمكن خلع العمامة عن الرأس، ثم وضعها من جديد دون أن يتم نقضها، أو فك رباطها { رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٤ } .

٣ – جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص٢٣٢ .

٤ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٨، ٢٥٩ .

يرتادون الحمامات كثيراً– الحمام البلدي البخاري– وكما أنهم يغسلون أفواههم مرات عديدة في اليوم، فتصبح أسنانهم جميلة وذات بياض لأنهم يستخدمون السواك كفرشاة للأسنان[١].

رابعاً المشاهدات الاقتصادية(الزراعة – التجارة – الصناعة – الأسواق)

لاشك أن أهالي صنعاء كان لديهم اهتمام خاص بالزراعة ومن ذلك ما سبق الإشارة إليه أثناء الحديث عن البساتين والحدائق والغابات مثل زراعة الفواكه والخضروات وغيرها، وتم الإشارة أيضا إلى تلك الحقول الزراعية التي تمتد من خارج أسوار صنعاء وحتى الروضة وإلى حدة ووادي ظهر[٢]، ولا شك أن من بين مزروعات تلك الحقول، زراعة الحبوب المختلفة من بر وشعير وذرة وغيرها، وإن كان الرحالة لم يذكروا لنا ذلك إلا في القليل النادر، وقد أوضح مانزوني أن الطبقة الرابعة من سكان صنعاء هم المزارعون[٣]، ولكنه لم يذكر لنا تفاصيل عن ذلك سوى توضيحه لبعض الأدوات التي يستخدمها اليمنيون في زراعة الأرض أو العمل في البساتين منها المعمول ويسمى(المفرس)، ومنجل مسنن ويسمى بالمنشار[٤] " وفي حدائق صنعاء تزرع أنواع معينة من النباتات يعتني بها اعتناء خاص، ويسمى مزارعوها بالقشامين ... وهذه النباتات ذات روائح زكية"[٥]، ومن أهم ما يزرعه اليمنيون في صنعاء شجرة البن، وقد سبق الإشارة إلى ان الطريق من صنعاء إلى عمران تنتشر على جوانبه من اليمين والشمال زراعة حقوق البن، وكذلك حول صنعاء في كل من حراز ومناخة يهتم أهالي عرب الجبال في تلك المناطق اهتمام كبير بزراعة البن، ليتم بعد ذلك تصديره إلى ميناء المخا " ولأشجار البن

---

١ – المرجع نفسه، ص٢٥٥ .

٢ – المرجع نفسه، ص٢٠٧ .

٣ – المرجع نفسه، ص٢٠٧ .

٤ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء ، ص٢٠٠، وقد ذكر آلات زراعية آخري مثل الملئف وهو على حد قوله فأس عريض جداً، ولم نجد له تفسير ولكن لعله بالتأكيد الملقف، حيث لم يستطع نطق القاف، وهي اليوم تسمى المجرفة، حيث يجرف بها التراب بعد خد الأرض أو حرثها، وكذلك آلة أخرى تسمى(مسب الحديد) .

٥ – جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص١٣٠

منظراً جميلاً على المنحدرات أو بالأصح على الشعاب التي تترعرع فيها، وكم ترتاح العين وهي تلقي نظرها على ذلك الاخضرار الداكن الندي الذي لا تكاد أشعة الشمس تنفذ من خلاله، فإذا ما سار المرء على امتداد خط الطريق ووصل إلى القمة وجلس لينعش نفسه بفنجان صغير من القشر – قهوة القشر – فأنه سوف يشعر في هذا المكان الممتلئ بأريج الأشجار أنه يشاهد أمامه قطعة من العربية السعيدة " [١] .

وأما التجارة في صنعاء فتكاد تكون زاخرة ونشيطة، حيث يدخل إليها كل ما يحتاج المرء من مستلزمات أو ملابس أو أطعمة ... الخ، وبالإضافة إلى تجار صنعاء المحليين اليمنيين، فهناك تجار يونانيين وهنود، حيث ولديهم دكاكين مليئة بكل ما يحتاجه المتسوق، حيث تقع دكاكينهم شرق سوق المدينة، وفيها أعواد الثقاب " والسجائر وعلب السردين والشموع وملمع الأحذية واجبان والأرز، والبطاط والزيتون والصابون والجوز والبن واللوز والمخللات وجميع أنواع الكحول نبيذ وبيرة– طبعاً لغير المسلمين– والبسكويت وحلويات ومأكولات آخري وجميع أنواع الملابس الداخلية " [٢] ، وفي أماكن أخرى تباع المظلات والعصي والشمعدانات والمصابيح النفطية والقوارير والكؤوس وأدوات المائدة والصحون الفخارية والمرايا، وعلى العموم يجد الأهالي كل ما يحتاجون إليه وكذلك كل ما يحتاجه الأتراك وعائلاتهم، هذا وأعداد التجار في صنعاء كثيرون، بحيث أن مانزوني أعتبرهم أصحاب الطبقة الثانية في المجتمع الصنعاني[٣]، وبما أن صنعاء عاصمة اليمن ويقيم بها مختلف الشرائح الاجتماعية من السكان الأصليين، ومن الوافدين، فإن البضائع التي كانت تصل إليها – عبر القوافل – من داخل اليمن، وكذلك من خارجها عبر الموانى المختلفة .

---

١ –المرجع نفسه، ١٠٨.

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٥٢.

٣ – المرجع نفسه، ص٢٥٣، ٢٤٦ .

ومن أنواع السلع التي كانت تصل إلى صنعاء الملح، حيث كان تصل قوافل من مأرب محملة بهذه السلعة، وتعود ببعض البضائع، ولكن في الأغلب تعود فاضية، ومن ثم متى ما أراد سائح أن يذهب إلى هناك فيرتحل مع هذه القوافل[١]، ومن عجيب ما ذكره بعض الرحالة حديثه عن تجارة وبيع الأسماك من المناطق الشمالية إلى صنعاء، حيث لا يوجد هناك بحر، ولكن من بعض الأنهار(الوديان الكبيرة الدائمة الجريان طول السنة) ، حيث يقوم بعض اليهود الذين يسكنون في قرى بعيدة عن بلاد أرحب في اتجاه الشمال وفي أيام الشتاء، بالذهاب لكي يتم صيد الأسماك من الخارد[٢]، وهو نهر يخرج من بلاد أرحب ويصل إلى الجوف ويستقي منه أهلها، ولدى هؤلاء اليهود طريقة عجيبة في صيد السمك، إذ يجعلون لها جعل من الحبوب يسمى ضفر يجلب من بلاد آنس، وقيمته أغلى من البُرّ – القمح – وبعد طحنه يخلط مع قليل من الشعير، ومن ثم يتم عجينه مع بعض، ويتم وضعه في أوعية، ومن ثم يتم رميه للأسماك لتأكل منه حتى يحدث لها نوع من الصرع – الإغماء – ونتيجة لذلك ترتفع إلى أعلى الماء، وعندها يبادر الصيادون إلى العوم في الماء وأخذها بكل سهولة ويسر، وخاصة الصغيرة منها، أما الأسماك الكبيرة فتحاول أن تتفلت من الصادين وبصورة شديدة، حيث يفلت البعض والباقي يتم أخذه، وبعدها يقوم الصيادون بإخراج ما في بطون هذه الأسماك حتى لا تتغير ريحتها ومن ثم يبادرون بالسفر إلى صنعاء ليل نهار كي تصل وهي في حالة جيدة ليتم بيعها هناك،

١ – هاليفي، رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي(رحلة هاليفي)، ص١٤٧ .

٢ – الخارد وادي كبير أو نهر تتجمع مياهه من المناطق المحيطة بصنعاء وخاصة الجبلية منها مثل جبل النبي شعيب وكذلك سلسلة جبال ريعان التي تمتد نحو الشمال ويوجد في هذه المناطق جميعها الكثير من الغيول والوديان والتي تصب بعد ذلك في وادي ظهر، ومن جبال أخرى قريبة من صنعاء تتجمع مياهه إلى قرية عصر، ثم عبر أخدود يسمى السائلة تتدفق المياه إلى سائلة صنعاء وإلى شعوب، ثم إلى الرحبة خارج صنعاء، ثم إلى الخارد {جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص ١٣٣}، وقال الحجري : الخارد نهر مشهور يسقي أرض الجوف، والجوف يصل إليه أربعة أودية كبار منها وأولها الخارد ومساقيه من فروع مختلفة من شرق صنعاء وبلاد خولان وجبالها وكذا من جنوب صنعاء وجبالها وأوديتها إلى المناطق الممتدة حول صنعاء، ومن ثم المناطق الشمالية وجبالها وهكذا الكل يصل إلى وادي الخارد {الحجري، محمد بن أحمد(القاضي)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها،ج١، ص١٩٥، ٣٠٣، تحقيق: القاضي إسماعيل بن علي الاكوع، ط٤، ٢٠٠٤م، مكتبة الإرشاد، صنعاء }.

والأنهار المشهورة بالحوت ثلاثة وهي نهر الخارد ومنبعه بلاد أرحب، وسردد ومنبعه بلاد الحيمة، والثالث النبعة وأصله من بلاد الحدا، وأشهرها حوت الخارد، حيث يُعد ألذ وأطيب ما يكون وليس يُجلب إلى صنعاء إلا الخاردي فقط [١]، ومن هذه المناطق الشمالية أيضا تأتي تجارة الخوص(أوراق النخيل)، حيث تنقلها القوافل إلى صنعاء، ومنها يتم صنع المكانس[٢]، وفي صنعاء أيضا تنشط تجارة البن نظراً لاهتمام الأوربيين بها ومنهم تاجر إيطالي كان يقيم في صنعاء ويعمل في تجارة البن[٣]، الذي يتم نقله إلى الحديدة، ومن ثم تصديره إلى أوروبا .

ولعل من أهم السلع أيضا تجارة الكتب، كون صنعاء من المدن المشهورة بالعلم والعلماء، لذلك نجد أحد الرحالة يذكر أنه استفاد خلال إقامته في صنعاء وبصورة خاصة في شراء المخطوطات التي تُعد الأغلى ثمناً في الشرق[٤] .

وأما الصناعة فنجد أن الرحالة أيضا لم يدونوا عنها الشيء الكثير ولعل ذلك راجع إلى مدى إقامتهم بصنعاء واهتماماتهم، حيث والكثير منهم كان له اهتمامات علمية، ومما ذكره الرحالة في هذا المجال أن أكثر اليهود في صنعاء يعملون في صناعة الأحذية والحدادة والصياغة[٥]، وتوجد في صنعاء " مدرسة صناعية يتعلم فيها الفقراء اليمنيين بعض الصناعات اليدوية " [٦]، ولعلها كانت من إنشاء الأتراك، كما يقوم اليهود أيضا بصناعة أو صياغة الجواهر والذهب، وعليهم يعول أهل صنعاء في صناعة الزخارف الجصية في البيوت، وكذلك النوافذ الملونة من صنعهم، وفي سوق صنعاء أيضا يتم صناعة السيوف والسكاكين والحبال[٧] .

---

١ – هاليفي، رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي(رحلة هاليفي)، ص٤٦، ٤٧، ١٤٩ .

٢ – المرجع نفسه، ص٤٦ .

٣ – جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص١٣١، ١٣٢} .

٤ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن، ص١١٢ .

٥ – المرجع نفسه ، ص١٩٨ .

٦ – المرجع نفسه، ص٣٧١ .

٧ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٨، ٢٠٧.

وأما الأسواق في صنعاء فهي كثيرة، وهناك إشارات من قبل بعض الرحالة عن هذه الأسواق منها ما ذكره اولرش سيتزن الذي دخل صنعاء في العام ١٨١٠م حيث أوضح أنه كان يوجد في صنعاء مصلح ساعات وحيد قام بإصلاح ساعته لديه، غير أنه لم يستطيع ان يعيش بهذه المهنة، فكان إلى جانبها يبيع السمن، وسوق صنعاء الكبير يشكل الحي المركزي للمدينة، وهو على شكل أزقة ضيقة ومتعرجة تتشابك مع بعضها البعض، وفي هذا السوق يوجد كل أصحاب الحرف اليدوية، أو تجار البضاعة من الحرفة نفسها مثل النجارون والحدادون ، وهناك من يبيع المدائع وبائعي المصابيح والأواني المعدنية والعطارون(بائعو القهوة والبخور والعطور والتوابل)، وفي ساحة المركز يوجد سوق القمح، وفي ساحة أخرى بالقرب من باب اليمن يوجد سوق الأدوات المنزلية المصنوعة من الفخار، وبالقرب من ساحة أخرى يوجد سوق الخضار والفواكه، وفي اتجاه صرحة الطواشي يوجد سوق الخبز [١]، وكذلك سوق الإعشاب الخضراء الخاصة بالحيوانات(سوق العلف)، وهناك المسلخ(المجزرة) الوحيد في صنعاء – تقريباً– بالقرب من باب اليمن، هذا ولكل حرفة أو أصحاب تجارة معينة لهم شيخ يتبعونه، وفي سوق صنعاء توجد أيضا السماسر بكثرة، وهي عبارة عن مباني واسعة – ذات طوابق عديدة– ويتم فيها جميع الإعمال التجارية الكبيرة[٢]، وأما اليهود فلهم سوقهم الخاص في قاعهم المشهور بقاع اليهود، حيث يقومون بالصناعات التقليدية مثل صناعة النحاس، وصناعة الخناجر اليمنية(الجنبية) ،

١ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١، مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٨ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٨، الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن بورخاردت)، ص٣٧٠ ، وقد حرصنا وحتى لا نطيل على أن يتم وصف صنعاء من خلال الرحالة أنفسهم حتى لا نخرج عن عنوان البحث، وإلا فهناك أسواق كثيرة لم تتم الإشارة إليها ومنها سوق البز، وسوق الحضرمي، وسوق الفضة، وسوق القشر، وسوق الملح الذي سمي سوق صنعاء بعد ذلك باسمه، وسق الحطب، وسوق الزبيب، وسوق الغنم، وسوق البقر والبهائم، وسوق الجمال، وسوق النحاس، وسوق الأحذية، وسوق الحب، وهناك من المؤرخين من يذكر سوق صنعاء الشمالي، حيث يحتمل أن صنعاء كان بها سوقان كبيران الشمالي والجنوبي وما بينهما المدينة،أما مشيخة السوق فشيخ كل حرفة أو تجارة يتابع أهل حرفته، ثم جميعهم يتبعون الشيخ الكبير شيخ السوق، الذي يقوم بمراقبة الجميع وحل المشكلات {مجهول، صفحات مجهولة من تاريخ اليمن وقانون صنعاء، ص١٨٨– ٢٠٤، ٢١٣، الحرازي، رياض الرياحين، ص١١٤، ١٥٥، ١٥٦ }.

ودباغة الجلود، والخياطة، كما تُكلّفهم الدولة بسك العملة، وكل هذه الصناعات يجيدونها بإتقان وحِرَفِيّةْ عالية[١] .

خامساً الحياة العلمية والدينية (المساجد – المخطوطات – المدارس)

كثيراً ما يشير الرحالة مانزوني إلى استقامة أهل صنعاء وارتباطهم بالدين في جميع شؤون حياتهم، وقد سبق ذكر ذلك عند الحديث عن الحياة اليومية، وأن صلواتهم لا تكون إلا في المساجد، وكذلك عند الحديث عن الأكل قبله وبعده، وكذلك عند الزواج ....الخ، حتى أنه يرجع سبب ذلك إلى ان اليمنيين مليئون بالأفكار الدينية[٢]، ومما ذكره أيضا أن أهل صنعاء يؤمنون بالجن، وأنهم قد يسببون الأذى للإنسان لان منهم الطيبون والأشرار[٣] ، كما يؤمن أهل صنعاء بالعين، ومن ثم يحذرون من الإصابة بها، ويتخذون في سبيل ذلك كافة الاحتياطات، حيث يرون أن العين والحسد في كل أمر يؤدي إلى أعجاب الآخرين بهم أو بما يملكونه أو يتصفون به، ومن ثم فأنهم لا يبالغون في الحديث عن الآخرين بإعجاب وإن حدث شيء من ذلك فلا بد من أتباعها بكلمة ما شاء الله، وإن أحد فعل ذلك دون أن يتبعها بالمباركة أو المشيئة الإلهية، فإن جليسه يشك في ان هذا الأخر يريد إصابته بالعين، عند ذلك يبادر إليه وعلى الفور قائلاً قل ما شاء الله تبارك الله، وعندها يجيب الآخر بذلك[٤] .

ومن أهم المعالم الدينية في صنعاء المساجد والتي تحظى باهتمام كبير من قبل الأهالي، ولا تتم الصلاة إلا فيها، ويذكر لنا بعض الرحالة أن كل مسجد يرأسه فقيه، ويأتي من فوقه مسئول أخر وهو الناظر، والذي من عمله متابعة وإدارة أموال وقف المسجد، وهناك الإمام الذي يقيم

---

١ –مجدي الصالح، رحلة الاسرار المدفونة، ص٣٨ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٥–٢٥٧ .

٣ – المرجع نفسه، ص٢٧٦، ٢٧٧، وبما أنه ذكر إيمان أهل صنعاء بالجن فقد علق عليه بقوله أن ذلك من الخرافات الموجودة في صنعاء، ولم يفهم ان الإيمان بالجن عقيدة عند المسلمين، ولذلك فهو يقوم بإصدار هذه الأحكام بدون معرفة لهذه الحقائق .

٤ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٧٨ .

الصلوات الخمس في أوقاتها المحددة، وكذلك الخطيب الذي يقوم بإلقاء المواعظ، ثم هناك المؤذن الذي يؤذن للصلاة من على الصومعة(المأذنة)، وهذه الوظائف الدينية لا تحمل صفة الديمومة كما هو الحال عند الكهنة الكاثوليك، ولكن متى ما تم فصلهم من عملهم هذا من قبل الناظر، عندها يفقدون صفتهم الدينية كأئمة وخطباء، وأحياناً البعض من هؤلاء يكون له عمل أخر في بعض الحرف أو يقوم بالتدريس أو الذهاب للبيوت لقراءة القرآن، كون الراتب الذي يتقاضاه على إمامة المسجد لا يكفيه[١] .

وأما مساجد صنعاء فيبلغ عددها ثمانية وأربعون مسجداً بما في ذلك المسجد الوحيد الذي في القصر ويسمى المرادية، وأشهر هذه المساجد وأقدمها هو الجامع الكبير الذي يُعد من أكبر مساجد صنعاء، وموقعه في وسط المدينة القديمة[٢]، وما زال شكله حتى اليوم – سنة دخول مانزوني صنعاء– مستطيلاً طوله مائة متر، وعرضه ثمانين متراً، وجدرانه من الخارج مبنية من الحجارة، وكذلك أرضية المسجد مرصوفة بالحجارة، وللمسجد ثلاثة أورقة شرقي وغربي وجنوبي، مع مقدم المسجد الذي فيه المحراب، والمتجه شمالاً، ويتوسط هذه الأروقة فناء واسع، وسطه بناء يشبه الكعبة، طوله مع عرضه حوالي تسعة أمتار وارتفاعه عشرة أمتار، وفيه في الجهة الجنوبية باب صغير على مستوى أرضية الفناء، يدخل منه الداخل إلى حجرة بدون نوافذ، يتم فيها الاحتفاظ بأقدم نسخ القرآن الكريم[٣] .

---

١ – المرجع نفسه، ص٢٤٦ .

٢ – أورد مانزوني معلومات خاطئة حول تاريخ الجامع الكبير وأنه بني على أنقاض كنيسة القليس وذلك اثناء حديثه عن حملة أبرهة المذكورة في سورة الفيل وفشل الحملة، وفي الأخير نجد أنه خلط الحابل بالنابل عندما قال أن أولاد أبرهة تولوا الحكم، ثم جاء الإسلام وأصبحوا مسلمين على يد علي – علي بن أبي طالب– ثم يقول ومن ثم عادوا إلى عبادة الأصنام تحت حكم كسرى ملك الفرس، وهكذا فأن معبد صنعاء الذي هو الجامع الكبير خدم الديانة المسيحية ثم الإسلامية، ثم عبادة الأصنام، وأخيرا الديانة الإسلامية، {مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٤–١٧٨ }، وبغض النظر عن التخبط في الجانب التاريخي فإن الثابت أن مسجد صنعاء بني في بستان باذان حاكم صنعاء والذي تصدق بأرضيته لبناء الجامع وذلك بتوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم{ الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١٤٠ } .

٣ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٨ ١٧٩ .

وأما المساجد الأخرى فهي أصغر بكثير، فالبعض منها له مأذنة عالية جداً، والبعض منها له مأذنة متوسطة، وبعضها بدون وهي الأصغر، من أشهر هذه المساجد مسجد البكيلية، الذي تم بناءه على الطراز العثماني، وكذلك مسجد الطواشي، ومسجد المدرسة وغيرها، وكلها مبنية بالحجارة، وأما القبب فهي مبنية من الأجر(الياجور)، ومطلية دائماً باللون الابيض، وكذلك الصوامع مبنية بالأجر، دون أن تطلى بأي لون[١] .

وأهل صنعاء من حيث المذهب الفقهي أو الديني معظمهم شيعة من الفرقة الزيدية، كما أن هناك وجود للصوفية، وقلة قليلة من الأمامية ألاثنى عشرية، وليس هناك ذكر لموضوع أوقاف المساجد سوى ما ذكره أحد الرحالة عند وصوله إلى صنعاء مروراً بجبل عصر غرب صنعاء، حيث قال " وقرية عصر الواقعة عند أقدام الجبل هي قرية وقف، أوقفها أهلها منذ مئات السنين للجامع الكبير في صنعاء " [٢]، وأما اليهود في حيهم أو مدينتهم(قاع اليهود) فلهم معابدهم والذي يبلغ عددها أربعة معابد كبيرة، وسبعة عشر معبداً صغيراً، ولعل هذا العدد غير مبالغ فيه، إذا ما قورن بعدد منازلهم وعدد سكانهم والبالغ على قول بعض الرحالة سبعة ألاف، وقول البعض الأخر إلى عشرة ألاف نسمة[٣] .

أما الحياة العلمية والثقافية في صنعاء خلال هذا القرن، فقد شهدت بزوغ نجم كثير من العلماء، الذين كانت لهم حلقات علمية في كثير من المساجد، وكان لهم الكثير من المؤلفات، على رأس هؤلاء شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، غير أن الرحالة لم يكونوا يهتمون بتدوين ذلك، وإنما كان جلّ همهم جانب علمي آخر – وهو مهم – والذي من خلاله يمكنهم كشف ومعرفة أسرار هذا البلد وتراثه الحضاري، سواء كان القديم أو الإسلامي، وقد تمثل ذلك في سعيهم الحثيث لشراء المخطوطات المهمة، والعثور على النقوش المسندية المهمة، والتي لم

١ – المرجع نفسه، ص١٧٨– ١٨٢ .

٢ –جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ١٣٠، ١٣٤ .

٣ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن بورخاردت ، ص٣٧١ ، مجدي الصالح، رحلة الأسرار المدفونة، ص٣٨ .

يكن عامة الأهالي في صنعاء أو خارجها يعلمون قيمتها ولأ أهميتها، وما تمثله من إرث حضاري أصيل، ولما كانت هذه المخطوطات وخاصة القديمة منها تمثل قيمة علمية كبيرة، فقد سعى هؤلاء إلى الحصول عليها والبحث عنها بشتى الوسائل الممكنة، فهذا اولرش سيتزن الذي وصل إلى صنعاء في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، يذكر أنه أشترى من صنعاء مخطوطات تُعد من أهم وأثمن المخطوطات الشرقية[١]، وهذا هاليفي عند وصوله صنعاء كان مريضاً جداً، ولم يكن له من هم إلا الحصول على المخطوطات والنقوش الحميرية، وذهب للبحث عنها في كلً من جبل نقم، وبقايا قصر غمدان، وفي حصن بيت بوس غرب صنعاء، ولما لم يجد شيئاً من ذلك، يمم وجهه نحو المناطق الشرقية والشمالية، مروراً ببلاد أرحب، ووصولاً إلى الجوف ومأرب، وهناك وجد مبتغاه، حيث بلغ حصيلة ما نسخه من النقوش من كل هذه المناطق وغيرها ستمائة وستة وخمسين نقشاً[٢]، ومن بعد هاليفي جاء أدوارد جلازر الذي مكث في صنعاء لمدة، ثم انطلق في نفس الاتجاه، ومروراً بقبائل أرحب وحاشد، وكان حصيلته من النقوش مائتين وستة وسبعون نقشاً حميرياً، وكذلك بعض المخطوطات ومنها امتلاكه لمخطوطة قديمة جداً تحتوي على معلومات مهمة عن اليهود وعلاقتهم بالقبائل العربية المختلفة التي كانوا يسكنون معها قبل ظهور الإسلام[٣]، ومن الرحالة الذين أبدوا اهتمام بالجوانب العلمية مانزوني الذي تحدث باستفاضة عن النساء في صنعاء، وكل ما يتعلق بهن، وذكر في الأخير أنهن لا يحصلن على أي تعليم، فلا يجدن القراءة ولا الكتابة، وبالمقابل وللأسف لم يذكر شيئاً عن تعليم الأولاد ولا الشباب، ولا مدارسهم، ولا عن الحلقات العلمية التي كانت تقام في مساجد

١ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١٢ .

٢ – هاليفي، رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي(رحلة هاليفي)، ص١٤٥–١٦٥ ، الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص٩، ١٥٢، وقد عمل هاليفي ملحق في أخر تقريره يوضح فيه تصنيف النقوش التي جمعها طبقاً للمناطق التي وجدها بها، وكذلك عددها وهذا الملحق موجود في أخر كتابه من ص٧٥–٧٩ .

٣ –جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص ٦٢، ١٣٠، ١٣١ .

صنعاء، ولم يذكر لنا سوى بعض علماء صنعاء الذين استقبلوا الوالي العثماني حين دخوله صنعاء، كما تحدث عن نفسه وتعلمه اللغة العربية لدى القاضي حسين القلاضي الناظر على مسجد المتوكل، والذي وصفه بأنه رجلاً قدير وغير متعصب، وأنه كان مسروراً لتعليمه اللغة العربية، وتفسير القرآن، وأشياء أخرى كثيرة عن حياة العرب[١]، ومما لا شك فيه أن صنعاء كان فيها الكثير من المدارس، فهذا الرحالة شابيرا يذكر ان لليهود في مدينتهم أربعة وعشرين مدرسة[٢]، ومن ثم فإن مدارس اليمنيين بصنعاء لا بد وأن تكون اضعافاً مضاعفة من مدارس اليهود، ومما يدل على ذلك ما ذكره الرحالة الألماني هرمن بور خاردت عند حديثه عن صنعاء وإن بها مسكن الوالي ومعظم المدارس، والمساجد الكبيرة، كما أوضح أن بصنعاء مؤسسات عامة وهي مدرسة عسكرية، ومدرسة مدنية، ومدرسة صناعية، وعن الجانب الثقافي ذكر أن بصنعاء مطبعة تصدر عنها صحيفة صنعاء باللغتين العربية والتركية[٣] .

الخاتمة:

١- وختاماً ومن خلال تتبع هؤلاء الرحالة ومشاهداتهم وما رافق ذلك من أحداث سياسية، يمكننا التوصل إلى بعض النتائج وذلك على النحو التالي :

٢- شهدت صنعاء خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري استقراراً ملحوضاً حيث نعمت بالهدوء مما نتج عن ذلك ازدهار حضاري في بعض الجوانب، تمثل في بناء القصور والدور .

٣- شهدت صنعاء أيضا خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وحتى دخول العثمانيين اضطرابا سياسيا تمثل في ذلك الصراع المرير بين الأئمة من اجل السلطة، نتج عنه تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية .

---

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٣٠، ٢٣١، ٢٦٥، ٢٠٢ .

٢ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة نقلاً عن رحلة شابيرا ، ص١٩٣، ١٩٤ .

٣ – المرجع نفسه، ص٣٧٠، ٣٧١ .

٤- أتضح من خلال مشاهدات الرحالة وكتاباتهم أن مدينة صنعاء وما حولها في تلك المدة، كانت جنة من جنان الدنيا، حيث يغطيها وما حولها الغابات والحدائق والبساتين والحقول الزراعية، وما يوجد بها من حيوانات برية مختلفة، وهذا للأسف لم يعد يوجد منه شيء في الوقت الحاضر سوى القليل النادر.

٥- تبين أن ذلك الإطراب السياسي لم يكن له أي تأثير سلبي على الحياة الاجتماعية بصنعاء حيث ظل أهلها محافظين على الأعراف والتقاليد، وتعاليم الشريعة الإسلامية في جميع شؤون حياتهم.

٦- استمرت صنعاء العاصمة السياسية لليمن طوال مدة القرن الثالث عشر الهجري .

٧- أتضح أن مدينة صنعاء وما حولها في تلك المدة كانت مركزاً تجارياً مهماً يقصدها أصحاب رؤوس الأموال من كل مكان .

٨- تبين ان صنعاء وما حولها كانت لا تزال بكراً في الدراسات الأثرية والنقوش المسندية .

٩- كان لليهود دور مهم في الحياة الاقتصادية بصنعاء وكانوا يعيشون في مدينتهم بسلام .

المصادر والمراجع:

١- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد عبد الله الطنجي(ت: ٧٧٩هـ)

- رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الامصار وعجائب الإسفار، تحقيق: الشيخ عبد المنعم العريان، ط١، ١٩٨٧م، دار صادر، بيروت، لبنان .

٢- توركيل هانس

- من كوبنهاجن إلى صنعاء،، ترجمة: محمد أحمد الرعدي، ط٢، ٢٠١٦م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار العودة، بيروت، لبنان .

٣- جلازر، أدوارد

- رحلات ادوار جلازر إلى اليمن، ترجمة: أحمد قائد الصايدي، ط٢، ٢٠٢٢م، دون(دار) .

٤- الحرازي، محمد بن أحمد

- رياض الرياحين في أنباء الأولين، السفر الثاني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ط١، ١٩٨٦، دار الفكر، بيروت، لبنان .

٥-الحداد، محمد يحيى

- التاريخ العام لليمن، ط١، ١٩٨٦، دار التنوير، بيروت، لبنان.

٦- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان د.ت .

٧- الحيمي، محمد بن لطف الباري اليمني

- الروض الباسم في ما شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٠م، مطابع المفضل للاوفست

٨- ابن خرداذابة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله(ت: ٢٨٠هـ)

- المسالك والممالك، ليدن، بريل، ١٨٨٩م، دار صادر، بيروت، لبنان.

٩- ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن علي بن محمد(ت:٩٤٤هـ)

- نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، تحقيق: أحمد راتب عموش، ط١، ١٩٩٢م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

١٠- الرازي، أبو العباس أحمد بن عبد الله(ت: ٤٦٠هـ)

- ،تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ط٢، ١٩٨٩، دار الفكر، دمشق.

ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر(ت: نحو ٣٠٠هـ)

- الاعلاق النفيسة، ليدن، نشد دي غوي، ١٨٩٣م .

١١- زبارة، محمد بن أحمد

– نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر الهجري، مركز البحوث والدراسات اليمني، دار العودة، بيروت، لبنان، د. ت .

١٢– الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي(ت: ١٢٥٠هـ)

– البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ط١، ١٩٩٨م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

١٣– الشهاري، علي بن عبد الله بن القاسم(ت: بعد ١١٧٦هـ)

= وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الجليلة، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٣، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء .

١٤– الصايدي، أحمد قائد(الدكتور)

– المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ط١، ١٩٩٠م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

– اليمن في عيون الرحالة الأجانب، ط١، ٢٠١١م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء .

١٥– الصفواني، رياض محمد

– مواقف العلماء اليمنيين من سياسة أئمة الدولة القاسمية، دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر، د.ت .

١٦– العمري، حسين عبد الله

– تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل على الله إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين، ط٢، ٢٠٠١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

١٧– الكبسي، محمد بن إسماعيل

– اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٠م .

١٨– لاروك، جان دي

– أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة(١٧٠٨– ١٧١٠م و ١٧١١–١٧١٣م) ، ترجمة: منير عربش، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م .

٢٠– ابن المجاور، أبو الفرج نجم الدين يوسف بن يعقوب(٦٩٠هـ)

– صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، مراجعة وتحقيق: ممدوح حسن محمد، ١٩٩٦م، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة. .

٢١– مانزوني رينزو

– اليمن رحلة إلى صنعاء، ١٨٧٧– ١٨٧٨م، ، ترجمة : ماسيمو خير الله، ط١، ٢٠١١م، الصندوق الاجتماعي للتنمية صنعاء .

٢٢– مجدي الصالح

– رحلة الأسرار المدفونة، ط١، ٢٠١٩، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، برلين ألمانيا .

٢٣– مجهول

– حوليات يمانية، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩١م، دار الحكمة اليمانية، صنعاء

٢٤– مجهول

– صفحات مجهولة من تاريخ اليمن وقانون صنعاء، تحقيق القاضي: حسين أحمد السياغي، ط٢، ٢٠٠٨م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء .

٢٥– مجهول

– كتاب في رحالات الغربيين إلى بلاد اليمن(دراسات ومختارات)، جمع وتحقيق: أ.د حميد العواضي، ود عبد الغني الحاجي، ترجمة: منير عربش، ط١، ٢٠٢٢م، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم، صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء .

٢٦– هاليفي، جوزيف

– رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، (رؤيا اليمن حييم حبشوش، ترجمة : سامية نعيم صنبر) (تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن قدمه جوزيف هاليفي)، ترجمة : منير عربش، ط١، ١٩٩٢م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ..

٢٧– الواسعي، عبد الواسع بن يحيى

– تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط٢، ١٩٩١م، مكتبة اليمن الكبرى .

جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

مبادئ الشورى عند المرأة – قصة بلقيس نموذجا

أ.قمر طويرد حبريش كلشات

باحثة دكتوراه – قسم الدراسات الاسلامية– كلية الآداب – جامعة المهرة

الملخص

4

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يتناول هذا البحث موضع استشارة النساء، والأخذ بمشورتهن في ضوء القرآن الكريم دراسةً موضوعية، ويهدف إلى ذكر صورٍ حسنةٍ ونماذج مشرقة من حسن معاملة الرجال للنساء في عصور مختلفة، ومن ذلك استشارة الرجال للنساء وقبول مشورتهن، والأخذ برأيهن في شتى أمور الحياة المختلفة، كما يهدف إلى إبراز دور ومكانة النساء في المجتمع.

وقد سلكت الباحثة المنهج الوصفي الاستقرائي؛ وقسمت البحث إلى مقدمة، وأربعة مباحث، كل مبحث يضم ثلاثة مطالب أو أربعة، وخاتمة، وفهرس، فأما المبحث الأول: فتحدثت فيه عن مفهوم الشورى ومشروعيتها وأهميتها، وأما المبحث الثاني: عن قصة بلقيس والحالة الاجتماعية والسياسية للملكة، وأما المبحث الثالث: فتحدثت فيه عن دور المرأة في ممارسة الشورى على الفرد والمجتمع، والدولة، وأما المبحث الأخير: فتناولت مجلس شورى مملكة سبأ؛ ثم ختمت البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، ومنها: إن الناظر إلى مبدأ الشورى والمقصد منه يجد أنه ضرورة شرعية لا غنى للأمة عنها، عزز الإسلام مبدأ الشورى، فأمر به وحث عليه وجعله من صفات أهل الإيمان، أهمية استشارة النساء وخاصةً إذا كانت المرأة معروفة بالحكمة في التدبير وسداد الرأي ونور البصيرة، فكم من النساء يزن بعقولهن كثيراً من عقول الرجال، ومن التوصيات: عرض مثل هذه الشخصيات للأطفال للتأثير في بناء شخصية الطفل، تزويد المكتبة الإسلامية بهذه الدراسات التي تتناول شخصيات نموذجية لإثراء المكتبة العلمية بها.

الكلمات المفتاحية : الشورى، المرأة، بلقيس.

Woman Shura Principles: The Story of Queen Bilqis as a Model

Qamar Tweerid Hebreesh Kelshat, PhD Research Scholar, Department of Islamic Studies,
Faculty of Arts, Mahrah University

Abstract:

All praise is due to Allah alone, and peace and blessings be upon our Prophet Muhammad and upon his family and companions. This study discusses the theme of women's consultation (shura) in the light of Holy Qur'an. It aims to present a positive and honorable images of women's treatment in different eras highlighting woman's role in practicing consultation, its impact on decision-making and their position and role in society.

The research follows the descriptive–inductive method. It consists of an introduction and four main sections. Each section includes three or four subtopics, followed by a conclusion that summarizes the findings. The first section discusses the concept of shura and its validity and importance. The second section examines the story of Bilqees and her social and political circumstances as a queen. The third section explores the women's role in practicing shura on individuals, society, and governance. The fourth section deals with the deliberations of Bilqees's council.

The study concludes with several results and recommendations, among them: The Qur'an presented shura as a necessary principle for society. The importance of women's consultation—especially when guided by wisdom and reason, and that women can possess insight equal to men. The study recommends presenting female models to children to positively influence their personalities and enriching Islamic culture by showcasing female figures who embody the principles of shura.

Keywords: Shura (consultation), woman, Bilqees.

المقدمة:

الحمد لله الخالق البارئ المصوّر، وأفضل صلاةٍ وأتمّ تسليم على خاتم الأنبياء الذي أستشار الرجال والنساء، وعلى صحابته الغر الميامين.

فقد حظيت الشورى في الإسلام بمكانة، عالية ومنزلة رفيعة، فجعلها القرآن الكريم عنصراً مهماً، من العناصر التي تقوم على أساسها الدولة الإسلامية، بل أصلاً من أصول الحكم في الإسلام، ففيه سورة تسمى بسورة الشورى، وسميت بهذا الاسم لبيان أهمية الشورى، وحال المسلمين على اتخاذها سبيلاً ومنهجاً في حياتهم العامة والخاصة، لما لها من عظيم الأثر في حياة الأفراد والمجتمعات.

وللمرأة دور فعال في تطبيق مبدأ الشورى عبر التاريخ، فيعتقد البعض أن ما مرت به المرأة في العصور السابقة من الذل والعار وقع على جميع النساء، وهذا ليس على إطلاقه، فهناك نماذج مشرفة وصوراً حسنة من حسن معاملة الرجال للنساء في الأمم السابقة، وقبول مشورتهن والأخذ برأيهن، فمن هنا وقع الاختيار على هذا الموضوع (مبادئ الشورى عند المرأة – قصة بلقيس نموذجاً)، أسأل الله أن أوفق فيه.

مشكلة البحث:

ماهي مبادئ الشورى عند المرأة، وما مدى تطبيق بلقيس للشورى في قصتها؟

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من خلال الآتي:

تعلقه بمبدأ مهم جدا في حياة الفرد والمجتمع.

مدى تطبيق المرأة لمبدأ الشورى.

الوقوف على قصة بلقيس والتمعن في مبدأ تطبيقها للشورى في حكمها.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى تحقيق ما يأتي:

بيان أهمية مبدأ الشورى وتأثيره على الفرد والمجتمع.

إبراز دور المرأة في تطبيق مبدأ الشورى.

تقديم نماذج مشرفة من تطبيق مبدأ الشورى مع المرأة، من خلال متابعة قصة بلقيس.

أسباب اختيار الموضوع:

إبراز مبدأ الشورى في القرآن الكريم.

إظهار أن الشورى ليست حكرا على الرجال دون النساء.

الاستفادة من التجربة القرآنية في تطبيق مبدأ الشورى.

رغبتي في خدمة هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

تعددت المؤلفات والدراسات العلمية قديماً وحديثاً، حول الشورى ودور المرأة في تطبيقها عبر التاريخ، وقد وقفت الباحثة على ثلاث دراسات استفادت منها في بحثها، وهي:

الشورى في ضوء القرآن والسنة، تأليف: أ.د. حسن ضياء الدين محمد، (ط١)، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، استفادت منه الباحثة في المبحث الأول، واختلفت هذه الدراسة أن اختصت بتطبيق المرأة للشورى، وتقديم قصة بلقيس نموذجاً.

المرأة والشورى في عصر صدر الإسلام: الباحث د. إبراهيم بن علي الربعي، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد (٣٧)، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م، استفادت الباحثة منه في المبحث

الثالث، واختلفت هذه الدراسة عنه أنها تناولت المرأة والشورى وقصة بلقيس نموذجا، أما د. إبراهيم أختص بصدر الإسلام فقط.

استشارة النساء والأخذ بمشورتهن في ضوء القرآن الكريم: د. عبد الله بن عبد العزيز العبيد، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، العدد (٢٠٠)، ج١، استفادت الباحثة كثيراً من الدراسة كونها تناولت الموضوع نفسه، إلا أن دراسة د. عبد الله حدودها ما ذكر في القرآن الكريم، وهذه الدراسة تناولت الشورى في قصة بلقيس.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة في إعداد البحث المنهج الوصفي الاستقرائي، من خلال تتبع الآيات وكتب التفاسير منها (أحكام القرآن: للجصاص، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، صفوة التفاسير: للصابوني وغيرها) للوقوف على دور المرأة في تطبيق مبدأ الشورى في قصة بلقيس.

منهجية الباحثة:

عزو الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية مع مراعاة الرسم العثماني.

تخريج الأحاديث النبوية وتوثيقها، مع الاكتفاء بذكر مصدر واحد.

توثيق النصوص والآراء المنقولة من العلماء بذكر مصادرها.

ترتيب المصادر والمراجع في الفهرس حسب الترتيب الهجائي، بإستثناء الروابط فهي مؤخراً.

النماذج المذكورة في البحث على سبيل الاستشهاد وليس الحصر.

مخطط البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد، ثلاثة مباحث، وخاتمة، فضلا عن قائمة المصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها في البحث.

المبحث الأول: مفهوم الشورى ومشروعيتها وأهميتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الشورى

المطلب الثاني: مشروعية الشورى

المطلب الثالث: أهمية الشورى

المبحث الثاني: قصة بلقيس (زمنها، ونسبه، وقصتها كما وردت في القرآن الكريم)، الحالة الاجتماعية والسياسية للملكة بلقيس، وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قصة الملكة بلقيس.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية عند الملكة بلقيس.

المطلب الثالث: الحالة السياسية عند الملكة بلقيس.

المبحث الثالث: دور المرأة في تطبيق مبدأ الشورى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور المرأة في ممارسة الشورى على الفرد.

المطلب الثاني: دور المرأة في ممارسة الشورى على المجتمع.

المطلب الثالث: دور المرأة في ممارسة الشورى في الدولة.

المبحث الرابع: تطبيق مبدأ الشورى عند بلقيس، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دعوة لعقد اجتماع مجلس الشورى

المطلب الثاني: انعقاد مجلس الشورى:

المطلب الثالث: مخرجات اجتماع مجلس الشورى

المطلب الرابع: تحليل الاجتماع

خاتمـة البحث: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم الشورى وأهميتها

وفيه ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول

مفهوم الشورى

أولاً: الشورى لغةً:

عند الرجوع إلى معاجم اللغة العربية والبحث عن مادة الشورى، نجد أنها تتكون من ثلاثة أحرف (الشين، الواو، الراء)، وأشار عليه بكذا: أمره به، ويقال أشار إليه باليد: أومأ، والشوار: متاع البيت، والشَارَةُ: اللباس والهيئة، وشُرْتُ الدابة: عرضتها للبيع، أقبلت بها وأدبرت، (وهي الشورى)، وأشار يشير، إذا ما وجه الرأي(١).

ثانيًا: الشورى اصطلاحا:

هي طلب الرأي من أهله، وإحالة النظر فيه، وصولاً إلى الرأي الموافق للصواب. وقد عرفها الباحثون بتعاريف عدة، منها تعريف الشورى (من شار يشور شورا إذا عرض الأمر على الخيرة، حتى يعلم المراد منه)(٢).

وقيل هي: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض(٣)، والشورى الأمر الذي يتشاور فيه، ومن هذا المعنى يطلق على الموضع الذي تم فيه التشاور: مجلس الشورى(٤).

---

(١) انظر: الصحاح: الجوهري، مادة (شور)، (٧٠٤/٢)، لسان العرب: ابن منظور، مادة (شور)، (٤٣٤٣/٤)، تاج العروس: محمد الحسيني الزبيدي، مادة (شور)، (٢٥٧/١٢).

(٢) أحكام القرآن: القاضي محمد بن العربي، (٩١/٤).

(٣) روح المعاني: أبو المعالي، (٤٦/٢٥).

(٤) فتح الباري، ابن حجر، (٣٤٢/١٣).

هي الإشارة بالآراء ومداولتها، للوصول إلى الأصلح في أمر من الأمور(١).

هذه التعاريف وغيرها، تدور حول استنباط الرأي واستخراجه من أجل تحقيق هذه الغاية التي تحقق للأمة المؤمنة ما ينصلح به حالها ويستقيم به نظام الفرد والمجتمع والدولة، فالشورى ليست إلا جزءًا من منهاج الله الذي لا تستقيم أمور الناس بدونه، والذي جاء ليعالج واقع الإنسانية في شتى مجالات الحياة، وبممارسة الشورى يكون الإنسان قد أدى مسؤوليته وأمانته التي يحاسب عليها في الدنيا والآخرة، ومن العلماء من يرى أن الشورى تكون عامة في كل رأي والمشورة تكون خاصة في الرأي الملزم.

المطلب الثاني

مشروعية الشورى

ثبتت مشروعية الشورى بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة، فلا خلاف في حجيتها، في:

أولاً/ القرآن الكريم:

وردت آيات صريحة ذكرت فيهما الشورى باعتبارها أمراً في أحدهما، وباعتبارها وصفاً يمدح به فاعلوه –المتصفون به– في الثانية.

ففي الآية الأولى يخاطب القرآن رسول الله ﷺ فيقول: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [سورة آل عمران:١٥٩]، فالآية خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ يأمره أن يشاور أصحابه، مع أنه مؤيَّد بالوحي، مما يدل على أهمية مبدأ الشورى في تدبير شؤون الأمة.

(٥) النظام السياسي في الإسلام: سليمان بن قاسم العيد، (١٨٥).

أما الآية الثانية فقد جاءت في معرض بيان صفة المسلمين، ومدح من عمل بالشورى في جميع أموره قال تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } [سورة الشورى:٣٨]، وتشير الآية إلى أدب الشورى، فقبلها أمر بالعفو واللين، وبعدها أمر بالتوكل بعد اتخاذ القرار، وهو توازن بين المشاركة والحسم.

ثانياً/ السنة النبوية:

كان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ(١).

وهذا الحديث له دلالات عظيمة جدًا على منهج النبي ﷺ في القيادة والإدارة، أن النبي ﷺ — مع كمال عقله ووحيه من ربه — لم يكن يستبدّ برأيه، بل كان يحرص على إشراك أصحابه في الرأي والمشورة، وهذا ليس ضعفًا في القائد، بل دليل على حكمته وتواضعه وبعد نظره. وقد استشار الرسول ﷺ أصحابه في مواطن كثيرة في كتب السيرة النبوية تناولت ذلك بإسهاب.

ثالثاً/ الإجماع:

الإجماع هو: اتفاق علماء الأمة أو أهل الحل والعقد على حكم شرعي بعد وفاة النبي ﷺ، وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على مشروعية الشورى، فساروا على نهج الرسول ﷺ في الشورى، وأحداث السقيفة أول ممارسة للشورى بعد وفاة النبي ﷺ وقد صارت الشورى سمة واضحة لنظام الحكم في جميع عهود الخلفاء الراشدين، بل أن أبو بكر الصديق لا يكاد يبرم أمرا إلا بعد التشاور، وعمر بن الخطاب أنشأ مجلسًا للشورى، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما كانا يسيران على نفس النهج، فكانا يشاوران أهل

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، ح(١٨٩٢٨).

العلم والرأي في قضايا الدولة، وإجماع الأمة بعدهم استقرّ في الأمة الإسلامية أن الشورى مبدأ أساسي من مبادئ الحكم والإدارة، وأجمع العلماء على مشروعيتها وكونها من محاسن الشريعة.

المطلب الثالث

أهمية الشورى

وقد وردت أقوال على ألسنة العلماء والفقهاء والحكماء المسلمين تنبه إلى أهمية الشورى فمنها:

الشورى أصل الدين، وسنة الله في العالمين، كما ذكر أن الشورى ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا(١).

وقد مدح الله المشاور في الأمور، ومدح القوم الذين يمتثلون ذلك، وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الأمور المتعلقة بمصالح الحروب، وذلك في الآثار كثير.

لم يشاورهم ﷺ في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض، والندب، والمكروه، والمباح، والحرام. فأما الصحابة بعد استئثار الله به علينا فكانوا يتشاورون في الأحكام، ويستنبطونه من الكتاب والسنة؛ وإن أول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة، فإن النبي ﷺ لم ينص عليها ولكن كانت في معاملاتهم، تشاوروا في أمر الردة، فاستقر رأي أبي بكر على القتال، وتشاوروا في الجد وميراثه، وفي حد الخمر وعدده على الوجوه المذكورة في كتب الفقه(٢).

---

(٢) أحكام القرآن: ابن عربي، (٤/٩١).

(٣) المرجع السابق.

وقد أثر عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: لا خير في أمر أبرم من غير مشورة ولهذا يقال: الخطأ مع المشورة أصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد(١).

ومما ذكر في الحث على الشورى: أكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ من أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكم، وأكثر من مجالسة العلماء ومشاورتُهم ومخالطتهم، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها، وإيثار مكارم الأخلاق ومعاليها، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً فيك لم تمنعه هيبتك عن إنهاء ذلك إليك في سرك وإعلانك بما فيه النقص، فإن أولئك أولياؤك ومظاهرون لك(٢). وغيرها من الأقوال التي تدل على أهمية الشورى.

المبحث الثاني

قصة بلقيس (زمنها، ونسبه، وقصتها كما وردت في القرآن الكريم)، الحالة الاجتماعية والسياسية للملكة بلقيس:

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

قصة الملكة بلقيس

أولاً/ نسبها: ملِكة من أشهر الملِكات على مر التاريخ، سجَّل لها القرآنُ الكريم رحلتَها مع قومها من الكفر والضلالِ إلى الإيمان والهدى، ورَد ذِكرها في سورة النمل في قوله تعالى على لسان الهدهد: { جَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

(٤) الشورى في الشريعة الإسلامية: القاضي حسين المهدي، (١٣).

(٥) مقدمة ابن خلدون، (٣١٠).

أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ،أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} [سورة النمل:٢٤-٢٥].

وهي بلقيس بنت هداد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش(١) كان أبوها ملكاً لأرض اليمن كلها، وبعد وفاته جعل الملك لها، كانت أمها من الجن، وقد ملكت بلقيس سبأ وكانت من أفضل الناس في زمانها وأعقلهم وأحزمهم.

ثانياً: قصتها كما وردت في القرآن الكريم:

تناولت الباحثة في هذا المطلب قصة الملكة بلقيس التي كانت نموذجا في هذا البحث، وهي شخصية تاريخية بارزة تعود إلى القرن العاشر قبل الميلادي(٢) ، وسبب مراسلة سليمان لها فيما ذكر أنه فقد الهدهد يوما في مسير كان يسيره واحتاج إلى الماء، فقال سليمان علي بالهدهد فلم يوجده، فغضب سليمان فقال: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } [سورة النمل:٢٠-٢١]،هناك ثلاث احتمالات وضعها سليمان عليه السلام لمصير الهدهد:

- لأعذبنه عذاباً شديداً.
- أو لأذبحنه.
- أو ليأتيني بسلطان مبين.

أفلح الهدهد في النجاة من الاحتمالين الأول والثاني، محتميا بالاحتمال الثالث مقدما (سلطانا مبينا) يعتذر به عن غيابه. فقال مخاطبا نبي الله سليمان: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ

(١) المعارف: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، (٦٢٨/١).

(٢) بلقيس، ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki.

شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ } [سورة النمل:٢٢-٢٤]، هذا هو السلطان المبين الذي أكره الهدهد على الغياب عن موعد نبي الله سليمان، أما المرأة التي وصفها الهدهد بأنها «تملكهم وأوتيت من كل شئ»، فهي الملكة بلقيس التي أسرع الهدهد عائدا إلى مملكتها سبأ حاملا رسالة من النبي سليمان يدعوها وقومها إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الشمس.

قال تعالى: {اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ،قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ،إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ،قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ،قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ،قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ،وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ،فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ،ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ،قَالَ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ،قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ، قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ، قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ،فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ،قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [سورة النمل:٢٨- ٤٤].

فكان من أمرها وأمر سليمان عليه السلام ما قصه الله عز وجل علينا في كتابه ويقال إن سليمان تزوجها فولدت له داود بن سليمان ومات في حياة أبيه، وإن مدة سليمان كانت في ملكه أربعين سنة ويقال أربعا وعشرين سنة، وماتت بلقيس بعده بمدة يسيرة(١).

(١) انظر: المرجع السابق، تاريخ الأمم والملوك: الطبري، (٢٨٩/١).

هذه قصة الملكة بلقيس التي كانت نموذجا في هذا البحث والشاهد في الآية أن الملكة جمعت حاشيتها، وقادة جيشها، وكررت طلب المشورة منهم، وقالت: أشيروا عليّ، وشاركوني في الرأي فيما نزل، فليس من شأني أن أحسم الأمور وأبدي الرأي فيها قبل مشورتكم، وهذا ماتناوله البحث في المبحث الثالث، ومثل هذا السير واستشارة الحاكم لأهل الحل والعقد في أمور مملكته، أمر حكيم، حث عليه الإسلام وأمر به القرآن، قال تعالى: { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } [سورة الشورى:٣٨]، وقوله أيضاً: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ } [سورة آل عمران:١٥٩].

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعية للملكة بلقيس(١)

الملكة بلقيس، المعروفة أيضًا بملكة سبأ، كانت شخصية بارزة في التاريخ القديم، وتمثل رمزًا للمرأة القوية والحكيمة. تعكس حالتها الاجتماعية العديد من الجوانب التي تميزت بها في زمنها.

أولاً: الأسرة: كما وضحنا في المطلب الأول يُعتقد أن بلقيس كانت ابنة الهدهاد بن شرحبيل، وقد ورثت الحكم عن والدها بعد وفاته، حيث لم يُرزق بأبناء ذكر وهذا يعكس تقبل المجتمع لفكرة حكم المرأة في تلك الفترة، رغم التحديات التي واجهتها.

الأبناء: يُقال إن بلقيس أنجبت ابنًا من الملك سليمان يُدعى "رجبعم"، مما يعكس الروابط الأسرية التي كانت تُشكل جزءًا من السياسة في ذلك الوقت.

(٢) انظر: بلقيس، ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki ، بلقيس ما بين الحقيقة والأسطورة https://www.al-jazirah.com/2017/20170828/wo2.htm ، [JINHAGENCY | بلقيس ملكة سبأ مجداً لا تطمس معالمه958-mlkt-sba-mjdaa-la-ttms-malmh (https://jinhaagency.com/ar/alqaymt-alywmyt/blqys

ثانياً: الدور الاجتماعي يتمثل في القيادة النسائية: كانت بلقيس واحدة من القلائل من النساء اللاتي تولين الحكم في التاريخ القديم، مما جعلها رمزًا للقيادة النسائية. استطاعت أن تثبت كفاءتها في إدارة شؤون المملكة، مما ساهم في تعزيز مكانتها الاجتماعية.

ثالثاً:التفاعل مع المجتمع: كانت بلقيس معروفة بحكمتها وذكائها، وقد تفاعلت مع شعبها بشكل إيجابي، مما ساعد على تعزيز ولاء الناس لها. وقصتها مع سليمان تُظهر كيف أنها كانت تسعى لتحقيق مصلحة مملكتها وشعبها، على الرغم من نجاحها، واجهت بلقيس تحديات من بعض أفراد مجتمعها الذين استنكروا فكرة أن تحكم امرأة. ومع ذلك، استطاعت أن تكسب احترامهم من خلال حكمتها وقراراتها.

رابعاً:الأساطير والتقاليد: تظل قصتها محاطة بالأساطير، هناك روايات تشير إلى أن بلقيس كانت ابنة ملك الجن، مما يعزز فكرة أنها شخصية أسطورية أكثر من كونها تاريخية، كما تُروى العديد من الأساطير حول ولادة بلقيس ونشأتها، حيث يُقال إن والدها كان هدهدًا، وهذا مارجحناه كونه تداول كثيرا في كتب التاريخ، وأن والدتها كانت من الجن، مما يضيف بعدًا أسطوريًا إلى شخصيتها، أيضاً ذكر أن بلقيس كانت تتمتع بخصائص غريبة، مثل وجود أرجل تشبه أرجل الحيوانات، وهو ما يُعتبر جزءًا من الأساطير التي تحيط بها، فبلقيس تُعتبر رمزًا للمرأة التي استطاعت تجاوز القيود الاجتماعية.

تعتبر الملكة بلقيس مثالًا على القوة والذكاء في القيادة النسائية. حالتها الاجتماعية تعكس التحديات والنجاحات التي واجهتها، مما يجعلها شخصية محورية في التاريخ القديم. قصتها تظل مصدر إلهام للعديد من النساء في مختلف الثقافات.

المطلب الثالث

الحالة السياسية للملكة بلقيس(١)

الملكة بلقيس، المعروفة أيضًا بملكة سبأ، كانت شخصية بارزة في التاريخ القديم، حيث حكمت مملكة سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد. تعكس الحالة السياسية في زمنها العديد من الجوانب المهمة التي ساهمت في تشكيل مملكة قوية ومزدهرة.

أولاً/ الهيكل السياسي لمملكة سبأ يتمثل في الحكم المركزي: كانت مملكة سبأ تتمتع بنظام حكم مركزي قوي، حيث كانت الملكة بلقيس تمثل السلطة العليا، ولديها مجلس شورى يختلف عدده (١٠٠٠أو ١٢٠٠٠ قيل وهو الملك دون الملك الأعظم)(٢) حسب ما روي في كتب التاريخ.

ثانياً/ الاستقرار السياسي: تحت حكم بلقيس، كانت مملكة سبأ تتمتع بفترة من الاستقرار السياسي، مما ساعد على تعزيز التجارة والازدهار الاقتصادي. كانت المملكة معروفة بثرائها، حيث كانت تسيطر على طرق التجارة الحيوية.

ثالثاً/ العلاقات الخارجية تتمثل في التجارة والدبلوماسية: حيث كانت مملكة سبأ مركزًا تجاريًا مهمًا، حيث أقامت علاقات تجارية مع العديد من الحضارات القديمة مثل مصر وفارس. يُظهر ذلك قدرة بلقيس على إدارة العلاقات الخارجية بفعالية، مما ساهم في تعزيز مكانة المملكة.

---

(١) انظر: بلقيس، ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki ، الملكة بلقيس: الحاكمة الأسطورية لليمن وأثرها التاريخي – صحيفة الجامعة https://qau.edu.ye/journal/19485 .

(٢) وقيل كان معها ألف قيل. وقيل : اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف. والقيل الملك دون الملك الأعظم، **وقول آخر** أن مشورتها ثلاث مائة واثني عشر كلّ رجل منهم على عشرة آلاف، انظر: جامع البيان: الطبري، (٤٥٢/١٩)، **الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (١٩٤/١٣).**

زيارة الملك سليمان: تعتبر زيارة بلقيس للملك سليمان واحدة من أبرز الأحداث السياسية في زمنها، جاءت بلقيس إلى سليمان بعد أن سمعت عن حكمته، وجلبت معها هدايا ثمينة. هذه الزيارة تعكس مستوى عالٍ من الدبلوماسية والتبادل الثقافي بين المملكتين.

رابعاً/ التحديات السياسية تتمثل المنافسات الإقليمية: على الرغم من الاستقرار، كانت مملكة سبأ تواجه تحديات من ممالك أخرى في المنطقة. كانت هناك منافسات على الموارد والطرق التجارية، مما يتطلب من بلقيس اتخاذ قرارات سياسية حكيمة للحفاظ على سيادة مملكتها.

تعتبر الملكة بلقيس مثالًا على القيادة الحكيمة في زمنها، حيث تمكنت من الحفاظ على استقرار مملكة سبأ وتعزيز مكانتها في العالم القديم من خلال الدبلوماسية والتجارة. قصتها تظل محط اهتمام الباحثين، وتسلط الضوء على دور المرأة في التاريخ السياسي.

المبحث الثالث

دور المرأة في تطبيق مبدأ الشورى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

دور المرأة في ممارسة الشورى على الفرد

من القواعد الأساسية في الشريعة الإسلامية الحق في الشورى لكل أفراد المجتمع الإسلامي، انطلاقاً من قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } [سورة الشورى:٣٨]، وقوله تعالى في آية أخرى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [سورة آل عمران:١٥٩]، ومن هنا كان من الحقوق المهمة التي ينبغي على الرجل أن يعيها قبل المرأة حقها في أن يكون لها رأي وموقف وقرار في مختلف شؤون الحياة، خاصة شؤون منزلها وأطفالها، لأن الاستبداد بالرأي وعدم استشارة المرأة في مختلف الأمور يشعرها بالظلم، وهو شعور قد يؤدي بها إلى عدم الثقة بنفسها، وأبرز مظاهر غياب الشورى من البيت غياب الحوار الأسرى، أي أن التواصل بين الوالدين وأبنائهما يقوم غالباً على الأوامر والنواهي فقط، دون إحلال الحوار والتفاهم والمشاركة وإبداء الرأي بينهما، وهذه آفة خطيرة تجعل الحياة مملة وصعبة، كما تؤدي إلى التمرد الضار أو التعود على الاستسلام المخزي، وانطلاقاً من أهمية هذا الحق ينبغي ضرورة التأكيد عليه، لأن غيابه قد يؤدي إلى نتائج عكسية، سواء في نفسية المرأة أو في عواطفها، التي قد تتقلص أو تنقلب، أو في مستوى أدائها لرسالتها ووظائفها الأسرية والاجتماعية..

وإذا كانت المرأة مطالبة بمعرفة حقوقها التي سبق عرضها، فمن باب أولى أن تعرف واجباتها وتلتزم بها وتؤديها، حق أدائها، سواء كانت تجاه زوجها أو أسرتها أو مجتمعها، ومن ألزم واجباتها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في نطاق ما تسمح به إمكاناتها وعلاقاتها، وضمن إخلاص النية لله، والاغتراف من نوره والاهتداء بهدي قرآنه وسنة رسوله ﷺ، دون الجنوح إلى القسوة أو التعالي، يقول الله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً} [سورة الفتح:٢٩]، وربما كان اتخاذها من نفسها نموذجاً لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة أبلغ تأثير من كثير من الكلام، ولا شك أن أي إنسان يؤثر في غيره بمقدار صدقه وإخلاصه وتقواه وصلاحه، أي بمدى تخلقه بما يدعو إليه ولكننا نعلم أن الإسلام هو التخلق بأخلاق القرآن، والعمل ما أمكن في جعله يمشي بين الناس، اقتداء بقدوتنا رسول الله ﷺ.

فمن التطبيقات على دور المرأة على الفرد نذكر منها:

آسية بنت مزاحم ﷺ حيث أشارت على فرعون عليه اللعنة، في عدم قتل موسى عليه السلام (١) فقالت: { وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } [سورة القصص:٩].

مشورة أخت موسى لبيت فرعون، لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون، وأحبته امرأة فرعون واستوهبته من فرعون فوهبه لها، فعرضوا عليه المراضع التي في دارهم، فلم يقبل منها؛ لأن الله عز وجل قد حرم عليه المراضع من قبل أن يرده إلى أمه، ليكون مآله إليها فترضعه، أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع موسى عليه السلام من اللبن فيموت فأحزنها ذلك،

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن: **البغوي**، (١٩٣/٦).

فأمرت أن يخرجوا به لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، وتأهب بيت فرعون لقبول أي مشورة ورأي يشير به، وهم على تلك الحال حائرين فيمن يرضعه انتهزت هذه الفرصة بحكمة وذكاء فعرضت مشورتها على بيت فرعون دون أن يشعر أحد أنها أخته(١) قالت لهم: { وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ } [سورة القصص:١٢] أي: يضمنون لكم القيام به وإرضاعه، مشفقون عليه لا يقصرون في إرضاعه وتربيته، فلما قالت لهم أخته تلك المقالة، المشتملة على الترغيب في أهل هذا البيت، فأعلمتهم ودلتهم على أهل هذا البيت(٢)، بادروا إلى إجابتها، قال تعالى:{ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} [سورة طه:٤٠].

- ابنة شعيب عليه السلام: حيث أشارت إلي أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام(٣) فقالت: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } [سورة القصص:٢٦].
- أبدت المرأة رأيها ومشورتها عند أعظم حدث في التاريخ البشري كله: حدث نزول الوحي على النبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ. فقد كانت خديجة بنت خويلد ﷺ أول من سمع بهذا الحدث، وأول من أبدى مشورته في هذا الموقف، فقد دخل النبي على خديجة وهو يرجف فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع وأخبرها الخبر، وقال: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي ، (١٩٥/٦)

(٢) المرجع نفسه، (٢٤٣/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٠٢/٦).

أبدا. إنك تصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.. ثم أشارت على النبي بأن يذهبا – معا – إلى ابن عمها ورقة بن نوفل لأخذ رأيه في الموضوع(١).

- فينبغي أن يسود الحياة الأسرية الاحترام المتبادل، والتشاور في شؤون حياتهما الأسرية من منطلق المصلحة، والله تعالى قد أرشد إلى مثل هذا التشاور، فالمشاورة تحقق مراتب المصالح كلّها: وهي مصالح العائلة، ومصالح القبيلة، أو البلد، ومصالح الأمَّة.
- فلا حرج في مراجعة المرأة زوجها في أمور البيت، أو إبدائها رأيها فيما ترى أنه خطأ، على أن يكون ذلك في حدود الأدب، وحفظ مكانته كزوج لها، وقد شاور النبي ﷺ بعض أهله فيما هو أعظم من أمور الدنيا، وأثاث البيت، شاورها في أمر يتعلق بالدين، والأمة، وأخذ برأيها فيه، فالرجل يشاور أمه، أو أي فرد من أفراد عائلته، إن اقتضت المصلحة ذلك، وكانوا ذوي عقل ورأي، ولكن لا يلزمه أن يعمل بما يرونه، فقد تكون المصلحة فيما يراه هو، أو فيما تراه زوجته، وأما الغضب والعصبية، وإفراد العضلات وتهميش الآراء قد يحدث بهما عكس المقصود.

(٤) دلائل النبوة: البيهقي، (٢/١٣٥).

المطلب الثاني

دور المرأة في ممارسة الشورى على المجتمع

الإسلام اهتم بالمرأة، ورفع مكانتها، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه. فالنظام الاجتماعي والعقائدي وعلاقة المرأة بالرجل وحقوقها وما لها وما عليها أمور رسمها الدين الإسلامي بعناية ودقة؛ لكي يعرف كل منهم كيف يمارس حياته في مجتمعه وكيف تتاح له الفرص في حدود لا يتجاوزها.. فالإسلام جاء مشرعاً للبشر دون استثناء، وساهم في تحرير الإنسان من العبودية والمفاضلة وامتهان حقوق المرأة تحت أي ظرف أو أي مسمى كما كان ذلك قبل الإسلام، فندرك أنه يحدد المسؤولية دون أي تمييز ويحدد الشروط الموضوعية التي تحكم المجتمع كله.. وتحكم الرجل والمرأة معاً.. قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [سورة التوبة:٧١]، والمرأة بصفة عامة لها من المزايا ما يشفع لها بوجوب احترامها وتقديرها، ولها الأفضلية في كثير من الأمور.. والقرآن الكريم والسنة النبوية تحدثا كثيراً عن مناقب المرأة وأهميتها في المجتمع. وفي هذه البلاد أُعطيت المرأة المسلمة كل حقوقها وخصوصياتها، وحافظت على كل ما يتعلق بها من أمور خاصة وعامة. وقد عنيت بلادنا بتعليم المرأة وفتح الجامعات وتعدد التخصصات من طب وتعليم، وحافظت على خصوصياتها، وأشركتها في معظم القطاعات الحكومية، وهيأت لها سبل العيش الرغيد والحياة الكريمة.. ولا يكون ذلك بتهميشها، وإنما إشراكها في الشورى مع مراعاة خصوصياتها، ووضع لها استقلالية كاملة، فلتهنأ المرأة بهذا المقام.

وهنا سندرج مجموعة من مواقف تطبيقية دور المرأة والشورى في المجتمع:

– مشاورة النبي ﷺ لأم سلمة يوم الحديبية، لما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح قال ﷺ «قوموا فانحروا، ثم احلقوا فو الله ما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فاشتد ذلك عليه، فدخل على أم سلمة فقال: " هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا»، عظيم مما أدخلت على نفسك من الشفقة في أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح، يا نبي الله! أخرج ولا تكلم أحدا، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك، فيحلقك – فجلى الله تعالى عن الناس بأم سلمة – فقام رسول اللهﷺ واضطبع بثوبه، فخرج فأخذ الحربة ويمم هديه وأهوى بالحربة إلى البدن رافعا صوته: " بسم الله.. الله أكبر " ونحر، فتواثب المسلمون إلى الهدى، وازدحموا عليه ينحرونه، حتى كاد بعضهم يقع على بعض(١)، فهنا أخذ الرسول ﷺ بمشورة أم سلمة.

والسيرة النبوية مليئة بالعديد من مواقف استشارة النبي ﷺ للنساء في مجالات شتى، كما سار الصحابة والتابعون رضي الله عنهم على نهج النبي ﷺ امتثالا لقوله تعالى: {**مم نر نز نم نن** ني ىٰ ير **يز يم** ين} [سورة الشورى:٣٨]، فكانوا يستشيرون ويأخذون بالمشورة من النساء في شتى أمور الحياة.

– وكانت زوجة(٢) عمر بن الخطاب مثال للمرأة التي عرفت حقها في الرأي والشورى ومارسته بشجاعة وثقة، قال عمر بن الخطاب ﷺ وهو من هو في المهابة: «بينما أنا في أمر أتأمره (أفكر فيه وأشاور نفسي) إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا. فقلت لها: ما لك

(١) **دلائل النبوة: البيهقي، (١٥٠/٤).**

(٢) تزوّج عُمر بن الخطاب –رضي الله عنه– سبع نساء في الجاهليّة والإسلام؛ بزينب بنت مظعون، مليكة بنت جرول، بقُريبة بنت أبي أميّة المخزوميّ، أم حكيم بنت الحارث بن هشام، جميلة بنت عاصم، عاتكة بنت زيد، و أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، ولم أقف على اسم صاحبة القصة.

ولما ها هنا، فيم تدخلك فيما لا يعنيك، وتدخلك في أمر أريده؟ فقالت: عجبا يا ابن الخطاب، ما تريد أن أراجعك، وابنتك تراجع رسول الله حتى يظل يومه غضبان؟!!»(١).

– وكان للشاعرة المشهورة الخنساء بنت عمرو السلمية رأي ومشورة ونصح في الحروب، فأبناؤها أخذوا برأيها ونصيحتها، ويقول أولهم:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

بمقالة ذات بيـان واضحة فباكروا الحرب الضروس الكاحلة

وإنما تلقون عند الصائحة من آل ساسان كلاباً نابحه

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم حمل الثاني وهو يقول

إن العجوز ذات حزم وجلد والنظر الأوفق والرأي السدد

قد أمرتنا بالسداد والرشد نصيحة منها وبرا بالولد

فباكروا الحرب كماة في العدد إما بفوز بارد على الكبد

أو ميتة تورثكم غنم الأبد في جنة الفردوس والعيش الرغد

ثم تقدم الثالث ثم الرابع حتى استشهدوا فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني معهم في مستقر رحمته(٢).

فكل هذه الروايات والأخبار المتقدمة تدل على عناية السلف الصالح باستشارة النساء، وأهمية الاستنارة برأيهن ومشورتهن وفق ما يتمتعن به من العلم والحكمة وحسن التدبري، وهذا دليل على تكريم الإسلام للنساء، فكانت النساء عندهم مثالاً لحسن التدبير، والرأي السديد، والمشورة الصائبة.

) صحيح مسلم، **كتاب الطلاق**، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى وإن تظاهرا عليه، ح(١٤٧٩).

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: بو الفتح العباسي، (١/ ٣٥٥).

المطلب الثالث

دور المرأة في ممارسة الشورى في الدولة

دور المرأة في التأثير في الدولة يعتبر دور حيوي ومهم في المجتمعات القديمة والحديثة يمكن تلخيص هذا الدور في عدة جوانب رئيسية:

أولا: المشاركة السياسية: تشارك المرأة في الحياة السياسية، سواء من خلال التصويت أو الترشح للمناصب، وتساهم النساء في تشكيل السياسات العامة واتخاذ القرارات في الدولة.

ثانياً: التعليم والتوعية: تعتبر المرأة ركيزة أساسية في التعليم. من خلال تعليمها وتثقيفها، تساهم في رفع مستوى الوعي حول القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الدولة.

ثالثاً: العمل الاجتماعي: تقوم النساء بدور فعال في منظمات المجتمع المدني، حيث يساهمن في تعزيز حقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية، والتنمية المستدامة.

رابعاً: الاقتصاد: تزايد دور المرأة في القوة العاملة يعزز الاقتصاد الوطني، من خلال العمل في مختلف المجالات، تساهم النساء في النمو الاقتصادي وتقليل الفقر، وهذا يظهر بشكل كبير في الزمن الحاضر.

خامساً: الصحة والرفاهية: تسهم المرأة في تعزيز الصحة العامة من خلال دورها كأم ومربية، مما يؤثر بشكل مباشر على رفاهية المجتمع.

إن تعزيز دور المرأة في جميع مجالات الحياة هو خطوة حيوية نحو تحقيق التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية، فيجب دعم المبادرات التي تعزز من مشاركة النساء في جميع القطاعات التي تناسبها، مما ينعكس إيجاباً على المجتمع ككل.

عُرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه من أوائل الخلفاء الذين اهتموا بتنظيم الدولة الإسلامية، ومن أبرز الأمور التي قام بها هو تعيين الشفاء بنت عبد الله العدوية كأول امرأة تتولى منصباً حكومياً في التاريخ الإسلامي، حيث عُينت كـ مُشرفة على السوق في المدينة المنورة.

دورها كان الإدارة والمراقبة على السوق من خلال تنظيم السوق ومراقبة الأسعار، وفرض النظام، مما ساعد في تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، التي نفتقدها الآن مع الغلاء الفاحش في الأسواق وغياب دور الغرف التجارية مما أدى إلى هذا التلاعب بالأسعار وغياب الضمير من بيع المواد المنتهية الصلاحية إلى المحرمة والمكروهة شرعاً.

كان دورها أيضا التوجيه والنصح: كانت تُعطي المشورة والنصائح للنساء في القضايا المتعلقة بالتجارة والأعمال، مما ساهم في تعزيز دورهن في النشاط الاقتصادي.

تُعتبر الشفاء رمزاً لتمكين المرأة في المجتمع الإسلامي، حيث أظهرت أن النساء يمكن أن يتولين مناصب قيادية ويشاركن بفاعلية في الحياة العامة.

فكان اختيار عمر بن الخطاب لها يعكس رؤية متقدمة في فهم دور المرأة في المجتمع ودعم حقوقها، مما ساهم في تغيير النظرة العامة للمرأة في ذلك الوقت، وغيرها من النماذج النسائية التي كان لها دور فعال في الدولة.

المبحث الثالث

تطبيق مبدأ الشورى عند بلقيس

وفيها أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول

دعوة لعقد اجتماع مجلس الشورى

أولاً: الدعوة للاجتماع: { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ}:

بعد تناول قصة الملكة بلقيس كنموذج لهذا البحث نقف على مواطن الشورى فيها، كما بينها القرآن الكريم، فقوله تعالى: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ) مفهوم الموافقة فيه، ألقى الهدهد الكتاب إليهم فسمعها وهي تقول: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ، فعندما وصل الهدهد إلى بلقيس وألقى إليها رسالة من نبي الله سليمان عليه السلام، دعت مجلس الشورى في مملكتها لاستشارتهم بأمر الكتاب، بقولها: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ }.

فقولها (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ):

دعت الملكة بلقيس مجلس شورى المملكة المكون من (١٠٠٠أو ١٢٠٠٠ قيل وهو الملك دون الملك الأعظم)(١) عضواً، لعقد اجتماع طارئ بهذه النازلة الكبرى كما ذكرها القرطبي(٢).

ثانياً: موضوع الاجتماع (كتاب كريم):

(١) وقيل كان معها ألف قيل. وقيل : اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف. والقيل الملك دون الملك الأعظم، **وقول آخر أن** مشورتها ثلاث مائة واثني عشر كلّ رجل منهم على عشرة آلاف، انظر: **جامع البيان: الطبري، (٤٥٢/١٩)، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (١٩٤/١٣).**

(٢) **المرجع السابق.**

مضمون الكتاب الكريم، كما في قوله تعالى: { إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } [سورة النمل:٣٠-٣١]

المرسل: النّبي سليمان عليه السلام.

ثم وصفت الكتاب بالكريم إما لأنه(١):

- من عند عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته إجلالا لسليمان عليه السلام.
- أو أنها أشارت إلى أنه مطبوع عليه بالخاتم، فكرامة الكتاب ختمه.
- أو توهمت أنه كتاب جاء من السماء إذ كان الموصل طيرا.
- وقيل: (كَرِيمٌ) حسن.
- وقيل: وصفته بذلك؛ لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله عز وجل، وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سبا ولا لعنا، ولا ما يغير النفس، ومن غير كلام نازل ولا مستغلق؛ على عادة الرسل في الدعاء إلى الله عز وجل.
- وقيل: لأنه كان مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم.

مواضيع الكتاب(٢):

مبدوء ببسم الله الرّحمن الرّحيم، وفي البسملة دلالة على إثبات وجود الله وتوحيده، وقدرته ورحمته.

فيه نهي عن التّرفع الذي يحجب وصول الحقّ إلى النفوس، ويصرف عن اتّباع الأهواء.

يأمر باعتناق الإسلام، والإسلام كلمة جامعة لأصول الفضيلة، ومعالم الدين، والإقرار بوجود الله وتوحيده.

(٣) **انظر :** جامع البيان: الطبري، (٤٥٢/١٩)، معالم التنزيل في تفسير القرآن: **البغوي، (١٥٩/٦)، الجامع لاحكام القرآن: القرطبي، (١٩١/١٣).**

(٤) التفسير الوسيط: وهبة الزحيلي، (١٨٧٤/٢).

الملكة بلقيس كانت نموذجاً للمرأة الصادقة المنصفة، ويبدو ذلك من خلال وصفِها لكتابِ سليمان عليه السلام بأنه: (كريم)؛ فهي لم تحاول طَمْسَ حقيقته، بل قالت ما يُرضي ضميرَها دون مواربةٍ أو محاباة(١).

المطلب الثاني

انعقاد اجتماع مجلس الشورى(٢)

{قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ }

كان بداية النقاش بقول الملكة: (يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي) الملأ هم: أشراف القوم وهم أعضاء مجلس الشورى في مملكتها(٣)، أخذت الملكة بلقيس في حسن الأدب مع قومها، فطلبت مشورتهم فيما عرضته، وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر يعرض بقولها: (مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ) أي قاضية وفاصلة في هذه النازلة الكبرى حتى تحضرون.

فراجعها الملأ بما يقر عينها، { قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ }، أولاً أعلموها أنهم أولوا قوة في القتال وبأس في الحرب واللقاء، يحكى أنه كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتد ضم فخذيه فحبسه بقوته، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك.

---

(٥) شبكة الألوكة: https://www.alukah.net/culture

(٢) انظر: جامع البيان: الطبري، (٤٥٣/١٩)، معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، (١٥٩/٦)، الجامع لاحكام القرآن: القرطبي، (١٩٤/١٣).

(٣) سبق الإشارة إليهم (١٠٠٠أو ١٢٠٠٠ قيل)

بعد أن عرض أعضاء المجلس رأيهم سلموا الأمر إلى نظرها؛ بقولهم: (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) أي والأمر إليكِ أيتها الملكة في القتال وتركه، ستجدينا لأمركِ مطيعين، وهذه محاورة حسنة من الجميع.

قالت بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال: { قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }، أهانوا شرفاؤها لتستقيم لهم الأمور، فصدق الله قولها، وهو قول بلقيس (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أي وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.

هنا ظهرت حكمة بلقيس بلجوئها إلى الشورى، رغم أنها كانت قادرة على التفرد بالرأي، فتعتبر قصة الملكة بلقيس درسًا في الدبلوماسية والحكمة السياسية. فهي تُظهر كيف يساهم الحوار والتفاهم في حل النزاعات وتعزيز التعاون بين الأمم.

يقول صاحب طبائع الاستبداد: (القرآن الكريم مشحونٌ بتعاليم إماتة الاستبداد وإحياء العدل والتّساوي حتّى في القصص منه؛ ومن جملتها قول بلقيس ملكة سبأ من عرب تُبَّع تخاطبُ أشراف قومها: **{ قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي.}**، فهذه القصة تُعلِّم كيف ينبغي أن يستشير الملوك الملأ؛ أي أشراف الرَّعية، وأن لا يقطعوا أمراً إلا برأيهم، وتشير إلى لزوم أن تُحفظ القوّة والبأس في يد الرّعية، وأن يخصص الملوك بالتّنفيذ فقط، وأن يكرموا بنسبة الأمر إليهم توقيراً، وتقبّح شأن الملوك المستبدين.)(١).

الملكة بلقيس لم تكن مجرد حاكمة قوية، بل كانت أيضًا دبلوماسية ماهرة، استطاعت التعامل مع مواقف معقدة بحكمة وبُعد نظر، علاوة على ذلك، تُعبر قصة بلقيس عن أهمية دور المرأة في المجتمع رغم الظروف والتحديات التي قد تواجهها، يمكن للمرأة أن تكون قائدًا

(١) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: السيد الفراتي، (٣٤).

قويًا وملهمًا. فبلقيس تُعد مثالًا للنساء اللواتي تركن بصمة واضحة في التاريخ، وأثبتن أن القوة والقيادة لا ينفرد بها الرجال فقط.

المطلب الثالث

مخرجات اجتماع مجلس الشورى(١)

{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ } [سورة النمل:٣٥]

قوله تعالى: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) هذا من حسن نظرها وتدبيرها؛ أي إني أجرب هذا الرجل بهدية –العطية على طريق الملاطفة– وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست، فقالت للملأ من قومها: إني مرسلة إليهم، أي: إلى سليمان وقومه، وأعطيه فيها نفائس من الأموال، وأغري عليه بأمور المملكة، فإن كان ملكا دنياويا أرضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبيا لم يرضه المال ولازمنا في أمر الدين، فينبغي لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينه، فبعثت إليه بهدية عظيمة أكثر الناس في تفصيلها، قوله تعالى: (فَنَاظِرَةٌ) أي منتظرة الرسل الذين أرسلتهم بالهدية لمشاهدته ومقابلته ثم أقرر ما يقتضيه المقام (بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ).

وكان رد سليمان للرسل في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ، ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ،قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [سورة النمل: ٣٦–٣٨].

(١) انظر: جامع البيان: الطبري، (٤٥٥/١٩)، معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، (١٦٠/٦)، الجامع لاحكام القرآن: القرطبي، (١٩٦/١٣).

وللقصة تفاصيل ولكنها تنتهي بقول بلقيس: {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [سورة النمل:٤٤] أي ظلمت نفسي في عبادتي الشمس، وسجودي لما دونك (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ) تقول: وانقدت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه.

كانت نموذجاً للمرأة التي فهِمت حقيقةَ الإسلام؛ فأدركت أنه ولاءٌ خالص لله تعالى، وليس مجردَ تعلُّق بالأشخاص، أو ربيب العادة والرُّوتين، وهذا ما بيَّنَتْه بلقيسُ عندما لبَّتْ نداءَ سليمان عليه السلام: (وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بأن قالت: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(١).

ملِكة سبأ قادت أُمَّة بأَسرِها إلى الإيمان والإسلام، عندما أقامت أسس الشريعة (الشورى والعدل) فكانت النتيجة أن خَلَّد القرآن الكريم ذكرها إلى يوم القيامة.

المطلب الرابع

تحليل الاجتماع

تحليل مجلس شورى بلقيس، ملكة سبأ، يمكن أن يتناول عدة جوانب تبرز دور هذا المجلس وأهميته في إدارة المملكة. إليك بعض العناصر الرئيسية للتحليل:

أولاً: مقومات الشورى في مجلس بلقيس:

تُعتبر بلقيس رمزًا للحكمة والقيادة الفعّالة في التاريخ فمن مقومات الشورى عند بلقيس حسب رأي الباحثة:

(٢) شبكة الألوكة: https://www.alukah.net/culture.

١- العدالة، وتتمثل في قولها {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ } [سورة النمل:٢٩]، فكانت بلقيس نموذجاً للمرأة الصادقة المنصفة، ويبدو ذلك من خلال وصفِها لكتابِ سليمان عليه السلام بأنه: (كريم)؛ فهي لم تحاول طَمْسَ حقيقته، بل قالت ما يُرضي ضميرَها دون محاباة.

٢- مهارة الاستماع ومناقشة الآراء، فبلقيس كانت تستمع إلى آراء مستشاريها وتُقيم المشاورات قبل اتخاذ القرارات، وكانت تُقدّر الآراء المتنوعة وتبحث عن الأفضل لمملكة سبأ، مما يعزز من مبدأ الشورى.

٣- الحكمة والتروي في اتخاذ القرار، قال تعالى على لسان بلقيس: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [سورة النمل:٣٥] فلم تتخذ القرار فورا بل أرسلت هدية لاختبار سليمان.

٤- التوازن بين الحكمة والقوة: بلقيس كانت توازن بين الحكمة في اتخاذ القرارات والقوة في تنفيذها، لكي تتكيف مع الظروف المتغيرة، مما جعلها قائدة حكيمة وفعّالة.

هذه من المقومات التي وقفت عليها الباحثة، تعكس مبدأ الشورى في القيادة وكيف يمكن أن تسهم في تحقيق العدالة والتوازن في الحكم.

ثانيا: عيوب الشورى عند الملكة بلقيس:

أظهرت بلقيس مهارة دبلوماسية عالية في تفاصيل حكمها، وتعاملها مع شعبها، وفي مدى تطبيقها لمبدأ الشورى إلا أنها في الموقف المذكور استفردت في نهاية الأمر برأيها وعلمها وحكمتها فقررت، وحسمت موضوع الذي تمت له المشورة وتناولت الباحثة الاجتماع بالنقاط التالية:

ضعف المشاركة الحقيقية في الرأي: بلقيس دعت قومها إلى المشورة بقولها: «أفتوني في أمري»، لكنّ ردهم لم يتضمّن رأيًا محددا واكتفوا بالقول: «نحن أولو قوة وأولو بأس شديد» أي نحن قادرون على القتال، ثم تركوا القرار لها بقولهم: «والأمر إليك»..

تغليب النزعة العسكرية على التفكير السياسي والحكيم: ركّز القوم على جانب القوة والبأس، ولم يُبدوا رأيًا، بينما كانت بلقيس هي التي نظرت للأمر بعقلية متزنة، فقالت لاحقًا: «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا...».

هيمنة السلطة على الرأي العام: رغم أن بلقيس استشارتهم، إلا أن قومها أظهروا نوعًا من الخضوع التام لرأيها، فقالوا: «والأمر إليك». وهذا يعكس أن نظامهم السياسي كان ملكًا مطلقًا.

ومع ذلك، فقد أظهرت بلقيس حكمة استثنائية في تجاوز هذه المعوّقات، إذ اختارت طريق التثبت والتحقق بالحوار والهدايا قبل أي مواجهة، مما يدل على نضجها السياسي والعقلي.

ثالثاً: آفاق تطبيق الشورى عند الملكة بلقيس:

تناولتها الباحثة بالتفصيل في الثلاثة المطالب الأولى لهذا المبحث، فقد كانت بلقيس نموذجاً في التطبيق فعكست مدى حكمة ورجاحة رأي بلقيس وعدلها الذي تحرص على إقامته في مملكتها، وتعد بلقيس ملكة سبأ نموذجًا راقيًا في ممارسة مبدأ الشورى قبل الإسلام، وقد آمنت بمبدأ المشاورة والتداول في الرأي، ولم تستبدّ بالقرار رغم كونها ملكة تملك السلطة والقوة، مما يدل على نضجها السياسي وحكمتها القيادية، ويمكن استلهام نموذج بلقيس في مجالات الحكم والإدارة الحديثة، من خلال:

إشراك المستشارين وأصحاب الخبرة في القرار السياسي.

اعتماد الحوار وسيلة لتجنّب الصراع وإحلال السلام.

احترام آراء الآخرين ولو اختلفت.

جعل التحقق من الحقائق أساسًا للقرارات الكبرى، كما فعلت عندما أرسلت الرسل إلى سليمان.

فكانت مثالًا لقائدةٍ عرفت كيف توظّف المشاورة في تجنّب الحرب، والوصول إلى الحق عن طريق الحوار والإقناع لا القوة والإكراه.

رابعاً: علاقة الشورى عند بلقيس بشرع من قبلنا:

ما صحَّ من شرعِ مَن قبلَنا عن طريقِ الوحي من كتابٍ أو سنةٍ، فهو شرعٌ لنا.

فعلاقة شورى بلقيس بشرع من قبلنا تُظهر كيف يمكن دمج الحكمة الإنسانية مع المبادئ الشرعية، من خلال اعتماد بلقيس على الشورى، وتُبرز نموذجًا يُحتذى به في القيادة الرشيدة التي تتماشى مع القيم الإسلامية.

والشورى في الإسلام تُعتبر من القيم الأساسية التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية، قال الله تعالى في سورة الشورى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } [سورة الشورى:٣٨].

الخاتمــة

الصلاة والسلام على معلم البشرية الخير نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أحمد الله وأشكره وأثني عليه بما هو أهله على عونه وتوفيقه لي في كتابة هذا البحث، فما كان فيه من صواب فهو من الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي، وأسأل الله العفو والغفران.

وختاماَ: نذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة وهي كالآتي:

عزز الإسلام مبدأ الاستشارة فأمر بها وحث عليها.

ذكر القرآن الكريم نماذج متنوعة عن حياة الأمم السابقة، في استخدام مبدأ الشورى مع المرأة.

تعتبر الشورى عند الملكة بلقيس شرع من قبلنا وقد حث عليها الإسلام واهتم بها.

مبدأ الشورى والمقصد منها يجد أنها ضرورة شرعية وبشرية لا غنى للأمة عنها.

أهمية الشورى للنساء وخاصة إذا كانت المرأة معروفة بالحكمة في التدبير وسداد الرأي ونور البصيرة، كبلقيس.

استشارة النساء منهج شرعي وفق حدود اختصاصها وطاقتها وقدرتها.

لاستشارة المرأة دور مهم على الفرد والمجتمع.

أهم النتائج والتوصيات:

– القرآن الكريم والسيرة النبوية مليئة بالنماذج المشرفة للنساء في تطبيقهن مبدأ الشورى على الفرد والمجتمع، فلابد من تناولها ودراستها لجعلهن نماذج يقتدي بها للرّقي بالأفراد والمجتمعات.

–عرض مثل هذه الشخصيات للأطفال للتأثير في بناء شخصية الطفل.

– تزويد المكتبة الإسلامية بهذه الدراسات التي تتناول شخصيات نموذجية لإثراء المكتبة العلمية بها.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط٣)، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٣. تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر الطبري، دار الكتب العلمية ، بيروت، (ط١)، ١٤٠٧هـ.

٤. التفسير الوسيط: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، (ط١)، ١٤٢٢ هـ.

٥. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط١)، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٦. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعوية، د(ط)، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، ١٤٠٥ هـ.

٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د(ط)، د(ت).

٩. الشورى في الشريعة الإسلامية: القاضي حسين بن محمد المهدي، تقديم: د. عبدالعزيز المقالح، سجل بوزارة الثقافة، دار الكتاب برقم إيداع ٣٦٣ في ٤/ ٧ / ٢٠٠٦م.

١٠. الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور، (ط٣)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١١. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، د(ط)، د(ت).

١٢. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبِي يلقب بالسيد الفراتي، المطبعة العصرية، حلب، (ط ج)، د(ت).

١٣. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.

١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، (ط١)، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٥. المعارف: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د(ط)، د(ت).

١٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٤)، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٧. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د(ط)، د(ت).

١٨. النظام السياسي في الإسلام: سليمان بن قاسم العيد، دار الوطن، (ط١)، ١٤٢٢هـ –٢٠٠٢م.

١٩. بلقيس، ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki .

٢٠. بلقيس ما بين الحقيقة والأسطورة
JINHAGENCYhttps://www.al-jazirah.com/2017/20170828/wo2.htm .

٢١. بلقيس ملكة سبأ مجداً لا تطمس معالمه
https://jinhaagency.com/ar/alqaymt-alywmyt/blqys-mlkt-sba-mjdaa-la-ttms-malmh-958 .

٢٢. شبكة الألوكة: https://www.alukah.net/culture

٢٣. الملكة بلقيس: الحاكمة الأسطورية لليمن وأثرها التاريخي - صحيفة الجامعة
https://qau.edu.ye/journal/19485 .

ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني – دراسة مقارنة

أ.د. محمد شوقي ناصر عبدالله الأعور

أستاذ الفقه وأصوله _ قسم الشريعة والقانون – كلية العلوم الإنسانية _ جامعة الناصر

منال العواضي – بثينة الشيباني

M5sh5m55@qmail.com

الملخص

ناقش هذا البحث ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني، وكانت دراسة مقارنة. تناول البحث تعريف أهم المصطلحات الواردة فيه مثل (الجناية – الوشاية – الغير – الشريعة الإسلامية – التشريع – القانون – العقوبة)، كما عرّف المصطلحات المشابهة للوشاية، مع بيان حكم الوشاية بالغير وصورها وآراء الفقهاء فيها. واستعرض البحث الأسباب التي دعت إلى ممارستها ومظاهرها وسبل الوقاية منها، ثم أوضح أركان الوشاية بالغير. هدف البحث إلى بيان موقف الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني من هذه الوشاية وتحديد العقوبة المناسبة لها. اعتمد البحث على دراسات مقارنة، وذلك باستقراء أقوال الفقهاء في حكم الوشاية بالغير، مع تحليل ومناقشة ما ذهب إليه كل فريق منهم. كما قام البحث باستقراء مواد قانون العقوبات اليمني لاستخراج أحكام الوشاية ومدى شرعيتها وقانونيتها. وأخيرًا، تضمنت خاتمة البحث أهم النتائج التي تم التوصل إليها، بالإضافة إلى أهم المقترحات وتوصيات البحث.

الكلمات المفتاحية :

(الجناية _ الوشاية ،الغير ،الشريعة الإسلامية ،التشريع ، القانون، العقوبات)

5

1. Dr. Mohammed Shawqi Naser Ela'warAbdullah
Professor of Jurisprudence Fndamentals, Department of Sharia & Law, Faculty of Humanities, Al-
The Phenomenon of Informing on Others in Islamic Jurisprudence and Yemeni Legislation: A Comparative Study
Nasser University
2. Manal Elawadhi-3. Buthaynah Eshaybani

Abstract :

This research discussed the crime of slander against others in Islamic Sharia and Yemeni legislation, as a comparative study. The research addressed the definition of the key terms mentioned in it, such as (crime – slander – others – Islamic Sharia – legislation – law – punishment). It also defined the terms similar to slander, clarified the ruling on slander against others, its forms, and the opinions of jurists regarding it. The research reviewed the reasons that led to its practice, its manifestations, and the means of prevention, then explained the pillars of slander against others. The aim of the research was to clarify the position of Islamic Sharia and Yemeni legislation on this slander and to determine the appropriate punishment for it. The research relied on comparative studies, by examining the opinions of jurists on the ruling of slander against others, with analysis and discussion of the views of each group. It also examined the articles of the Yemeni Penal Code to extract the provisions of slander and the extent of its legitimacy and legality. Finally, the conclusion of the research included the most important findings reached, in addition to the key proposals and recommendations of the study .

Keywords: (Felony, Denunciation, The Other, Islamic Sharia, Legislation, Law, Punishment).

المقدمة:

جاء الإسلام – الدين الخاتم – لينقذ الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن الجاهلية والتخلف إلى النور و العلم والحضارة والازدهار، ومن الضلال إلى الرشاد قال تعالى﴿ قَد جَاءَكم مِنَ اللهِ نورٌ وَكتابٌ مُبينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] .وقد اشتمل الإسلام على معالجة كل كلية أو جزئية تتصل بأمور الدنيا والدين، ووضع لها الحلول المناسبة التي إذا ما اتبعت تؤتي ثمارها بإذن الله تعالى ، حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ مَا فَرَّطْنا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْء ﴾ [الأنعام : ٣٨] ويقول أيضا ﴿ وَنَزَّلنا عَلَيكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِ شَيءٍ وَهُدى وَرَحْمةً وَبُشرَى للمُسْلِمين ﴾ [النحل : ٨٩] ﴿ وَلَقَد صَرّفْنا فِي هَذا القُرآن للنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٤] .

وفيما يخص موضوع بحثنا هذا (ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني – دراسة مقارنة) فإن من أسوأ ما يُبتلى به الإنسان من رذائل الأخلاق وقبائح الصفات : الوشاية بالغير ،وهي النميمة ، و نقل القيل والقال والكلام السيء بقصد الإفساد بين الناس ، ولما كانت النميمةُ نجاسةً في الأخلاق ، فقد قُرنتْ بالنجاسة في الأبدان، وذلك في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ : (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ) [1].

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (٢١٨) ٤٣١/١، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، حديث رقم (٢٩٢)، ٢٤٠/١.

بل إن الوشاية من أخطر آفات اللسان وأجلها ضررًا على الفرد المسلم، فالحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والوشاية التي منبعها الحسد جمعت كلَّ خلقٍ رذيل: فهي السعاية بالكذب، وهي النميمة، وهي الغِيبة، وهي البهتان، وهي الفسق، وهي اللمز، وهي الخديعة، وهي الطعن في أعراض الناس بدون وجه حق، ومن المؤسف أن هناك من امتهن الوشاية وأبدع فيها حتى صارت عمله الرسمي ، وفنه الذي يستمتع به ، وعلمه الذي ينشره بين الناس ، حتى أصيب المجتمع المسلم بفيروسات الوشاية والنميمة والغيبة، كل هذا منبثق من دهاليز البغض والحقد والحسد والفساد بكل أنواعه، وكل ذلك من أصحاب القلوب المريضة والضمائر المنافقة والنفوس النتنة، اللذين يسعون لقمع كل مظاهر الحياة السعيدة ،وقتل الطموح، وقمع التفوق، وإطفاء شموع الخير والعطاء في الأمة الإسلامية ، إن هؤلاء الوشاة لن ينالوا من أفعالهم إلا خيبة الرجاء وكومة تراب يُحثى في وجوههم، وهم يدبرون من خزي ما قاموا به من عمل مخزيٍ و مشين، وسلوك منحرفٍ ومعوجٍ ونظرةٍ ضيقة لا تتجاوز أنوفهم.

وتعد ظاهرة الوشاية بالغير في القانون اليمني من الجنايات المعاقب عليها القانون ويسميها القانون اليمني بجناية البلاغ الكاذب، وهو ما أشارت اليه المادة (١٧٨) من قانون الجرائم والعقوبات اليمني رقم (١٢) لسنة ١٩٩٤م

أهمية البحث: تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١- تأتي أهمية البحث تبعاً لأهمية موضوع البحث، وهذا يعني أن بحثنا هذا من المواضيع الهامة والشائعة في المجتمع اليمني، وبالتالي فهو بحاجة إلى دراسة وتنقيب وبيان آثاره على الفرد المسلم

٢- معرفة أحكام الوشاية بالغير، والعقوبة المقررة لها شرعاً وقانوناً .

٣- ويزيد البحث أهمية في تحديد موقف المشرع اليمني من هذه الوشاية، مع بيان مدى موافقته أو مخالفته لما ذهب إليه فقهاء الشريعة الاسلامية في موضوع هذه الجناية.

٤- الرد على التساؤلات المتعلقة بالوشاية بالغير في الجوانب الفقهية والقانونية .

أهداف البحث: أبرز أهداف هذه البحث تتمثل في الآتي:

١- تحديد مفهوم الوشاية بالغير .

٢- معرفة حكم الوشاية بالغير في الشرع والقانون.

٣- التعرُّف إلى الأسباب الدافعة على الوشاية بالغير وسبل الوقاية منها.

٤- تحديد عقوبة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني.

٥-المساهمة في نشر الوعي الإسلامي و الوعي القانوني فيما يخص الوشاية بالغير.

٦- توعية المسلم بالمبادئ و الأسس والقيم المثالية التي تضمنها الدين الإسلامي الحنيف.

أسباب اختيار موضوع البحث:هناك أسباب عدة دفعتنا لاختيار هذا الموضوع نذكر منها:

١- تفشي ظاهرة الوشاية بالغير بين المسلمين وخاصة في المجتمع اليمني .

٢- جمع شتات الموضوع في بحث مستقل، ليسهل الرجوع اليه من قبل الباحثين إليه بسهولة ويسر.

٣- تزويد وإثراء المكتبة اليمنية بصفة خاصة والمكتبة الإسلامية بصفة عامة بأحكام ظاهرة الوشاية بالغير.

٤- المساهمة في التأصيل الشرعي والقانوني فيما يخص المسائل الخاصة بالوشاية بالغير.

المنهج المتبع في هذا البحث: سوف نتبع في هذا البحث منهج دراسة المقارنة وذلك باستقراء أقوال الفقهاء في حكم الوشاية بالغير، مع تحليل ومناقشة ما ذهب إليه كل فريق منهم، كما يقوم البحث باستقراء مواد قانون العقوبات اليمني لاستخراج أحكام الوشاية وما مدى شرعيتها وقانونيتها.

تساؤلات البحث: بحثنا هذا يجيب على عدة تساؤلات وهي على النحو الآتي:

هل تعتبر الوشاية جناية في نظر الشرع والقانون ؟ وما الفرق بين الوشاية والنميمة وأيهما أعم واشمل؟

ما هي الاسباب الدافعة لها ؟ وما هي سبل الوقاية منها ؟ وما موقف المشرع اليمني من هذه الوشاية ؟

ما هي الآثار المترتبة على الفرد المسلم من هذه الوشاية ؟ وما المساعي والعوامل التي تغذيها و التي أدت إلى تفشيها وانتشارها السريع بين أوساط المجتمع اليمني؟ وهل هناك عقوبة في الشرع والقانون لمثل هذه الجناية ؟ وهل لهذه الجناية عقوبة حدية أم عقوبة تعزيرية ؟ وهل هي جناية مادية أم جناية معنوية ؟ كل هذه التساؤلات وغيرها سنقوم بالجواب عليها في هذا البحث .

حدود البحث: يلتزم الباحث في هذا البحث بدراسة ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني متتبعاً أراء الفقهاء حول هذا الموضوع، ومنقباً عن أحكامها في مواد القانون اليمني وأخص بالذكر قانون الجرائم والعقوبات اليمني فيما يخص الموضوع ذاته.

خطوات البحث:

لأسباب موضوعية وأخرى شكلية اقتضت الضرورة تقسم البحث الى المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريفات عامة لأهم المصطلحات الواردة في البحث، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الجناية في اللغة والاصطلاح:

المطلب الثاني : مفهوم الوشاية والغير في اللغة والاصطلاح:

المطلب الثاني : مفهوم الغير في اللغة والاصطلاح:

المطلب الثالث : مفهوم الشريعة الاسلامية في اللغة والاصطلاح

المطلب الرابع : مفهوم التشريع في اللغة والاصطلاح:

المبحث الثاني: أسباب ودوافع الوشاية بالغير وسبل الوقاية منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : أسباب ودوافع الوشاية بالغير

المطلب الثاني : سبل الوقاية من الوشاية بالغير

المبحث الثالث: أركان ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : أركان ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية

المطلب الثاني : أركان ظاهرة الوشاية بالغير في القانون اليمني

المبحث الرابع: حكم الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية وأراء الفقهاء فيها والألفاظ المشابهة للوشاية (الغيبة – النميمة – السعاية)، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول : حكم الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية

المطلب الثاني : أراء الفقهاء في الوشاية

المطلب الثالث : الألفاظ المشابهة للوشاية

المبحث الخامس: عقوبة ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : عقوبة ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية

المطلب الثاني : عقوبة ظاهرة الوشاية بالغير في القانون اليمني

المبحث الأول

تعريفات عامة لأهم المصطلحات الواردة في البحث

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الاول

مفهوم الجناية في اللغة والاصطلاح

(١) مفهوم الجناية في اللغة: ورد لفظ الجناية في معاجم اللغة في مادة "جنى" بعدة معاني نذكر منها المعاني الآتية:

(أ) جاءت مادة " جنى " بمعنى الجمع والالتقاط، فيقال: جنى الثمر من باب رمى، واجتناها، وتجناها، فهو جان، ومجتن، والجني مثل الحصى، ومثله الجناة وهو: كل ما يجتني من الثمر ما دام غضاً، يقال: أتانا بجناية طيبة، ورطب جنى على وزن فعيل، أي جنى لساعته[١] كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٢]

(ب) ووردت مادة " جنى " بمعنى فعل الذنب واكتساب الشر، فيقال: جنى عليه يجني جناية، وجنى الذنب عليه يجنيه، جرَّه إليه، كما يقال: جنى على قومه جناية، أي أذنب ذنباً يؤخذ به[٣]وغلبت الجناية في ألسنة الفقهاء على الجرح والقطع، وجمعها جنايات وقليلاً ما تجمع على جنايا كعطايا[٤].

---

[١] القاموس المحيط للفيروز آبادي : ٤. /٣١٥، المصباح المنير للفيومي: ١./١٢٢، مختار الصحاح للرازي: ١١٤.

[٢] سورة مريم : الآية رقم (٢٥) .

[٣] القاموس المحيط: ٤. /٣١٥، مختار الصحاح: ١١٤، المصباح المنير:١./ ١١٢.

[٤] المصباح المنير للفيومي: جـ١ صـ١١٢ .

(ج) كما جاءت هذه المادة بمعنى الادعاء والاتهام ، فيقال: تجنى عليه، أي: أدى عليه ذنباً لم يفعله، فالتجني مثل التجرم[٥] وبالنظر والتأمل في هذه المعاني التي وردت في مادة " جنى " نلحظ أن الفعل منها دال على ما يفعله المرء في جانب الخير كجني الثمر وجمعه، وما يقترفه في جانب الإثم والمعصية، من جنى للذنب وفعل الخطيئة ، أما الاسم منها فيأتي موافقاً لما دل عليه الفعل، وهو في جانب الخير جني وجناة، وفي جانب الشر جناية، أي ذنب ومعصية، كما أن الجناية في الاصطلاح اللغوي هي اسم لما يجنيه المرء وما يكتسبه من الشر من باب التسمية بالمصدر، وهو لفظ عام في كل ما يجني إلا أنه خص بما يجرم دون غيره[٦].

(٢) مفهوم الجناية في الاصطلاح: عرف الفقهاء – رحمهم الله تعالى – الجناية بانها: اسم لفعل محرم شرعاً سواء حل بنفس أو مال [٧] لكن جرى العرف عند أكثر الفقهاء على إطلاق الجناية على الفعل في النفس والأطراف، وقسموها إلى ثلاثة أنواع: جناية على النفس، وجناية على ما دون النفس، وجناية على ما هو نفس من وجه دون وجه، أما الجناية على الأموال فيطلقون عليها اسم الغصب[١] بينما بعض الفقهاء يطلقون لفظ الجناية على

---

[٥] القاموس المحيط: ٤ / ٣١٥، مختار الصحاح: ١١٤، المصباح المنير:١/ ١٢٢.

(٦) شرح العناية على الهداية للإمام أكمل الدين البابرتي، بهامش نتائج الأفكار تكملة فتح القدير:٨ / ٢٤٤ ، مطبعة مصطفى محمد، مصر، بدون تاريخ.

[٧] المبسوط للشيخ/ شمس الدين أبو بكر محمد السر خسي: ٢٧ /٨٤ ، ط ١،مطبعة السعادة ، بدون تاريخ، المغني شرح مختصر الخرقي لموفق الدين عبدالله بن قدامه المقدسي: ٧ / ٥، ٦ ، مكتبة الكليات الأزهرية.

[١] تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للشيخ/ عثمان بن علي الزيلعي: ٦ /٩٧ ، المكتبة الكبرى ببولاق ،مصر ١٣١٥هـ ، شرح العناية على الهداية للإمام أكمل الدين البابرتي، على هامش نتائج الأفكار تكملة فتح القدير:٨/ ٢٤٤، مطبعة مصطفي محمد ، مصر بدون تاريخ.

جرائم الحدود بالإضافة إلى جرائم الاعتداء على النفس والأطراف [٢] ومن أولئك ابن رشد – رحمة الله – حيث أطلق لفظ الجناية على جرائم الحدود والقصاص بقوله: " الجناية التي لها حدود مشروعة أربع جنايات على الأبدان والنفوس والأعضاء، وهو المسمى قتلاً وجرحاً، وجنايات عل الفروج وهو المسمى زنا وسفاح، وجنايات على الأموال، وهذه ما كان منها مأخوذاً بحرب سمي حرابة إذا كان بغير تأويل، وإن كان بتأويل سمي بغياً، وما أخذ على وجه المنافسة من حرز سمي سرقة، وما كان منها بعلو مرتبه وبغي سمي غصباً، وجنايات على الأعراض وهو المسمى قذفاً، وجنايات بالتعدي على استباحة ما حرمه الشرع من المأكول والمشروب، وهذه إنما يتوجب فيها حد في هذه الشريعة في الخمر فقط[٣].

المطلب الثاني

مفهوم الوشاية والغير في اللغة والاصطلاح

(١) مفهوم الوشاية في اللغة:

الوشاية في اللغة مأخوذة من كلمة وشى: قال ابن فارس: "الواو والشين والحرف المعتل أصلان: أحدهما يدلُّ على تحسين شيء وتزيينه، والآخر على نماء وزيادة، و يقال: وشى به إلى السلطان وشيًا ووشاية: نمَّ، وسعى، ووشى الكذب: ألفه ولوَّنه وزيَّنه، فهو واشٍ ج وشاه[١].

---

[٢] تبصرة الحكام لابن فرحون : ٢/ ٢٢٩، دار المعرفة ، بدون تاريخ ، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية:٢/٥٥ ، ط ٢، دار الفكر بيروت ١٩٧٧م

[٣] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد رشد القرطبي الشهير بالحفيد: ٢/ ٢٩٦، دار الفكر

[١] القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، ٣٩٤/٤.

(٢) مفهوم الوشاية في الاصطلاح: الوشاية في الاصطلاح هي: نقل ما يكره نقله سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، وسواء كان النقل بالتصريح أو بالتلويح أو الكتابة أو الحركة، وسواء كان المنقول عيبًا أو نقصًا في المنقول عنه أو لم يكن، بشرط أن تكون إلى مَن يخاف إلى جانبه[١].

(٣) مفهوم الغير في اللغة : الغير في اللغة : يكون وصفاً للنكرة تقول: جاءني رجلٌ غيركَ، وقوله تعالى" غير المغضوب عليهم "إنما وصف بها المعرفة لأنها أشبهت المعرفة بإضافتها إلى المعرفة فعوملت معاملتها، ووصف بها المعرفة ومن هنا أجترأ بعضهم فأدخل عليها الألف واللام، لأنها لما شابهت المعرفة بإضافتها إلى المعرفة جاز أن يدخلها ما يُعاقبُ الإضافة وهو الألف واللام، وقد لا تدخل عليها الألف واللام، وتكون غيرَ أداة استثناء مثل إلا، فتعرف بحسب العوامل فتقول: ما قام غير زيد، وما رأيتَ غير زيدِ، وقال أبو محمد مكي في إعراب القرآن وغيرٌ اسم مبهمٌ، وإنما أعرب للزومه الإضافة، وقولهم خذ هذا لا غيرُ هو في الأصل مضافٌ والأصل لا غيره، لكن لما قطع عن الإضافة بني على الضمُ، مثلُ قبلٍ وبعدٍ ، ويكون غيرُ بمعنى سوى نحو (هل من خالقٍ غيرُ الله) وتكون بمعنى لا نحو (لا إله غيرُ الله) وغيرتُ الشيء تغييراً :أزلته عما كان عليه، فتغير هو والغيار لونٌ معروفٌ من ذلك[٢].

[١] إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي: ٥٦٤/٧ – ٥٦٦ وبهامشه كتاب الإملاء عن إشكالات الإحياء، بيروت: دار الفكر، د. ت.

[٢] – مصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي ٢ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٧٧٠ هـ ، دار الفكر .

المطلب الثالث

مفهوم الشريعة الاسلامية في اللغة والاصطلاح

(١) مفهوم الشريعة في اللغة:

الشِرعة بكسر الشين الدين، والشرع والشريعة بمعنى واحد وهي مورد الناس للاستقاء، وسميت بذلك لوضوحها وظهورها، وجمعها شرائع[١].

والشريعة في اللغة مصدر للفعل شرع ويطلق ويراد به معنيين [٢]:

المعنى الأول: الطريقة المستقيمة ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣] والمعنى جعلناك على طريقة مستقيمة.

المعنى الثاني: مورد الماء الجاري الذي يُقصد للشرب، يقال: شرعت الإبل إذا قصدت مورد الماء للشرب.

(٢) مفهوم الشريعة في الاصطلاح

هي: ما شرعه الله لعباده من الدين أي من الأحكام المختلفة[٤] وسميت هذه الأحكام شريعته لاستقامتها ولشبهها بمورد الماء، لأن بها حياة النفوس والعقول كما أن في مورد الماء حياة الأبدان، والشريعة والدين والملة بمعنى واحد، وهو ما شرعه الله لعباده من أحكام، ولكن هذه

---

[١] – نفس المرجع السابق : ١ / ٣١٠ ، مادة شرع .

[٢] – المختار من صحاح اللغة للرازي : ٢٦٥ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٦ / ١٠ .

[٣] – سورة الجاثية : الآية رقم (١٨).

[٤] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٦٣/١٦ ، تاريخ التشريع ، محمد سلام مذكور: ١١ .

الأحكام سميت شريعة باعتبار وضعها وبيانها واستقامتها، وسميت ديناً باعتبار الخضوع لها وعبادة الله بها، وسميت ملة باعتبار املائها على الناس[1].

أما الإسلام فمناه: الاستسلام و الإنقاذ والخضوع والتذلل لله تبارك وتعالى، ثم خص استعماله بالدين الذي أرسل الله به نبيه محمد ﷺ وبهذا المعنى وردت كلمة الاسلام في قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [3]

وبناء على ما سبق يمكن تعريف الشريعة الاسلامية بأنها: الأحكام التي شرعها الله سبحانه وتعالى لعباده عن طريق الوحي بشقيه المتلو وغير المتلو، فالمتلو القرآن الكريم وغير المتلو بسنة نبيه محمد ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، فالشريعة الاسلامية إذن هي الأحكام الشرعية الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

[1] – تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا : ٢٥٧/٢.

[2] – سورة المائدة: الآية رقم (٣) .

[3] – سورة آل عمران: الآية رقم (٨٥).

المطلب الرابع

مفهوم التشريع في اللغة والاصطلاح

(١) مفهوم التشريع في اللغة:

التشريع لغة مصدر: شرع، والشرع: نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقًا، ثم جُعل الشرع اسمًا للطريق النهج، فقيل له: شرع، وشرعة، وشريعة. وفي التنزيل قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][١] والتشريع: إيراد الإبل شريعةً لا يُحتاج معها إلى نزع بالعَلَق، ولا سقي في الحوض. ويقال: شرع لهم، أي سنَّ لهم[٢]، وقال ابن جزي: "شرع الله الأمر: أي أمر به"[٣]، وقال ابن فارس: "الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يُفتح في امتداد يكون فيه. من ذلك الشريعة، وهو مورد الشاربة الماء"[٤].

(٢) مفهوم التشريع في الاصطلاح: عرّفه الفقهاء بأنه: أثر خطاب الله تعالى؛ وكلا التعريفين ينصب على فعل المكلفين الذي يتعلق به حكم الله تعالى"[٥]. ثم قال معرفًا التشريع بأنه: "ما سنَّه الله تعالى من الأحكام، وأوحى به إلى أنبيائه"، فالتشريع هو إصدار الأحكام وإنشاؤها وبيانها للناس للعمل بها، وهو في الأصل الشرعي حق خالص لله تعالى[٦].

---

[١] الفاظ مفردات القران للاصفهاني: ص٤٥٠.

[٢] القاموس المحيط للفيروز آبادي: ص٩٤٦.

[٣] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ٢٢/١.

[٤] المقاييس في اللغة للرازي: ٥٥٥-٥٥٦.

[٥] الاعجاز القرآني في التشريع لدراز: ٢٨/١.

[٦] السنة التشريعية للصرامي: ص٢٢.

وعُرِّف التشريع أيضًا بأنه: "سن الأحكام العملية المتعلقة بالمكلفين، المنظمة لحياتهم وتعاملاتهم". ويبدو أنه صياغة للتعريف الفقهي الشرعي باستحضار المعنى القانوني المعاصر[1].

المبحث الثاني

أسباب ودوافع الوشاية بالغير وسبل الوقاية منها

وفيه مطلبان:

المطلب الاول

أسباب ودوافع الوشاية بالغير

١ – **الحقد والكراهية الشخصية** : الحقد والكراهية من أبرز دوافع الوشاية بالغير، إذ يلجأ بعض الأشخاص إلى الكذب والافتراء للإضرار بخصومهم أو تشويه سمعتهم أمام المجتمع أو السلطات. هذا الدافع ينبع من عداوات شخصية أو حسد، حيث يسعى الواشي إلى الانتقام من خصمه عبر وسائل غير مشروعة. وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى أن النميمة والوشاية غالبًا ما تنشأ من الحقد والحسد، وهي من كبائر الذنوب التي تفسد العلاقات وتزرع العداوة بين الناس[٢]

الحقد والكراهية من أخطر الأمراض القلبية التي تدفع الإنسان إلى الوشاية بالغير والإضرار بهم ظلمًا وعدوانًا. وقد أوضح العلماء أن هذه المشاعر السلبية لا تنشأ فجأة، بل لها أسباب متعددة، منها: [٣]

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام للاندلسي: ٤٦/١.

[٢]فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ج١٠، صـ ٤٨٦

[٣]إحياء علوم الدين. الغزالي، أبو حامد. دار المعرفة، بيروت، ج٣، صـ ١٥٢–١٥٥

الحسد :وهو تمني زوال النعمة عن الآخرين، مما يولّد في القلب حقدًا يدفع صاحبه إلى الكذب والافتراء.

العداوة السابقة :النزاعات القديمة بين الأشخاص قد تترسخ في النفوس وتتحول إلى كراهية دائمة.

الظلم أو الإهانة :إذا شعر الإنسان أنه تعرض لظلم أو إهانة، قد يحمل في قلبه ضغينة تدفعه للانتقام عبر الوشاية.

ضعف الإيمان :غياب الوازع الديني يجعل القلب عرضة للأحقاد، إذ لا يردعه خوف من الله عن إيذاء الآخرين.

البيئة الاجتماعية الفاسدة :المجتمعات التي تشيع فيها الغيبة والنميمة تساهم في تغذية مشاعر الحقد والكراهية بين الأفراد.

٢ – الطمع في المنافع المادية أو المناصب :

الطمع في المكاسب الدنيوية يعد دافعًا رئيسيًا للوشاية، حيث يستخدم بعض الأشخاص الكذب والافتراء كوسيلة للتقرب من أصحاب السلطة أو الفوز بمنصب على حساب الآخرين. الغزالي في إحياء علوم الدين يوضح أن بعض الناس يتخذون النميمة والافتراء وسيلة للتقرب من الحكام أو المسؤولين، وهو ما يدخل في باب الرياء والفساد الاجتماعي.[١]

الطمع في المكاسب الدنيوية يُعد من أبرز دوافع الوشاية بالغير، حيث يلجأ بعض الأشخاص إلى الكذب والافتراء والبلاغ الكاذب من أجل تحقيق مصالح شخصية غير مشروعة. هذا الدافع يرتبط بعدة أسباب[٢]:

[١] إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ج٣، صـ ١٥٢

[٢] إحياء علوم الدين. الغزالي، أبو حامد. دار المعرفة، بيروت، ج٣، صـ ١٥٢–١٥٥.

حب الدنيا وتعلق القلب بالمنافع المادية :من يسيطر عليه حب المال أو المنصب يسعى إلى تحقيقه ولو بوسائل محرمة، ومنها الوشاية بالآخرين لإزاحتهم من طريقه.

التنافس على السلطة والمناصب :في بيئات العمل أو السياسة، قد يلجأ البعض إلى الوشاية لإضعاف المنافسين أو تشويه سمعتهم أمام المسؤولين.

غياب القيم الأخلاقية :عندما تغيب الضوابط الشرعية والأخلاقية، يصبح الطمع دافعًا قويًا للبحث عن طرق غير مشروعة لتحقيق المكاسب.

ضعف الرقابة والمساءلة :إذا لم توجد أنظمة رادعة أو رقابة قوية، يزداد احتمال استخدام الوشاية كوسيلة لتحقيق مصالح شخصية.

الرغبة في التقرب من أصحاب النفوذ :بعض الأشخاص يشيعون الكذب والافتراء ليظهروا ولاءهم للسلطة أو المسؤول، طمعًا في رضاهم أو نيل عطاياهم.

٣- ضعف الإيمان وقلة الوازع الديني :

ضعف الإيمان وغياب الخوف من الله من أهم دوافع الوشاية، إذ أن من يستشعر مراقبة الله لا يمكن أن يفتري على بريء. النووي في رياض الصالحين يذكر أن النميمة والوشاية من الكبائر التي تنشأ عن ضعف الوازع الديني، وأنها سبب لعذاب القبر كما ورد في الأحاديث الصحيحة[١].

ضعف الإيمان من أهم الأسباب التي تدفع الإنسان إلى ارتكاب الوشاية بالغير، إذ أن من يستشعر مراقبة الله ويخاف عقابه لا يمكن أن يفتري على بريء أو ينقل الكذب للإضرار به. الوشاية هنا تُعد انعكاسًا لحالة قلبية مريضة، يغيب عنها الخوف من الله والالتزام بالقيم الشرعية، ومن الأسباب الداعية لضعف الإيمان المؤدي للوشاية[٢]:

---

[١] رياض الصالحين، النووي، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠، باب تحريم النميمة، صـ ٣١٢.

[٢] رياض الصالحين، النووي، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠، باب تحريم النميمة، صـ ٣١٢.

غياب مراقبة الله (ضعف التقوى :(عندما يغيب عن القلب استحضار أن الله مطلع على السرائر، يجرؤ الإنسان على الكذب والافتراء.

الانغماس في المعاصي :كثرة الذنوب تضعف الإيمان وتُميت القلب، مما يجعل صاحبه لا يتورع عن ظلم الآخرين بالوشاية.

ضعف التربية الدينية :غياب التربية على الصدق والأمانة منذ الصغر يؤدي إلى ضعف الوازع الديني عند الكبر.

اتباع الهوى :الميل وراء الشهوات والمصالح الشخصية يجعل الإنسان يقدم مصلحته على الحق، فيشي بغيره ظلمًا.

الصحبة السيئة :مخالطة أهل الكذب والنميمة تضعف الإيمان وتغرس في النفس سلوكيات منحرفة مثل الوشاية.

٤- الرغبة في إثارة الفتنة والفساد بين الناس:

بعض الأشخاص يتخذون الوشاية وسيلة لإشعال الفتن بين الناس وإفساد العلاقات الاجتماعية. أن النميمة والوشاية من أخطر صور الفساد لأنها تؤدي إلى تفكيك الروابط الاجتماعية وزرع الشكوك بين الأفراد، كما أكد القرطبي أن الوشاية تدخل في باب "المفسدين في الأرض" الذين توعدهم الله بالعقاب الشديد، وأنها من صور البهتان الذي يهدد استقرار المجتمع.

من أخطر دوافع الوشاية بالغير أن تكون بدافع **حب الفتنة وإفساد العلاقات الاجتماعية**، حيث يسعى بعض الأشخاص إلى زرع الشكوك بين الناس وإشعال النزاعات بينهم. هذا

الدافع لا يرتبط بمصلحة مادية مباشرة، بل ينبع من طبيعة نفسية منحرفة تميل إلى الإفساد والعدوان، ومن الأسباب الداعية لهذا الدافع[1]:

حب الإفساد والعدوان :بعض النفوس المريضة تستمتع بإثارة المشاكل بين الناس، وتجد في الوشاية وسيلة لتحقيق ذلك.

الغيرة والحسد الاجتماعي :قد يسعى الواشي إلى إفساد علاقة قوية بين طرفين بسبب غيرته من نجاحهما أو مكانتهما.

ضعف القيم الأخلاقية :غياب الضوابط الشرعية والأخلاقية يجعل الشخص لا يتورع عن إشعال الفتن بين الناس.

التأثر بالمنافقين وأهل النميمة :القرآن الكريم وصف المنافقين بأنهم "مفسدون في الأرض"، والوشاية صورة من صور هذا الفساد.

الرغبة في السيطرة والتحكم :بعض الأشخاص يستخدمون الوشاية لإضعاف الآخرين وإيجاد حالة من الانقسام تمكنهم من السيطرة على الموقف.

– الجهل بعواقب الوشاية:

الجهل بخطورة الوشاية يعد سببًا رئيسيًا لانتشارها، حيث يظن البعض أنها مجرد كلام عابر، بينما هي في الحقيقة من الكبائر التي توعد الله أصحابها بالعذاب. الطنطاوي في التفسير الوسيط يوضح أن كثيرًا من الناس يستهينون بالنميمة والوشاية، مع أنها من أسباب عذاب القبر والويل في الآخرة.

الجهل بعواقب الوشاية يُعد من أهم الأسباب التي تجعل بعض الناس يقعون فيها دون إدراك لخطورتها الشرعية والاجتماعية. فالوشاية ليست مجرد كلام عابر، بل هي من **الكبائر** التي

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج٢٠، صـ ١٢٠.

ورد فيها وعيد شديد في القرآن والسنة، ومع ذلك يستهين بها كثيرون بسبب جهلهم. ومن الأسباب الداعية لهذا الجهل: [1]

ضعف الثقافة الشرعية: كثير من الناس لا يعرفون أن الوشاية تدخل في باب النميمة والبهتان، وأنها محرمة شرعًا وتستوجب العقوبة.

غياب الوعي الاجتماعي: يظن البعض أن الوشاية مجرد وسيلة للتسلية أو نقل الأخبار، دون إدراك أنها تفسد العلاقات وتزرع العداوة.

الاستهانة بالذنوب الصغيرة :بعض الناس يستهينون بالكذب والغيبة، فيتدرجون حتى يصلوا إلى الوشاية، ظانين أنها لا تُعد كبيرة.

التأثر بالبيئة الفاسدة :المجتمعات التي تشيع فيها الغيبة والنميمة تجعل الفرد يعتاد هذه السلوكيات دون أن يدرك خطورتها.

غياب العقوبات الرادعة :إذا لم توجد أنظمة أو قوانين تجرّم الوشاية، يزداد انتشارها بسبب اعتقاد الناس أنها بلا عواقب.

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧، ج١٠، صـ ٦٠١

المطلب الثاني

سبل الوقاية من الوشاية بالغير

١. تقوية الإيمان والوازع الديني:

من أهم وسائل الوقاية من الوشاية أن يُغرس في النفس الإيمان بالله ومراقبته، لأن من يستشعر أن الله مطلع على السرائر لن يقدم على الكذب أو الافتراء. العبادات مثل الصلاة والذكر والصيام تقوي الوازع الديني وتزرع في القلب الصدق والأمانة[١].

٢. نشر ثقافة الصدق والأمانة في المجتمع

المجتمع الذي يُربى أفراده على الصدق والأمانة يقل فيه الكذب والافتراء. التربية الأسرية والمدرسية والإعلامية لها دور كبير في غرس هذه القيم، وأن النميمة والوشاية تنشأ من ضعف خلق الصدق، وأن علاجها يكون بتربية النفس على الأمانة [٢].

٣. تجريم الوشاية قانونا وشرعا:

وجود عقوبات رادعة يحد من انتشار الوشاية، سواء عبر العقوبات التعزيرية في الفقه الإسلامي أو عبر القوانين الوضعية الحديثة. هذا الردع يحمي المجتمع من الفساد والظلم. وأن الوشاية والبلاغ الكاذب تستوجب العقوبة التعزيرية التي يقدّرها القاضي بحسب حجم الضرر ، وأن التشريعات الحديثة جرّمت الوشاية وحددت لها عقوبات واضحة[٣].

---

[١]ابن القيم أوضح أن القلب إذا امتلأ بالإيمان والخشية، انصرف عن الكذب والبهتان،مدارج السالكين، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، صـ ٣٤٥

[٢]رياض الصالحين النووي : ذكر أن الصدق أساس النجاة، وأن الكذب سبب للهلاك النووي، رياض الصالحين، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠، صـ ٤٥

[٣]جرائم السب والقذف والبلاغ الكاذب في ضوء الفقه والقضاء، شريف أحمد الطباخ، دار الكتب القانونية، ٢٠٢١

٤. تعزيز الوعي الاجتماعي بخطورة الوشاية:

كثير من الناس يستهينون بالوشاية لجهلهم بعواقبها، لذا يجب نشر التوعية بخطورتها الشرعية والاجتماعية عبر الخطب والدروس والبرامج التربوية، وأن الاستهانة بالنميمة والوشاية تعكس جهلًا بعواقبها الشرعية، وأنها من أسباب عذاب القبر[١].

٥. اختيار الصحبة الصالحة:

الصحبة الصالحة تقي الإنسان من الوقوع في الوشاية، لأن الأصدقاء الصالحين ينهون عن الكذب والنميمة، بينما الصحبة الفاسدة تغرس هذه السلوكيات، حيث أوردت أحاديث كثيرة عن أثر الصحبة الصالحة في صلاح الإنسان وابتعاده عن المعاصي[٢].

٦. إصلاح النفوس من الحقد والحسد:

الحقد والحسد من أهم دوافع الوشاية، لذا فإن تزكية النفس وإصلاح القلب عبر الذكر والعبادة والابتعاد عن الحسد، يقي الإنسان من الوقوع في هذه الآفة. كما أن الحقد والحسد من أسباب النميمة والوشاية، وأن علاجها يكون بتطهير القلب[٣].

٧. تقوية الروابط الاجتماعية:

المجتمع المتماسك الذي يقوم على الثقة والاحترام المتبادل يقل فيه انتشار الوشاية، لأن العلاقات القوية تمنع الشكوك وتضعف تأثير النميمة، كما أن ضعف الروابط الاجتماعية وغياب العدالة يؤدي إلى انتشار الوشاية والافتراء[٤]

---

[١] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧، ج١٠، صـ ٦٠١

[٢] رياض الصالحين، النووي، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠، صـ ٣١٢

[٣] شرح صحيح البخاري، ابن حجر، فتح الباري دار المعرفة، بيروت، ج١٠، صـ ٤٨٦

[٤] المقدمة، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، صـ ٢١٢

المبحث الثالث

أركان ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني.

وفيه مطلبان:

المطلب الاول

أركان ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية

١. **الركن المادي (الفعل):** يتمثل في نقل الأخبار أو المعلومات الكاذبة أو المغرضة إلى الآخرين أو إلى السلطة بقصد الإضرار، ويدخل فيه: النميمة، السعاية، التبليغ الكيدي، التشهير. قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١١)، وهو نص صريح في ذم النميمة والوشاية باعتبارها فعلًا ماديًا محرمًا. [١]

٢. **الركن المعنوي (القصد):** يشترط أن يكون الفعل مقصودًا، أي أن الواشي تعمد الإضرار بالغير. فإذا كان النقل بحسن نية أو لمصلحة مشروعة (كإبلاغ عن جريمة حقيقية)، فلا يُعد جناية. قال النبي ﷺ: "لا يدخل الجنة نمام" (رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم النميمة). [٢]

٣. **الركن الشرعي (النص المحرِّم):** الوشاية تدخل ضمن الكبائر لأنها تجمع بين الغيبة والنميمة والبهتان. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ، هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١٠–١١) [٣].

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٩٩٧). تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ٤٧٢/١٠.

[٢] شرح صحيح مسلم النووي، يحيى بن شرف. (٢٠٠١). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١١٠/٢.

[٣] إحياء علوم الدين. الغزالي، أبو حامد محمد. (١٩٩٨). بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٥٢/٣.

٤. **الركن المجني عليه (المتضرر)**: هو الشخص الذي وقعت عليه الوشاية، سواء أُصيب بضرر في نفسه، ماله، سمعته، أو مكانته الاجتماعية. فإذا ترتب على الوشاية ضرر جسيم (مثل السجن أو القتل ظلمًا)، فإنها تُعد جناية كاملة تستوجب العقوبة والتعويض. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨).[١]

المطلب الثاني

أركان ظاهرة الوشاية بالغير في القانون اليمني

ظاهرة الوشاية أو البلاغ الكاذب في القانون اليمني تقوم على ثلاثة أركان أساسية: الركن المادي (الفعل المجرَّم)، الركن المعنوي (القصد الجنائي)، والركن الشرعي (النص القانوني الذي يجرّم الفعل) .

أولًا: الركن المادي (الفعل المجرَّم) : يتمثل في الإبلاغ أو الإخبار الكاذب عن واقعة غير صحيحة، تُسند إلى شخص بريء.

ويشترط أن يكون البلاغ موجَّهًا إلى جهة مختصة مثل: النيابة العامة، المحاكم القضائية، الشرطة، أو أي سلطة إدارية لها صلاحية التحقيق.

ولا يشترط أن يكون البلاغ مكتوبًا، بل يكفي أن يكون شفويًا أو بأي وسيلة أخرى (حتى إلكترونية).

و يجب أن يتضمن البلاغ معلومات غير صحيحة تهدف إلى الإضرار بالمُبلَّغ عنه[٢].

---

[١] مجموع الفتاوى. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (٢٠٠٤). جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٢١/٢٨.

[٢] جريمة البلاغ أركانها وشروطها، أمين الربيعي، على الرابط التالي:

ثانيًا: الركن المعنوي (القصد الجنائي):

يشترط أن يكون لدى الجاني نية الإضرار بالموشى به، وليس مجرد خطأ في التقدير أو نقل معلومة غير دقيقة.

و يجب إثبات أن المُبلِّغ كان يعلم بعدم صحة المعلومات التي قدمها.

والقصد الجنائي هنا يتكون من عنصرين:

١. العلم بالكذب: أن يدرك الجاني أن البلاغ غير صحيح.

٢. إرادة الإضرار: أن يقصد من وراء البلاغ إلحاق الضرر بالمُبلَّغ عنه (حبس، فقدان وظيفة، تشويه سمعة) [١].

ثالثًا: الركن الشرعي (النص القانوني) :

– وجود نص قانوني يجرّم الفعل ويحدد العقوبة.

– في القانون اليمني، نصت المادة (١٧٨) من قانون العقوبات على تجريم البلاغ الكاذب، وجعلت العقوبة الحبس أو الغرامة.

– هذا الركن يميز بين الفعل المباح والفعل المجرّم، ويعطي للقاضي أساسًا لتوقيع العقوبة[٢].

---

https://ameenlawyer.blogspot.com/2022/02/blog-post_50.html?utm_source=copilot.com

[١] تحليل قانوني لجريمة الوشاية الكاذبة، على الرابط التالي:

https://www.9anouni.com/2025/02/300_18.html?utm_source=copilot.com

[٢] أمين الربيعي، جريمة البلاغ أركانها وشروطها، على الرابط التالي:

https://ameenlawyer.blogspot.com/2022/02/blog-post_50.html?utm_source=copilot.com

المبحث الرابع

حكم الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية وأراء الفقهاء فيها والألفاظ المشابهة للوشاية (الغيبة – النميمة – السعاية)

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول

حكم الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية

١ – الأدلة من القرآن الكريم:

– قوله تعالى: "ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً" سورة النساء، الآية ١١٢و الخطيئة هي الذنب الصغير، والإثم هو الذنب الكبير، فإذا نسب الإنسان ذنبه إلى بريء فقد جمع بين الكذب والافتراء، وحمل فوق ظهره وزرًا عظيمًا. [١]

– قوله تعالى: "ولا تطع كل حلاف مهين همار مشاء بنميم" > سورة القلم، الآيتان ١٠– ١١.

الآية نزلت فيمن اتهم بريئًا بجرم لم يرتكبه، وهي عامة في كل من رمى بريئًا بخطيئة، فقد ارتكب بهتانًا وإثمًا ظاهرًا. [٢]

– قوله تعالى: "ويل لكل همزة لمزة" " سورة الهمزة، الآية ١.

فرّق بين الخطيئة والإثم؛ فالخطيئة قد تكون عمدًا أو خطأ، أما الإثم فلا يكون إلا عمدًا. والآية عامة في كل من نسب ذنبًا إلى بريء. [٣]

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. دار السلام، الرياض، ط١، ٢٠٠٢، ج١، صـ ٣٦٨

[٢] تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي سلامة. دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩، ج٢، صـ ٤٠٦

[٣] الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أحمد. دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ج٥، صـ ٢١٠.

الأدلة من السنة النبوية:

– عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنة نمام" [1]

– عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" [2]

– عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب" [3]

المطلب الثاني

أراء الفقهاء في الوشاية

يرى فقهاء الزيدية أن الوشاية بالغير من المحرمات الكبرى، لأنها تجمع بين الكذب والبهتان وإلحاق الضرر بالآخرين ظلمًا وعدوانًا، وتدخل في باب النميمة والغيبة المحرمة .ويؤكدون أن الوشاية إذا ترتب عليها ضرر جسيم كحبس بريء أو ضياع حق، فإنها تستوجب العقوبة التعزيرية التي يقدّرها القاضي، وذلك حمايةً للمجتمع من الفساد وحفظًا للحقوق. كما يستدلون

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، حديث رقم (١٠٥)، ١٠١/١

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (٢١٨) ٤٣١/١، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، حديث رقم (٢٩٢)، ٢٤٠/١.

[3] رواه أحمد في المسند، حديث رقم (٢٧٥٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٧٦)، ١٢٥/٢.

بقول الله تعالى" :ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً" (النساء: ١١٢)، ويعتبرون أن الوشاية صورة من صور هذا البهتان[١].

وترى الحنفية: أن الوشاية بالغير من الكبائر لأنها تجمع بين الكذب والنميمة والبهتان، وتؤدي إلى إلحاق الضرر بالآخرين ظلمًا وعدوانًا. وقد نصوا على أن من يشي بغيره زورًا يستحق العقوبة التعزيرية التي يقدّرها القاضي، لأنها من صور الظلم التي تهدد أمن المجتمع[٢].

يعتبر المالكية الوشاية بالغير من أشد صور النميمة والبهتان، وهي محرمة شرعًا وتدخل في باب الكبائر. ويؤكدون أن الوشاية إذا ترتب عليها ضرر مالي أو جسدي أو سجن بريء، فإنها تستوجب العقوبة التعزيرية، وقد يضاف إليها التعويض عن الضرر[٣].

ويرى الشافعية أن الوشاية بالغير تدخل في باب البهتان، وهو أشد من الكذب لأنه يتضمن نسبة فعل محرم إلى بريء، ويُعاقب عليه بالتعزير. ويؤكدون أن الوشاية تفسد العلاقات الاجتماعية وتزرع العداوة بين الناس، لذا شددوا على ضرورة ردعها بالعقوبة المناسبة[٤].

ويعتبر الحنابلة الوشاية بالغير من صور الكذب المحرم والنميمة، وهي من الكبائر التي تستوجب العقوبة التعزيرية.

---

[١] الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية والأشرار، الإمام يحيى بن حمزة الزيدي .تحقيق: عبد الكريم جدبان، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤، ج٢، صـ ٣١١.

[٢] رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار. ابن عابدين، محمد أمين. دار الفكر، بيروت، ج٥، صـ ٢٣٧.

[٣] الفروق. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. تحقيق: خليل الميس. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٨، ج٤، صـ ١٢١.

[٤] روضة الطالبين وعمدة المفتين. النووي، يحيى بن شرف. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ج١٠، صـ ١٨٢.

وإذا ترتب عليها ضرر جسيم كحبس بريء أو ضياع حق، فإن العقوبة تكون أشد، ويُترك تقديرها للقاضي[١].

المطلب الثالث

الألفاظ المشابهة للوشاية

١ – الغيبة:

معنى الغيبة لغة: الغيبة: الوقيعة في الناس؛ لأنها لا تقال إلا في غيبة، يقال: اغتابه اغتيابا: إذا وقع فيه وذكره بما يكره من العيوب وهو حق، والاسم الغيبة، وهي ذكر العيب بظهر الغيب، وغابه: عابه، وذكره بما فيه من السوء، كاغتابه [٢].

معنى الغيبة اصطلاحا:

قال ابن التين: (الغيبة: ذكر المرء بما يكرهه بظهر الغيب) [٣] .

وعرفها الجوهري بقوله: (أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإن كان صدقا سمي غيبة، وإن كان كذبا سمي بهتانا) [٤].

وقال المناوي: (هي ذكر العيب بظهر الغيب بلفظ أو إشارة أو محاكاة) [٥].

---

[١]المغني. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي. تحقيق: د. عبد الله التركي ود. عبد الفتاح الحلو. دار هجر، القاهرة، ط١، ١٩٨٦، ج٩، صـ ٤٧.

[٢]مقاييس اللغة. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. (١٩٧٩). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار الفكر. (ج. ٤، ص. ٤٠٣).

[٣]فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٩٨٩). تحقيق: محب الدين الخطيب، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة. (ج. ١٠، ص. ٤٦٩).

[٤]الصحاح في اللغة. الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٩٠). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين. (ج. ١، ص. ١٩٦).

[٥]فيض القدير شرح الجامع الصغير. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين. (١٩٩٤). القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى. (ج. ٣، ص. ١٦٦).

٢- النميمة:

معنى النميمة لغة:

النم: رفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد. وقيل: تزيين الكلام بالكذب. من نم ينم وينم، فهو نموم ونمام ومنم، ونم، من قوم نمين وأنماء ونم، وهي نمة، ويقال للنمام القتات، ونمام مبالغة، والاسم النميمة، وأصل هذه المادة يدل على إظهار شيء وإبرازه[١] .

معنى النميمة اصطلاحا:

النميمة: (نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر) [٢] .

وعرفها الغزالي بقوله: (إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه) [٣].

وقيل هي: (التحريش بين الناس والسعي بينهم بالإفساد) [٤].

٣- السعاية:

أ- السعاية لغة :

تأتي في الأصل من السعي، بمعنى المشي والكسب، وهو التصرف في كل عمل، خيراً كان أم شراً، والسعاية، وشاية، فيقال: سعى به إلى الوالي سعاية، ووشى به وشاية اذا تم عليه [٥]وسعى به فهو واش وجمعه وشاة [٦]

---

[١]القاموس المحيط. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. (١٩٩٨). بيروت: مؤسسة الرسالة. (ص. ١١٦٤)، الفيومي، أحمد بن محمد. (١٩٩٠). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: دار الكتب العلمية. (ج. ٢، ص. ٦٢٦).

[٢]ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد. (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. (ج. ٥، ص. ٢٥٦).

[٣]إحياء علوم الدين. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (١٩٨٣). بيروت: دار المعرفة. (ج. ٣، ص. ١٥٦).

[٤]فتاوى إسلامية. مجموعة من العلماء. (١٩٩٧). جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز المسند. الرياض: دار الوطن. (ج. ٤، ص. ٧٠).

[٥]جمهرة اللغة، ابن دريد، ٢٣٩/١.

[٦]مختار الصحاح، الرازي، ص١٦١.

ب- السعاية اصطلاحاً :

يكاد لا يخرج التعريف الاصطلاحي للسعاية، عن تعريفها أو معناها اللغوي، عرفها الابشيهي [1]، إذ قال : واما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي المهلكة والحالقة؛ لأنها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال في النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانه والسيد عن مرتبته فكم دم اراقه سعى ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا، فليتق الله به عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الأقدار أن يصغى لساع أو يستمع لنمام، يقول: الماوردي فأما السعاية فهي شر الثلاثة؛ لأنها تجمع الى مذمة الغيبة ولؤم النميمة، والتغرير بالنفوس والأموال، والقدح في المنازل والاحوال"[2].

والفرق بين السعاية والوشاية يتمثل بـ: أصل السعاية من الفعل (سعى)، وهو الجري أو دونه، وعلى هذا فإن السعاية تتطلب المشي أو السعي من قبل الساعي ليسعى بالمسعى به ومن ثم يأتي بالكلام (السعاية) أمام المسعى به، فإن كان مطابقاً لما قاله المسعى به كانت سعاية، وإن كان ملفقاً أو موشياً ومزخرفاً، أي مخالفاً لقول المسعى به كان فعله وشاية، بينما الوشاية تتحقق بالإشارة والهمس والحركة، والسعاية تحمل جانبين سلبي (شر) وإيجابي (خير)، بينما الوشاية شر دائماً[3].

---

[1] المستطرف للابشيهي، ٨٤/١.

[2] أدب الدنيا والدين للماوردي، ص٢٦٨.

[3] السعاية والوشاية عند الجواري والقهرمانات في بغداد إبان العصر العباسي، يوسف الشمري، وميثاق الخفاجي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد١، ٢٠٢٠م، ص١٢٢.

المبحث الخامس

عقوبة ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني

وفيه مطلبان:

المطلب الاول

عقوبة ظاهرة الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية

١. العقوبة الدينية (الإثم والوعيد الأخروي):

الوشاية تدخل في باب النميمة والبهتان، وهي من الكبائر التي توعد الله ورسوله أصحابها بالعذاب. قال النبي ﷺ: "لا يدخل الجنة نمام" [١] هذا يدل على أن العقوبة الأخروية للوشاية هي الحرمان من دخول الجنة إلا بعد التوبة، لما فيها من إفساد وإضرار بالآخرين [٢].

٢. العقوبة الأخلاقية والاجتماعية (سقوط العدالة والمروءة)

الوشاية تؤدي إلى سقوط العدالة، فلا تُقبل شهادة الواشي، ويُنظر إليه في المجتمع على أنه شخص غير موثوق. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ، هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١٠-١١)، أي أن الواشي ساقط المروءة والاعتبار.

هذه العقوبة اجتماعية وأخلاقية، حيث يُنبذ الواشي ويُحرم من الثقة والاعتبار بين الناس[٣].

٣. العقوبة القضائية (التعزير):

– إذا ترتب على الوشاية ضرر مادي أو معنوي جسيم (مثل سجن شخص بريء أو إلحاق الأذى بماله أو عرضه)، فإنها تُعد جناية تستوجب التعزير.

---

[١](رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم النميمة).

[٢]شرح صحيح مسلم. النووي، يحيى بن شرف. (٢٠٠١). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٢، ص١١٠.

[٣]إحياء علوم الدين. الغزالي، أبو حامد محمد. (١٩٩٨). بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ج٣، ص١٥٢.

– التعزير عقوبة تقديرية يفرضها القاضي بحسب حجم الضرر، وقد تكون بالحبس، الجلد، الغرامة، أو التشهير، وذلك لردع الفاعل وحماية المجتمع.

– التعزير يختلف باختلاف الزمان والمكان، ويُترك لتقدير ولي الأمر أو القاضي بما يحقق المصلحة العامة[١].

٤. العقوبة الشرعية الخاصة (حد القذف والبهتان):

– إذا تضمنت الوشاية اتهامًا كاذبًا يرقى إلى حد القذف أو البهتان، فإن العقوبة تكون وفق حد القذف: ثمانون جلدة، مع إسقاط العدالة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨) [٢].

– هذه العقوبة تُطبق إذا كانت الوشاية تتضمن اتهامًا مباشرًا في العرض أو السمعة، وهو ما يدخل في باب القذف.

المطلب الثاني

عقوبة ظاهرة الوشاية بالغير في القانون اليمني

عاقب المشرع المصري جريمة الوشاية الكاذبة بذات عقوبة جريمة القذف ونص على ذلك في المادة ٣٠٥ من ق ع والعقوبة التي قررها للجريمتين هي الحبس الذي لا تتعدى مدته سنتين والغرامة التي لا تقل عن ٢٠ جنيه ولا تزيد عن ٢٠٠ جنيه أو بإحدى هاتين

[١] مجموع الفتاوى. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (٢٠٠٤). جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ج٢٨، ص٢٢١.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٩٩٧). تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ج١٠، ص٤٧٢.

العقوبتين أي أنه يجوز للقاضي الحكم بالحبس دون الغرامة أو الغرامة دون الحبس وذلك على خلاف المشرع الجزائري الذي ينص على عقوبة الحبس والغرامة في أن واحد [١].

كما عاقب المشرع الفرنسي بالحبس لمدة خمس سنوات وغرامة قدرها ٤٥٠٠٠ أورو عن الإبلاغ المقدم بكل وسيلة والموجه ضد شخص معين بواقعة من طبيعتها توقيع عقوبات قضائية أو إدارية أو تأديبية والتي يعلم المبلغ بأنها غير صحيحة برمتها أو في جزء منها[٢].

في حين تتوقف عقوبة الإفتراء في القانون الأردني على ما إذا كان الإسناد لواقعة تشكل جنحة أو مخالفة أم أنها تشكل جناية، ففي الحالة الأولى وهي صورة الجريمة البسيطة للإفتراء يعاقب الجاني بالحبس من أسبوع إلى ثلاث سنوات، وقد أفصح المشرع عن رغبته على نحو صريح وواضح بضرورة استعمال مبدأ التفريد القضائي من قبل القضاة وذلك حينما عبر في المادة ٢١٠ ق ع أ على أن يتم العقاب، بحسب أهمية الإسناد ولكن المشرع الأردني اعتبر أن الإسناد الكاذب لجناية يشكل ظرفا مشددا فأوجب تغليظ العقاب بإنزال عقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة التي تتراوح بين ثلاث سنوات وخمسة عشر سنة. [٣]

أما في القانون اليمني عقوبة البلاغ الكاذب في القانون اليمني يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات أو بالغرامة أبلغ كذبا بنية الإساءة النيابة العامة أو إحدى المحاكم القضائية أو أية جهة إدارية ضد شخص بأمر يعد جريمة ولو لم يترتب على ذلك إقامة الدعوى الجزائية. استناداً للمادة (١٧٨) من قانون الجرائم والعقوبات اليمني عقوبة إهانة القضاء في القانون اليمني يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنه أو بالغرامة كل من أخل

---

[١] جريمة البلاغ الكاذب، علي عوض حسن، د. ط، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠٠٢م، ص١٨٠-١٨١

[٢] رسالة في جنح الصحافة، لحسين بن شيخ أث، ط٢، دار هومة، الجزائر، ٢٠١٤م، ص٢٠٤.

[٣] شرح قانون العقوبات (الجرائم المضرة بالمصلحة العامة)، كامل السعيد، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١م، ص٣٧١

بكتابه أو قول أو فعل أو بأية طريقة بمقام قاضي أو هيبته أو سلطته أو حاول التأثير فيه وكان ذلك في شأن أية دعوى أثناء انعقاد الجلسة.

وتسري ذات العقوبة إذا وقعت الجريمة على سلطات التحقيق بمناسبة تحقيق جزائي تجريه. استناداً للمادة (١٨٥) من قانون الجرائم والعقوبات اليمني عقوبة إنكار العدالة في القانون اليمني كل قاضي امتنع عن الحكم يعاقب بالعزل وبالغرامة ويعد متمنعا عن الحكم كل قاضي أتى أو توقف عن إصدار حكم بعد تقديم طلب إليه في هذا الشأن. استناداً للمادة (١٨٦) من قانون الجرائم والعقوبات اليمني[١]

ومن خلال مطالعة هذا النص يظهر أن جريمة البلاغ الكاذب لا تقع إلا اذا كان الجاني يقصد الاساءة اما اذا لم يكن كذلك فلا تقع هذه الجريمة!!! ولذلك فان أغلب من يوجه البلاغات والاتهامات الكاذبة إلى يحفظ هذا النص عن ظهر قلب حيث يذكر ان قصده من توجيه البلاغات والاتهامات الكاذبة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح الاوضاع وردع وفضح الجناة والسرق ...الخ، كما يلاحظ على هذا النص ايضاً انه لا يجرم الا البلاغات والاتهامات الكاذبة الموجهة إلى النيابة العامة والمحاكم والجهات الادارية أما توجيه الاتهامات والاخبار والبلاغات الكاذبة إلى الجمهور عن طريق النشر ووسائل التواصل الاجتماعي فلا تتحقق بفعلها جريمة البلاغ الكاذب!!! مع ان توجيه البلاغات إلى الجمهور أكثر خطراً وتأثيراً من توجيهها إلى الجهات العامة، والظاهر ان قصد القانون من ذلك ان البلاغات الكاذبة الموجهة إلى الجمهور تنطبق عليها جريمة السب المنصوص

[١]قانون الجرائم والعقوبات وتعديلاته على الرابط التالي:

http://agoyemen.net/lib_details.php?id=5

عليها في (٢٩١) عقوبات التي عرفت السب بأنه اسناد واقعة جارحة للغير، والتي قررت المادة (٢٩٣) عقوبات بان دعوى السب لا تقبل أذا كان الفاعل حسن النية!!! علماً بان الفقه الإسلامي يقرر ان الجريمة في هذه الحالة هي جريمة القذف التعزيري الذي يقع باتهام الشخص لغيره بواقعة تحتمل التصديق والتكذيب غير الزنا كأن يقول الجاني لغيره يا سارق يا فاسد يا قاتل ...الخ لان هذه وقائع تحتمل التصديق والتكذيب وتثير في المجتمع الشك والارتياب والبلبلة وتفقد المجتمع الثقة بأفراده في حين يكون القذف حدّياً اذا تضمن اتهام الشخص لغيره بالزنا او نفى نسبه، اما جريمة السب في الفقه الإسلامي فهي الكذب البين الذي لا يحتاج إلى إثبات لأنه كذب ظاهر وبين كقول الشخص لغيره : يا كلب يا حيوان ...الخ فهذه الكلمات وغيرها لا تنطبق على المسبوب؛ لأن الواقع يشهد أن هذه الكلمات كاذبة من حاجة إلى اثبات ، والسب في الفقه الإسلامي أقل خطراً من القذف التعزيري الذي يتضمن توجيه تهم أو وقائع تحتمل التصديق والتكذيب غير الزنا حيث يعاقب الساب في الشريعة الإسلامية بالحبس ثلاثة أيام اما القاذف بغير الزنا فانه يعاقب بالحبس ما بين ستة اشهر وسنة[١].

أهم النتائج :

١. أظهرت الدراسة أن الوشاية بالغير في الشريعة الإسلامية تعد من كبائر الذنوب، لأنها تجمع بين الكذب والبهتان والنميمة، وقد أجمع الفقهاء على تحريمها واعتبارها من الجرائم التعزيرية التي يقدّر القاضي عقوبتها بحسب حجم الضرر المترتب عليها.

[١] التشريع الجنائي، أ.د.عبدالمؤمن شجاع الدين، صـ٧٥

٢. أكدت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية أن الوشاية جريمة خطيرة، حيث وصفها القرآن بالبهتان والإثم المبين، وأثبتت السنة أنها سبب لعذاب القبر وحرمان من دخول الجنة.
٣. أثبتت الدراسة أن الفقهاء من مختلف المذاهب (الزيدية، الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة) اتفقوا على تشديد العقوبة إذا ترتب على الوشاية ضرر جسيم كحبس بريء أو ضياع حق.
٤. أظهرت الدراسة أن الوشاية ليست مجرد نقل كلام، بل هي سلوك اجتماعي خطير يؤدي إلى إفساد العلاقات وزرع العداوة بين الناس، وقد تتسبب في ضياع الحقوق وإشعال الفتن.
٥. أكدت النتائج أن دوافع الوشاية غالبًا ما تنشأ من أمراض قلبية مثل الحقد والحسد، أو من الطمع في المنافع المادية والمناصب، أو من ضعف الإيمان وغياب الوازع الديني.
٦. أظهرت الدراسة أن الوشاية في القانون اليمني تُعرف بجريمة البلاغ الكاذب، كما نصت عليها المادة (١٧٨) من قانون الجرائم والعقوبات اليمني رقم (١٢) لسنة ١٩٩٤م.
٧. أثبتت الدراسة أن القانون اليمني استمد أحكامه من الشريعة الإسلامية في تجريم الوشاية، لكنه حدد العقوبة بنصوص قانونية واضحة، بخلاف الفقه الإسلامي الذي ترك تقدير العقوبة للقاضي.
٨. أكدت النتائج أن الوشاية تُعد من الجرائم التعزيرية في الفقه الإسلامي، أي أن عقوبتها غير محددة سلفًا وإنما تُقدّر بحسب حجم الضرر والمصلحة العامة.
٩. أظهرت الدراسة أن الوشاية لها آثار اجتماعية خطيرة، فهي تزرع الفتن وتؤدي إلى تفكك المجتمع، وتُعد من أبرز صور الفساد الأخلاقي والاجتماعي.

١٠. أثبتت النتائج أن الوشاية قد تكون جناية مادية إذا ترتب عليها ضرر ملموس كالحبس أو ضياع الحقوق، وقد تكون جناية معنوية إذا اقتصرت على تشويه السمعة والإفساد بين الناس.
١١. أكدت الدراسة أن الوقاية من الوشاية تبدأ من إصلاح النفوس وتقوية الجانب الإيماني، إضافة إلى نشر الوعي الشرعي والقانوني بخطورتها.
١٢. أظهرت النتائج أن المشرع اليمني وافق في كثير من أحكامه على ما ذهب إليه الفقه الإسلامي في تجريم الوشاية، لكنه خالفه في بعض التفاصيل من حيث تحديد العقوبة بشكل صارم.
١٣. أثبتت الدراسة أن الوشاية تُعد من أخطر آفات اللسان، إذ تجمع بين الغيبة والنميمة والبهتان، مما يجعلها من كبائر الذنوب التي تهدد الفرد والمجتمع.
١٤. أكدت النتائج أن هناك حاجة ماسة إلى دراسة مستقلة للوشاية بالغير، نظرًا لتفشيها في المجتمع اليمني، وهو ما يبرز أهمية هذا البحث في سد فراغ علمي في المكتبة الإسلامية واليمنية.

أهم التوصيات :

١. نوصي بضرورة تعزيز الوعي الديني والأخلاقي في المجتمع من خلال المناهج التعليمية والخطاب الديني، لتوضيح خطورة الوشاية الكاذبة وأثرها على الفرد والمجتمع، وربطها بالنصوص الشرعية التي تحذر منها.
٢. نوصي بالعمل على تفعيل العقوبات التعزيرية في التشريع اليمني بما يتناسب مع حجم الضرر الناتج عن الوشاية، مع مراعاة أن تكون العقوبة رادعة ومحققة للعدالة، وذلك استنادًا إلى ما قرره الفقهاء من مرونة في تقدير العقوبة.

٣. نوصي بضرورة تطوير آليات الإثبات والتحقيق القضائي للتأكد من صحة البلاغات والاتهامات، حتى لا يقع القضاء ضحية للوشاية الكاذبة، مع وضع ضوابط صارمة لمحاسبة من يثبت عليه البلاغ الكاذب.
٤. نوصي بضرورة الاهتمام بـ إصلاح النفوس والبيئة الاجتماعية عبر برامج توعية ومبادرات مجتمعية، تستهدف معالجة أسباب الوشاية مثل الحقد والحسد والطمع، وذلك من خلال نشر قيم التسامح والصدق والأمانة.
٥. نوصي بالدعوة إلى مقارنة التشريع اليمني بالشريعة الإسلامية بشكل أوسع، لتوحيد الرؤية القانونية والشرعية في التعامل مع جريمة الوشاية، وضمان أن تكون النصوص القانونية منسجمة مع روح الشريعة التي تهدف إلى حفظ الحقوق وصيانة المجتمع من الفساد.

أهم المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم.
٢. إبراهيم بن علي ابن فرحون .تبصرة الحكام .بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
٣. أبو حامد محمد الغزالي .إحياء علوم الدين .بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٣م.
٤. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية .مجموع الفتاوى .الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤م.
٥. أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني .فتح الباري بشرح صحيح البخاري . بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٩م.
٦. أحمد بن فارس بن زكريا .مقاييس اللغة .القاهرة: دار الفكر، ١٩٧٩م.

٧. أحمد بن محمد الأبشيهي .المستطرف في كل فن مستظرف .بيروت: بدون تاريخ.

٨. أحمد بن محمد الفيومي .المصباح المنير في غريب الشرح الكبير .بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٩. إسماعيل بن حماد الجوهري .الصحاح في اللغة .بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

١٠. إسماعيل بن عمر ابن كثير .تفسير القرآن العظيم .الرياض: دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

١١. أكمل الدين البابرتي .شرح العناية على الهداية .مطبعة مصطفى محمد، مصر، بدون تاريخ.

١٢. أمين الربيعي. "جريمة البلاغ أركانها وشروطها". مدونة قانونية، ٢٠٢٢م.

١٣. تحليل قانوني لجريمة الوشاية الكاذبة. موقع قانوني، ٢٠٢٥م.

١٤. حسن علي الشاذلي .الجنايات في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون .بيروت: دار الكتاب الجامعي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

١٥. شريف أحمد الطباخ .جرائم السب والقذف والبلاغ الكاذب في ضوء الفقه والقضاء .القاهرة: دار الكتب القانونية، ٢٠٢١م.

١٦. شمس الدين أبو بكر السرخسي .المبسوط .مطبعة السعادة، بدون تاريخ.

١٧. شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي .الفروق .بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

١٨. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون .المقدمة .بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

١٩. عبد الرحمن بن ناصر السعدي .تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .الرياض: دار السلام، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٢٠. عبد الرؤوف المناوي .فيض القدير شرح الجامع الصغير .القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٩٤م.

٢١. عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي .المغني شرح مختصر الخرقي . القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.

٢٢. عبد المؤمن شجاع الدين .التشريع الجنائي .صنعاء: بدون تاريخ.

٢٣. عثمان بن علي الزيلعي .تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق .المكتبة الكبرى ببولاق، مصر، ١٣١٥هـ.

٢٤. علي بن محمد الماوردي .أدب الدنيا والدين .بيروت: بدون تاريخ.

٢٥. علي عوض حسن .جريمة البلاغ الكاذب .القاهرة: دار الكتب القانونية، ٢٠٠٢م.

٢٦. كامل السعيد .شرح قانون العقوبات (الجرائم المضرة بالمصلحة العامة). عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.

٢٧. لحسين بن شيخ أث .رسالة في جنح الصحافة .الجزائر: دار هومة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.

٢٨. مجد الدين المبارك ابن الأثير .النهاية في غريب الحديث والأثر .بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.

٢٩. مجموعة من العلماء .فتاوى إسلامية .الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧م.

٣٠. محمد أمين ابن عابدين .رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار .بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

٣١. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية .إعلام الموقعين عن رب العالمين . بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٣٢. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية .مدارج السالكين .بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

٣٣. محمد بن أبي بكر الرازي .مختار الصحاح .القاهرة: دار الفكر، بدون تاريخ.

٣٤. محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي .بداية المجتهد ونهاية المقتصد .بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

٣٥. محمد بن أحمد القرطبي .الجامع لأحكام القرآن .القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

٣٦. محمد بن محمد الزبيدي .إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين . بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

٣٧. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .القاموس المحيط .بيروت: مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ.

٣٨. محمد رشيد رضا .تفسير المنار .القاهرة: بدون تاريخ.

٣٩. محمد سلام مذكور .تاريخ التشريع .القاهرة: بدون تاريخ.

٤٠. محمد سيد طنطاوي .التفسير الوسيط للقرآن الكريم .القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧م.

٤١. يحيى بن حمزة الزيدي .الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية والأشرار . صنعاء: دار الحكمة اليمانية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٤٢. يحيى بن شرف النووي .روضة الطالبين وعمدة المفتين .بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٤٣. يحيى بن شرف النووي .رياض الصالحين .دمشق: دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٤٤. يوسف الشمري وميثاق الخفاجي. "السعاية والوشاية عند الجواري والقهرمانات في بغداد إبان العصر العباسي ."مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد ١، ٢٠٢٠م.

- Mohd ؛ Amin Bin Muhammad Husni؛Ahmad Bin Muhammad Husni Sabree Nasri. "Rights of the Accused in the Islamic Legislation: A Comparative and Analytical Study". Scholars International Journal of Law, Crime and Justice, Vol. 2, No. 7, July 2019.
- باسم محمد الفراجي . "Crimes and Penalties in Divine Jurisprudences in Comparison With Yemeni Penal Code".مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد ١١، العدد ٢، ٢٠٠٦.
- جامعة اليرموك: Political Crimes in Islamic Criminal Legislation . Comparative Study.أطروحة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، ٢٠٠٩.
- الجمهورية اليمنية .قانون الجرائم والعقوبات وتعديلاته .متاح عبر الرابط : http://agoyemen.net/lib_details.php?id=5

التحديات البيئية والاجتماعية والاقتصادية للزراعة في وادي حجر – حضرموت نموذجا

١- أ.د. خالد صالح باواحدي
أستاذ علوم البيئة – قسم العلوم البيئية – كلية العلوم البيئية والاحياء البحرية – جامعة حضرموت
Binfrijan1980@gmail.com
٢- د. صلاح عبدالله بن فريجات
أستاذ علوم البيئة المساعد – قسم العلوم البيئية – كلية العلوم البيئية والاحياء البحرية – جامعة حضرموت
kbawahidi@yahoo.com

الملخص

6

يُعدُّ وادي حجر، المعروف تاريخيًا بـ "وادي المليون نخلة"، أحد أخصب المناطق الزراعية في محافظة حضرموت باليمن. ومع ذلك، يواجه قطاعه الزراعي تحديات حادة تهدد استدامته وإسهامه في الأمن الغذائي المحلي. هدفت هذه الدراسة إلى تحليل التحديات البيئية (التغير المناخي، وسوء إدارة المياه)، والاقتصادية (ارتفاع تكاليف الإنتاج، وضعف التسويق)، والاجتماعية (دور المرأة وتحدياتها) التي تعترض الزراعة في الوادي. اعتمدت الدراسة على منهجية وصفيّة – تحليلية تجمع بين مراجعة الأدبيات وتحليل البيانات الثانوية من المصادر الرسمية (٢٠١٩–٢٠٢٣) والمقابلات الميدانية مع عينة من المزارعين والمسؤولين. أظهرت النتائج أن ٧٠% من قنوات الري تضررت جراء الفيضانات المتكررة بين عامي ٢٠١٥ و٢٠٢٣، وأن ٤٠% من المحاصيل تُفقد بسبب سوء التخزين والتسويق، وأن النساء يُشكلن ٦٠% من القوى العاملة الزراعية لكنهن يواجهن صعوبات في الوصول إلى التمويل والتدريب. تستنتج الدراسة أن معالجة هذه التحديات المتشابكة تتطلب استراتيجيات متكاملة تعتمد على التكنولوجيا المناسبة، وتعزيز المشاركة المجتمعية، وتمكين المرأة، وبناء قدرة الصمود أمام التغير المناخي، وذلك لتحقيق زراعة مستدامة تعيد للوادي دوره الغذائي الحيوي.

الكلمات المفتاحية:
الزراعة المستدامة، التغير المناخي، إدارة الموارد المائية، تمكين المرأة، الأمن الغذائي، وادي حجر.

1. Dr. Khaled Saleh Bawahedi

Environmental, Social, and Economic Challenges of Agriculture in Hajar Valley: Hadhramaut as a Model
Professor of Environment Science, Department of Environment Science, Faculty of Environemnt Science & Marine Biota, Hadramout University
2. Dr. Salah Abdullah Ben Furayjat
Assistant Professor of Environment Science, Department of Environment Science, Faculty of Environment Science & Marine Biota, Hadramout University

Abstract:

Wadi Hajr, historically known as the "Valley of a Million Date Palms," is one of the most fertile agricultural areas in Hadhramaut Governorate, Yemen. However, its agricultural sector faces severe challenges that threaten its sustainability and contribution to local food security. This study aimed to analyze the environmental (climate change, poor water management), economic (high production costs, weak marketing), and social (women's role and their challenges) constraints facing agriculture in the valley. The study adopted a descriptive-analytical methodology combining a literature review with secondary data analysis from official sources (2019–2023) and field interviews with a sample of farmers and officials. Results showed that 70% of irrigation canals were damaged due to recurrent floods between 2015 and 2023, 40% of crops are lost due to poor storage and marketing, and women constitute 60% of the agricultural workforce but face difficulties accessing finance and training. The study concludes that addressing these intertwined challenges requires integrated strategies based on appropriate technology, enhanced community participation, women's empowerment, and building resilience to climate change, to achieve sustainable agriculture that restores the valley's vital food role.

Keywords: Sustainable Agriculture, Climate Change, Water Management, Women's Empowerment, Food Security, Wadi Hajr.

المقدمة

تشهد الجمهورية اليمنية واحدة من أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم، حيث استمر النزاع المسلح منذ عام ٢٠١٤ مما أدى إلى انهيار الخدمات الأساسية وتدهور الاقتصاد الوطني (١). ويُعد انعدام الأمن الغذائي أبرز تجليات هذه الأزمة، فقد أشار تقرير برنامج الأغذية العالمي (١٥) إلى أن نحو ١٧ مليون شخص (أي ما نسبته ٦٠% من السكان) يعانون من انعدام الأمن الغذائي الحاد، منهم ٦.١ مليون في مرحلة الطوارئ.

ورغم أن القطاع الزراعي يُعتبر العمود الفقري للاقتصاد اليمني والركيزة الأساسية لسبل العيش في المناطق الريفية، إلا أنه لا يوفر سوى ١٥-٢٠% من الاحتياجات الغذائية الأساسية للبلاد (٩). وقد تفاقم هذا الوضع بسبب تداخل عوامل متعددة: النزاع المسلح الذي دمّر البنى التحتية، وتدهور شبكات الري والطرق، وارتفاع تكاليف الإنتاج نتيجة غلاء المدخلات الزراعية (الأسمدة، المبيدات، الوقود)، بالإضافة إلى تحديات بيئية متصاعدة مثل التغير المناخي والجفاف (٥،١٣).

في هذا السياق الإقليمي المضطرب، تبرز منطقة وادي حجر في محافظة حضرموت كحالة دراسية ذات أهمية خاصة. فقد عُرف الوادي تاريخيًا بـ "وادي المليون نخلة" نظرًا لخصوبته ووفرة إنتاجه الزراعي، ولا سيما التمور (٢). ومع ذلك، يعاني القطاع الزراعي في الوادي اليوم من تحديات مركبة ومتشابكة تطال الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية، مما أدى إلى تدهور الإنتاجية بنسبة تقدر بحوالي ٥% سنويًا على الرغم من توفر موارد مائية مستمرة نسبيًا مقارنة بمناطق يمنية أخرى (٨).

وإذ يلاحظ الباحثون أن الجمع بين التهديدات البيئية (كتغير المناخ والفيضانات المتكررة)، والقيود الاقتصادية (كضعف التسويق وارتفاع التكاليف)، والعوائق الاجتماعية (كتحديات تمكين المرأة)، يُشكل عائقًا كبيرًا أمام تحقيق التنمية الزراعية المستدامة في الوادي، فإن هذه الدراسة تأتي لتشخيص هذه التحديات وتحليل تداخلاتها، بالإضافة إلى تقييم المبادرات القائمة واقتراح حلول عملية قائمة على الأدلة العلمية والمشاركة المجتمعية.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتمثل مشكلة البحث في التناقض بين الإمكانيات الزراعية الكبيرة لوادي حجر (موارد مائية، أراضي خصبة، قوى عاملة) والتراجع المستمر في إنتاجه، الناجم عن تآكل التربة، وسوء إدارة المياه، وغياب الاستثمار التكنولوجي، وضعف الكفاءة التسويقية، ومعوقات اجتماعية تحول دون الاستفادة المثلى من الموارد البشرية المتاحة.

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما أبرز التحديات البيئية(المتعلقة بالتغير المناخي وإدارة المياه)التي تواجه القطاع الزراعي في وادي حجر؟

٢- ما أبرز التحديات الاقتصادية(المتعلقة بتكاليف الإنتاج والتسويق)التي تواجه القطاع الزراعي؟

٣- ما أبرز التحديات الاجتماعية(ولا سيما المتعلقة بدور المرأة)التي تحد من استدامة الزراعة في الوادي؟

٤- كيف يمكن تقييم دور المبادرات والبرامج القائمة (مثل برامج الفاو)في مواجهة هذه التحديات؟

أسباب اختيار الموضوع:

تم اختيار موضوع "التحديات البيئية والاجتماعية والاقتصادية للزراعة في وادي حجر" للأسباب التالية:

١- الأهمية التاريخية والاقتصادية للوادي :كونه كان يُعرف بـ" وادي المليون نخلة "ويمثل أحد أخصب المناطق في حضرموت، مما يستدعي دراسة أسباب تراجع دوره وتحليل سبل استعادته((٢)).

٢- تناقض صارخ يحتاج إلى تحليل :يتمثل في وجود موارد مائية مستمرة نسبيًا، مقابل تدهور ملحوظ في الإنتاجية 5% سنويًا، مما يستدعي فهم الأسباب الكامنة وراء هذا التناقض.

٣- ندرة الدراسات المتخصصة والشاملة :التي تتناول التداخلات بين التحديات البيئية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة بشكل متكامل، إذ ركزت معظم الدراسات السابقة على جانب واحد فقط.

٤- الحاجة الملحة لحلول عملية :لتوجيه جهات الاختصاص(محليًا ودوليًا)نحو استراتيجيات فعالة قائمة على الأدلة لتحقيق الأمن الغذائي وتحسين سبل العيش في المنطقة.

أهداف البحث:

١- تحليل التحديات البيئية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجه القطاع الزراعي في وادي حجر.

٢- تقييم دور المبادرات والبرامج القائمة(مثل برنامج منظمة الأغذية والزراعة الفاو)في تخفيف هذه التحديات.

٣- اقتراح حلول قائمة على المشاركة المجتمعية والتكنولوجيا الملائمة لتحسين إنتاجية واستدامة الزراعة في المنطقة.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يقدم تشخيصًا علميًا دقيقًا لواقع الزراعة في وادي حجر، ويُبرز العلاقات المتشابكة بين العوامل البيئية (كتغير المناخ)، والعوامل الاقتصادية (كتكاليف الإنتاج)، والعوامل الاجتماعية (كدور المرأة). كما أن نتائجه وتوصياته يمكن أن تشكل دليلاً إرشاديًا لصانعي القرار (وزارة الزراعة والري، السلطات المحلية) والمنظمات التنموية (كالفاو، برنامج الأغذية العالمي، المنظمات غير الحكومية) لتصميم تدخلات أكثر فعالية واستدامة، ليس فقط في وادي حجر، بل في مناطق يمنية مماثلة. وبالتالي، تسهم هذه الدراسة – ولو بشكل متواضع – في تعزيز الأمن الغذائي ورفاهية المجتمعات المحلية، ودعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

الدراسات السابقة:

تمت مراجعة وتحليل عدد من الدراسات السابقة التي تناولت القطاع الزراعي في محافظة حضرموت ووادي حجر تحديدًا، بهدف تحديد فجوات المعرفة وبناء الإطار النظري لهذه الدراسة. من أبرز هذه الدراسات:

١- تناولت (٣)بيئة وأحياء مجرى وادي حجر، مع التركيز على الصفات الهيدروكيميائية والهيدروبيولوجية، مما وفر معلومات أساسية عن طبيعة الموارد المائية في الوادي.

٢- قدمت (١٠)دراسة شاملة للوضع الراهن والمستقبلي للقطاع الزراعي بمحافظة حضرموت، راصدة العديد من التحديات العامة على مستوى المحافظة.

٣- ركزت (٢)على واقع زراعة نخيل التمر في وادي حجر تحديدًا، مبرزة المشكلات المتعلقة بهذه الزراعة والحلول المقترحة من وجهة نظر المزارعين.

٤- ناقشتا (٤)بالتفصيل آليات تسويق المنتجات الزراعية اليمنية في الأسواق المحلية والخارجية، وأبرزت المعوقات التي تواجه المزارعين.

٥- تناولت (٥)تسويق المنتجات الزراعية في اليمن بشكل أشمل مع تركيز خاص على التحديات الهيكلية والحلول المقترحة على المستوى الوطني.

٦- حللت (١١)تأثير تغير المناخ والصراع المسلح في مناطق حضرموت والمهرة وأظهرت كيف يتفاعل العاملان لتفاقم هشاشة المجتمعات المحلية.

٧- قيّم (١٤) برنامج إدارة المياه في وادي حجر وأظهر نجاحات محدودة قابلة للتوسع، مثل خفض هدر المياه بنسبة 25 في المناطق المستهدفة%.

توصلت هذه الدراسات إلى وجود تحديات حقيقية تواجه القطاع الزراعي، لكنها غالبًا ما تناولت الجوانب البيئية أو الاقتصادية أو الاجتماعية بشكل منفصل. وتتميز الدراسة الحالية بتناولها المتكامل والشامل للأبعاد الثلاثة معًا، مع اعتمادها على تحليل بيانات

حديثة (حتى عام ٢٠٢٤) ومقابلات ميدانية معمقة، مما يسد فجوة معرفية مهمة في الأدبيات العلمية المتعلقة بمنطقة وادي حجر.

مواد وطرق البحث:

منهجية البحث

اتبع هذا البحث نهجاً وصفيّاً–تحليلياً، يجمع بين تحليل البيانات الكمية الثانوية والبيانات النوعية الأولية المستمدة من الميدان، بهدف تشخيص الواقع الراهن وتحليل التداخلات بين التحديات التي تواجه الزراعة في وادي حجر. غطت فترة جمع البيانات والتحليل أشهر ديسمبر ٢٠٢٤ إلى مارس ٢٠٢٥.

مصادر البيانات وجمعها

اعتمدت الدراسة على مصدرين رئيسيين:

البيانات الثانوية(الكمية والنوعية :)وتشمل السجلات والتقارير الرسمية من وزارة الزراعة والري ومكتب الزراعة بمديرية حجر)2019–2024(، والتقارير الفنية، بالإضافة إلى مراجعة الأدبيات السابقة (15دراسة).

البيانات الأولية(النوعية :)جُمعت ميدانياً من خلال مقابلات شبه منظمة مع عينة قصدية مكونة من 30 مزارعاً من مختلف قرى الوادي، ومقابلات مع 10 مسؤولين من مكتب الزراعة والري والجمعيات الزراعية.

أدوات وأساليب التحليل

تم تحليل البيانات باستخدام: (١) التحليل الإحصائي الوصفي للبيانات الكمية، (٢) تحليل المضمون (Content Analysis) للبيانات النوعية، (٣) تحليل رؤى أصحاب المصلحة،

(٤) التحليل الثلاثي (Triangulation) لمقارنة النتائج من المصادر المختلفة. كما تم مراعاة الاعتبارات الأخلاقية بالحصول على الموافقة المسبقة وضمان السرية.

منطقة الدراسة: الموقع الجغرافي والخصائص الديموغرافية

يقع وادي حجر في محافظة حضرموت اليمنية بين خطي عرض (14°00– 15°10)شمالاً وخطي طول (47°–48°) شرقاً، شكل (١).

الشكل (١): خريطة توضح موقع منطقة وادي حجر

(أعيد رسمها بناءً على باواحدي، ٢٠١٥)

(المصدر: مركز الدراسات البيئية والموارد المائية – جامعة حضرموت)

كما هو موضح في الشكل (١)، يقع الوادي في الجزء الغربي من محافظة حضرموت. تبلغ مساحة المديرية حوالي ٩٤٦٠ كم²، ويقطنها حوالي ٤٢,٢٨٠ نسمة موزعين على ١٢٥ قرية (كتاب الإحصاء السنوي، ٢٠١٩) (٩).

المناخ والموارد المائية: يتميز مناخ وادي حجر بأنه حار وجاف، حيث يبلغ معدل هطول الأمطار السنوي بين ٧٠ و١٠٠ ملم. وتتسم الأمطار بالتباين الشديد، مما يسبب سيولاً جارفة في فترات قصيرة. يتدفق في الوادي ما يقارب ٤٠% من المياه السنوية على شكل سيول، و٣٠% مياه قاعدية، و٣٠% تدفق تحت سطحي (7).

النتائج والمناقشة:يُقدم هذا القسم تحليلاً متكاملاً للتحديات التي تواجه الزراعة في وادي حجر، حيث تم دمج عرض النتائج مع تفسيرها ومناقشتها في ضوء الأدبيات السابقة.

أولاً: التحديات البيئية: تفاقم المخاطر المناخية وسوء إدارة المياه

كشفت الدراسة أن وادي حجر يعاني من آثار متصاعدة للتغير المناخي، تتجلى في ظاهرتين متطرفتين: زيادة وتيرة وشدة الفيضانات والسيول الجارفة كما هو موضح في الصورة (١) (أعوام ٢٠٠٨، ٢٠١٥، ٢٠٢٠، ٢٠٢٣) وفترات الجفاف المتطاولة صورة (٢).

الصورة (١): تدفق مياه السيول الجارفة في منطقة الحصين من (2020). من صور بانوبي2020).

الصورة (2): آثار الجفاف على أشجار النخيل ومنشآت الري في منطقة الحصين (2022)من صور بانوبي (2022).

كما توضح الصورة (١) والصورة (٢)، فإن التباين الحاد بين الفيضانات والجفاف يتسبب في أضرار كبيرة بالبنية التحتية الزراعية والمحاصيل.

أشارت النتائج إلى أن حوالي ٧٠% من قنوات الري التقليدية في الوادي قد تضررت أو دُمرت بسبب هذه الفيضانات بين عامي ٢٠١٥ و٢٠٢٣ (٧). هذا التذبذب الحاد بين الجفاف والفيضان يخلق بيئة زراعية هشة، حيث يؤدي سوء إدارة المياه وتردي البنية التحتية إلى تضخم الآثار السلبية. ناقشت الدراسة أيضًا تراجع الغطاء النباتي بنسبة تقدر بـ

١٥% منذ عام ٢٠١٠، مما قلل من قدرة التربة على الاحتفاظ بالمياه وزيادة مخاطر الجريان السطحي والانجراف. هذه النتائج تتواءم مع تحذيرات الباحثين من أن المخاطر الطبيعية في المنطقة أصبحت أكثر تكراراً ولا يمكن التنبؤ بها (٢،١٣). إن تدمير هذه القنوات أدى إلى عجز المزارعين عن إيصال المياه إلى محاصيلهم في المواسم الحرجة، مما أنعكس سلباً على قلة التمور والخضروات، كما أشار المزارعون خلال المقابلات إلى أن إعادة تأهيل هذه القنوات بتكاليف باهضه يفوق قدراتهم الفردية، خاصة في ظل غياب الدعم الحكومي. هذا بالإضافة إلى أن تراكم الطمي والرواسب الناتجة عن السيول قلل من خصوبة التربة الزراعية وأجبر البعض على التخلي عن أراضيهم. وقد لاحظنا أن غياب آليات الصيانة الدورية يجعل هذه القنوات عرضة للتدمير مع كل موسم امطار جديد. ومن ناحية أخرى، فإن انخفاض منسوب المياه الجوفية خلال فترات الجفاف دفع المزارعين لحفر آبار أعمق، مما زاد من أعبائهم المالية وأدى لاستنزاف المحزون الجوفي بشكل غير مستدام. كما هو ملخص في الجدول (١)، فإن مواجهة التحديات البيئية تتطلب استراتيجيات متكاملة تجمع بين تحسين البنية التحتية وبناء القدرات المحلية.

الجدول (١): التحديات والاحتياجات والفرص المتعلقة بالتغيرات المناخية وإدارة المياه

التحديات	الإحتياجات	الفرص
سوء ادارة المياه الفيضانات	ترميم وصيانة شبكات الري ومنظومات المياه إنشاء محطات مصغرة	بناء قدرات المستفيدين في مجال إدارة المياه اعداد كوادر محلية للعمل في مجال

والعواصف والجفاف تقلبات في أنماط هطول الأمطار واختلاف المواعيد التغييرات المناخية انتشار الحشرات والأمراض والآفات الزراعية تدهور البنية التحتية تحسين إدارة الموارد المائية	للارصاد والتنبؤ بالظواهر الجوية حصاد المياه وترميم وصيانة شبكات الري وتحديد الاحتياجات المائية لكل محصول بناء القدرات في مجال مواجهة التغيرات المناخية الحادة توفير الأسمدة والمبيدات الحشرية وغيرها ونشر التوعية بطرق الاستخدام تصميم بنى تحتية قادرة على الصمود في مواجهة التغيرات المناخية. إنشاء خزانات مياه وتحسين تقنيات الري.	التنبوء الجوي انشاء مركز الإنذار المبكر بالمديرية وإنشاء أنظمة لمراقبة الطقس والزراعة تفعيل دور البحوث الزراعية لتطوير تقنيات مناسبة لمواجهة تأثير التغيرات المناخية على الإنتاج الزراعي دعم مراكز البحوث الزراعية لانتاج محاصيل مقاومة للجفاف والحرارة والآفات توفير الدعم الكافي لدعم البنية التحتية للقطاع الزراعي عبر مشاريع مواجهة التغير المناخي. الاستفادة من الدعم المقدم من مؤسسات التنمية في تحقيق الإدارة المتكاملة للموارد المائية.

جمعت من مصادر متعددة (محرم، 2023؛ علوان، 2017؛ مكتب الزراعة والري بمديرية حجر، 2024).

ثانياً: التحديات الاقتصادية: ضعف الروابط التسويقية وهشاشة سبل العيش

على الصعيد الاقتصادي، حدد التحليل عائقين رئيسيين: ارتفاع تكاليف الإنتاج وضعف كفاءة التسويق. على الرغم من أن الثروة الحيوانية وتربية النحل تُشكلان ركيزة اقتصادية حيوية في الوادي، كما يظهر في الجدول (٢) والجدول (٣)، إلا أن النتائج أظهرت أن ٤٠% من الإنتاج الزراعي الكلي (بما في ذلك المحاصيل والمنتجات الحيوانية) يُفقد أو يتلف بسبب قصور في التخزين والنقل والتسويق (٤).

التجمع	عدد الخلايا	نوع الخلايا	كمية الإنتاج بالكيلو	متوسط السعر		عدد المربين	نوعه
		الحديثة		سعر الكيلو	إجمالي العائد		
الجول	١٠٠	١٠٠	٢٠٠	٨.٠٠٠	١.٦٠٠.٠٠٠	١٠	بغيه درجة ٢
الصدارة	١٠٠	١٠٠	٢٠٠	٨.٠٠٠	١.٦٠٠.٠٠٠	١٠	بغيه درجة ٢
جزول	٣٠٠	٣٠٠	٦٠٠	٨.٠٠٠	٤.٨٠٠.٠٠٠	٢٠	بغيه درجة ٢
كنينه يون	٦.٠٠٠	٦.٠٠٠	١٢.٠٠٠	١٢.٠٠٠	١٤٤.٠٠٠.٠٠٠	٢٠٠	بغيه
إجمالي	٦.٥٠٠	٦.٥٠٠	١٣.٠٠٠		١٥٢.٠٠٠.٠٠٠	٢٤٠	بغيه درجة ٢

الجدول (٢) إنتاج خلايا النحل ومتوسط أسعارها بمديرية حجر

تم تكييف الجدول من خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمديرية (2011–2015)

الجدول (٣) إحصائيات عن الثروة الحيوانية بمديرية حجر (عام ٢٠٠٩)

عدد المربين		ماعز	أغنام	أبقار	جمال	حمير
	٣٩٥	٢٩.٥٠٠	١٠.٣٠٠	٢٥	١١١	٤٥٥

تم تكييف الجدول من خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمديرية (2011–2015)

يكشف الجدول (٢) والجدول (٣) أهمية الثروة الحيوانية وتربية النحل في اقتصاد الوادي، حيث يُنتج الوادي ما يقارب ١٣,٠٠٠ كجم من العسل ويساهم بآلاف رؤوس الماشية.

تكشف المناقشة أن لهذه الخسائر (٤٠%) أسباباً هيكلية عميقة: ضعف البنية التحتية للطرق والمخازن، واحتكار الوسطاء لتحديد الأسعار، وغياب المعلومات عن متطلبات الأسواق الخارجية، وانتشار الأمراض في الثروة الحيوانية وغياب الخدمات البيطرية (١٢).

الجدول (٤) يلخص هذه التحديات والاحتياجات المرتبطة بتسويق المنتجات الزراعية.

الجدول (٤): تحديات واحتياجات وفرص تسويق المنتجات الزراعية

التحديات	الاحتياجات	الفرص
	تحسين البنى الأساسية للتسويق وتفعيل الدور التسويقي للجمعيات الزراعية توفر البيانات التسويقية حول السوق من سلع وأسعار تحسين طرق التعبئة والتغليف للمحافظة على جودة المنتج اثناء النقل تحديد الأسعار بشكل تنافسي اتاحة المعلومات التفصيلية للمنتج الزراعي للجهات ذات العلاقة توفير وسائل حفظ خاصة بالمنتجات الزراعية	استخدام تقنيات حديثة في تعبئة المنتجات وتغليفها الكشف عن نوعية المنتجات قبل التسويق. توفير معامل تعبئة وتغليف منخفضة التكليف. استخدام وسائل التسويق الرقمي للمنتجات الزراعية للوصول الى جمهور أوسع استخدام التكنولوجا الحديثة والتسويق الرقمي والهواتف الذكية التوعية والتثقيف وبناء القدرات في مجال التاقلم مع التغير المناخي والقدرة على الصمود

جمعت من مصادر متعددة (محرم، 2023؛ علوان، 2017؛ بالطيف، 2019؛ مكتب الزراعة والري بمديرية حجر، 2024).

ثالثاً: التحديات الاجتماعية: التناقض بين الدور المحوري للمرأة والقيود الهيكلية

تمثل النتائج المتعلقة بالمرأة الريفية واحدة من أهم اكتشافات الدراسة، حيث تسلط الضوء على تناقض صارخ. فمن ناحية، تُظهر البيانات أن النساء يشكلن ٦٠% من إجمالي القوى العاملة الزراعية في الوادي، وتصل نسبة مساهمتهن في عمليات الحصاد وتربية الماشية إلى أكثر من ٩٠%. ورغم هذا الدور المحوري، فإن المشاركة الفاعلة للنساء الصورة رقم (٣) في الجمعيات الزراعية والمعارض التسويقية تبقى محدودة.

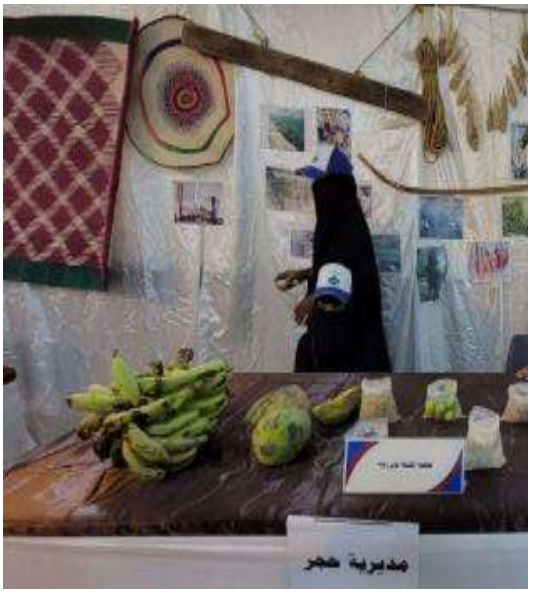

الصورة (٣) مشاركة المرأة من وادي حجر في معرض الغذاء والمياه 2023 بجامعة حضرموت (باواحدي،2023)

كما توثق الصورة (٣) مشاركة المرأة رغم التحديات الكبيرة التي تواجهها في الوصول إلى الموارد والتدريب.

ومن ناحية أخرى، فإن ٥% فقط من النساء يملكن أراضي زراعية، و٧٠% لا يحصلن على أي تدريب في الممارسات الزراعية الحديثة. هذا التناقض هو نتاج قيود اجتماعية وثقافية عميقة الجذور تحد من تمكين المرأة اقتصادياً وقرارياً، بالإضافة إلى العبء المزدوج لإدارة المنزل والعمل في الحقول، الجدول (٥) يوضح الفرص والاحتياجات لتعزيز دور المراءة.

الجدول (٥) تحديات واحتياجات وفرص تعزيز دور المرأة في القطاع الزراعي

التح	الاحتياجات	الفرص
الثقافة الاجتماعية للمنطقة وعدم تمكين المرأة.	دورات تثقيفية وتوعوية	التوعية والتثقيف
قلة فرص حصول النساء على التدريب والتطوير في مجال الزراعة مقارنة بالرجال.	اعداد برامج تأهيل وتطوير للجانب النسوي في مجال الزراعة والإدارة المائية	تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية تركز على مهارات زراعية وتقنيات جديدة
عدم توفر الدعم المادي والمعنوي للمجلس النسوي في الجمعيات	إنشاء شبكات دعم	تشكيل جمعيات نسائية تعزز التعاون والتشارك في المعرفة والموارد
العبء المزدوج (إدارة المنزل ورعاية الأسرة بالإضافة إلى الزراعة)	تخفيف ساعات العمل في الحقول وتجنب الأعمال الشاقة	دورات تدريبية في إدارة الموارد والعمل التشاركي
عدم توفير دورات تمكين للنساء في مجالات متعددة	أعداد دورات تدريبية وتأهيلية في مجالات خاصة بالمرأة في مجال الزراعة وتربية الحيوانات	إقامة مشاريع صغيرة لتمكين النساء من دخول سوق العمل والمساهمة في الترويج للمنتجات الزراعية
المشاركة في صنع القرار	توفير الدعم الكامل للمرأة للمشاركة في صنع القرار ضمن إطار الجمعيات الزراعية	التوعية والتثقيف
التكيف مع التغيرات المناخية	تبني ممارسات زراعية مستدامة	التوعية والتأهيل في مجال طرق مواجهة التغير المناخي وآليات الصمود.

جمعت من مصادر متعددة :محرم،2023 ؛ علوان،2017 ؛ مكتب الزراعة والري بمديرية حجر (2024)

كما هو موضح في الجدول (٥)، فإن الفجوة بين إسهام المرأة الكبير والموارد المتاحة لها تحتاج إلى معالجة عاجلة من خلال سياسات تمكين مدروسة.

رابعاً: المبادرات القائمة ودروس للمستقبل

أشارت الدراسة إلى مبادرات إيجابية محدودة النطاق، مثل برنامج منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) لإدارة المياه (خفض هدر المياه بنسبة ٢٥% وزيادة إنتاجية النخيل في المناطق المستهدفة) وسوق خريف حجر (رفع دخل ٢٠٠ عائلة بنسبة ٢٠%). تُثبت هذه النماذج، وإن كانت محدودة النطاق، جدوى الحلول القائمة على المشاركة المجتمعية والتكنولوجيا الملائمة (كالري بالتنقيط)، وتشكل أساساً للتوصيات العملية التي تهدف إلى تحويل التحديات إلى فرص من خلال إدارة متكاملة للموارد، وتمكين المرأة، وبناء سلاسل تسويق مرنة وشاملة.

الخلاصة والتوصيات:

الخلاصة:

يواجه القطاع الزراعي في وادي حجر تحديات معقدة ومتداخلة. فالتغير المناخي يتجلى في فيضانات مدمرة وفترات جفاف متطولة، مما يفاقم مشكلة سوء إدارة الموارد المائية ويؤدي لتدهور البنية التحتية (تضرر ٧٠% من قنوات الري). اقتصادياً، يعاني المزارعون من ارتفاع التكاليف وضعف التسويق، مما يؤدي إلى هدر كبير في الإنتاج (٤٠%). اجتماعياً، وعلى الرغم من كون المرأة حجر الزاوية في العملية الزراعية (٦٠% من القوى

العاملة)، إلا أن إسهاماتها تواجه عوائق ثقافية وتنموية (٥% فقط تملك أراضي، ٧٠% لا تحصل على تدريب) تحد من إمكاناتها. ومع ذلك، فإن الفرص للتطوير متاحة من خلال تبني تقنيات مناسبة، وتعزيز التعاونيات، وتمكين المرأة، وإدماج التكنولوجيا في الإدارة والتسويق.

التوصيات:

أولاً: توصيات تقنية ومؤسسية (معالجة التحديات البيئية والإنتاجية)

١- دمج التكيف مع التغير المناخي في الخطط الزراعية المحلية، وإنشاء صندوق طوارئ لإصلاح البنية التحتية المتضررة من الكوارث.

٢- دعم وتقوية الجمعيات التعاونية الزراعية، وخاصة التعاونيات النسائية، من خلال التمويل والتدريب.

٣- تفعيل دور مراكز البحوث الزراعية المحلية لتطوير أصناف محاصيل مقاومة للجفاف والآفات.

٤- بناء السدود الصغيرة والحواجز لحصاد مياه الأمطار، وتدريب المزارعين على تقنيات الري الحديثة(كالري بالتنقيط)لتقليل الهدر.

ثانياً: توصيات اقتصادية وتنموية (معالجة تحديات التسويق والتمويل)

١- تحسين التسويق من خلال تطوير منصة إلكترونية محلية لتسويق المنتجات الزراعية وربط المزارعين مباشرة بالأسواق.

٢- دعم إنشاء وحدات تعبئة وتغليف بسيطة ومنخفضة التكلفة للحفاظ على جودة المنتجات.

٣- دعم الثروة الحيوانية عبر إنشاء عيادات بيطرية متنقلة، وتوفير اللقاحات، وتدريب المربين على إعداد العلائق المتوازنة باستخدام الموارد المحلية.

ثالثاً: توصيات اجتماعية (تمكين المرأة والمشاركة المجتمعية)

١- تمكين المرأة الزراعية بتخصيص نسبة لا تقل عن 30% من برامج التمويل الأصغر والقروض الزراعية للنساء.

٢- بناء القدرات من خلال إنشاء مراكز تدريب مهني في القرى تستهدف النساء، وتقديم دورات في الممارسات الزراعية الحديثة، والإدارة المالية، والتسويق الرقمي.

٣- تنفيذ حملات توعية مجتمعية لتغيير الصور النمطية ودعم مشاركة المرأة في صنع القرار على مستوى الأسرة والمجتمع المحلي والجمعيات.

يُعتبر تعاون كافة أصحاب المصلحة (الحكومة المحلية، المنظمات الدولية، الجامعات، والمجتمع المحلي) أمراً حاسماً لتحويل وادي حجر من منطقة تواجه التحديات إلى نموذج للزراعة المستدامة والمرنة في اليمن، وبالتالي الإسهام في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وخاصة الهدف الثاني (القضاء على الجوع)، والهدف الخامس (المساواة بين الجنسين)، والهدف الثالث عشر (العمل المناخي).

المراجع:

١. البنك الدول . (2023): تقرير الأمن الغذائي في اليمن.

٢. بالطيف، نايف محمد، (2019). دراسة واقع زراعة نخيل التمر بوادي حجر محافظة حضرموت (المشكلات والحلول)، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت- اليمن.

٣. بازار، سالم، محيسن، علي، المشجري، محمد، (2001). بيئة وأحياء مجرى وادي حجر حضرموت، الصفات الهيدروكيميائية والهيدروبيولوجية، مجلة حضرموت للدراسات والبحوث، المجلد الأول، العدد الأول، ص 63-47.

٤. الحريري، خالد، والحكيمي، وليد، (a2022). آليات التسويق للمنتجات الزراعية اليمنية في الأسواق المحلية والخارجية، دراسة ميدانية، مجلة الباحث الجامعي، المجلد الخامس والاربعون، العدد الأول، ص 153- 184.

٥. الحريري، خالد، والحكيمي، وليد، (b2022). تسويق المنتجات الزراعية في اليمن، التحديات والحلول، مجلة جامعة عدن.

٦. حجر، إدارة المديرية، (2015). خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمديرية 2011-2015

٧. حجر، مكتب الزراعة والري بالمديرية، (2024). [وثائق غير منشورة].

٨. وزارة الزراعة والري، (2019-2023). الإحصاءات الزراعية.

٩. وزارة الزراعة والري، (2020). الإحصاء الزراعي 2018-2019، الجمهورية اليمنية.

١٠. علوان، عبدالله، (2017). دراسة الوضع الراهن والمستقبلي للقطاع الزراعي بمحافظة حضرموت، جمعية حضرموت العلمية الزراعية، ص 194-196.

١١. لاكنر، هيلين، (2021). تغير المناخ والصراع في حضرموت والمهرة، مؤسسة بيرغهوف.

١٢. محرم، إبراهيم، (2023). واقع الإنتاج الزراعي في اليمن، التحديات والفرص، مؤسسة الرواد.

13. Al-Mowafak, H (2023). Rising Temperatures, Falling Resources: Climate Change Impacts on Yemen's Agrarian and Coastal Communities, Yemen Policy Center.

14. Food and Agriculture Organization of the United Nations. (2023). تقييم برنامج إدارة المياه في وادي حجر

15. World Food Programme (WFP). (2024). WFP Yemen Situation report #9. (2)

Al-Nasser University Journal

جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

A Scientific Refereed Journal Issued Biannually by Al-Nasser University
Fourteen Year - Jan. \ Jun.2026 - No.(27)

Managing Editor

Prof Nasser H. Almofari

Editor

Prof Mohammed Shawqi Nasser

Advisory Board

Prof. Salam Aboud Hasan, Iraq
Prof. Jameel Abdurab EL-Maqtari, Yemen
Prof. Saleh Salem Abdullah Bahaj, Yemen
Prof. Hasan Naser Ahmed Sarar, Yemen
Prof. Omar Mohammed Esh-shuja, Yemen
Prof. Mohammed Husein Khago, Yemen
Prof. Yusof Mohammed El-Owadhi, Malay
Prof. Saeed Munasar El-Ghalebi, Yemen
Prof. Ahmed Lutf Essayed, Egypt
Prof. Hamoud Ahmed Mohammed El-Faqeeh, Yemen
Prof. Muna Bent Rajeh Errajeh, KSA
Prof. Hussein Saleh Elbahji, Yemen
Prof. Mohammed Saeed Araro, Morocco

Editorial Board

Prof Munir Ahmed Al-Aghberi
Prof Anwar Mohammed Masoud
Prof Abdulkareem Qasim Ezzumor
Dr. Mansour Ezzabadi
Prof Iman Abdullah El-Mahdi
Dr. Fahd Saleh Elkhayat
Prof Khaled Elhadad
Prof Qais Ali Saleh Ennuzaili

Deposit Number at National Book House-Sana'a (630/2013)
ISSN (2311-2360) Electronic version
ISSN (2307-7662) Print version

Al-Nasser University Journal aims at giving scholars a chance to publish their Arabic and English research papers in the various fields of humanities and applied sciences.